



حياته .. معجزاته .. دلائل عظمته

محيى الدين محمد عطية



أكتوبر ٢٠١٢

www.gombook.net.eg





١١١ ــ ١١٥ ش رمسيس
ت : ٢٥٧٨٣٣٣٣

أكتوبر ٢٠١٢

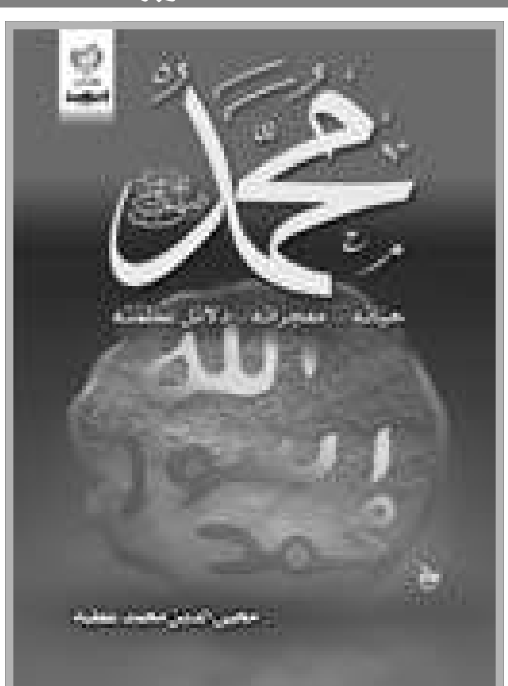
أسعار البيع فى الخارج

سوريا	٣٠٠ ل.س
لبنان	١٢٠٠ ل.ل
الأردن	٤٫٥ دينار
الكويت	٣ دنانير
السعودية	٣٠ ريالاً
البحرين	٣ دنانير
قطر	٣٠ ريالاً
الإمارات	٣٠ درهماً
سلطنة عُمان	٣ ريالات
تونس	٦ دنانير
المغرب	٩٠ درهماً
اليمن	٩٠٠ ريالاً
فلسطين	٦ دولارات
لندن	٦ جك
أمريكا	١٥ دولاراً
استراليا	١٥دولاراً استرالياً
سويسرا	١٥فرنكاً سويسرياً

الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية
١٨٠ جنيهًا
الدول العربية ٩٠ دولاراً أمريكياً
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا
١١٥ دولارا أمريكيًا
أمريكا وكندا
١٣٥ دولارا أمريكيًا
باقى دول العالم
١٧٥ دولارا أمريكيًا

إذا وجدت أى مشكلة
فى الحصول على
«كتاب الجمهورية »
وإذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات
فلا تتردد فى الاتصال على أرقام :
٢٥٧٨١٠١٠ ٢٥٧٨٣٣٣٣
http://www.eltahrir.net



تصميم الغلاف الفنان : صالح صالح

الاشراف الفنى
سيد عبد الحفيظ
الاخراج الفنى
شريف فاروق
هبة راغب



حياته .. معجزاته .. دلائل عظمته

محيى الدين محمد عطية

مقـــــــدمة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ودعا إلى صراط مستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الأتقياء الأبرار وبعد:

لقد اقتضت رحمة الخالق سبحانه وتعالى ألا يترك الإنسان حائراً تائهاً يتخبط فى ظلمات الجهل والضلال، ضائعاً فى متاهات الحياة، بل أرسل للناس عبر الأزمان رسلاً هداة ومرشدين يرسمون لهم طرق الخير، ويدعونهم إليه ويرغبونهم فيه، ويوضحون لهم الشر، ويحذرونهم منه، ويبعدونهم عنه.

فمن الناس من قاده عقله إلى الطريق المستقيم، فصدق الأنبياء وسار على دربهم، مستضيئاً بنورهم، متمسكاً بتعاليمهم، فأصبح من أصحاب النعيم.

ومن الناس من انحرف بعقله، فعصى الرسل، وتنكر لهم، واتبع هواه فأصبح من أصحاب الجحيم.

وشاءت إرادة الله تبارك و تعالى أن يبسط رحمته على الناس، ويمد إحسانه إلى بنى الإنسان، فبعث فيهم نبياً منهم، ورسولاً من أنفسهم هو محمدًا بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، اجتباه واصطفاه، وعصمه من الزلل، وحفظه من الخطأ، وصانه من كل شائبة، لتكون صفحاته آيات بينات، ودلائل واضحات على السمو والإجلال، والطهر والكمال، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "أدبنى ربى فأحسن تأديبى" فكان صاحب

رسـالة، وبشيـر دين، ونبى هداية، ورسـول أمـة يأتلف فـيهـا الشـرق والغـرب، وتمتد عبر الأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتعتبـر شخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم نموذجاً متكاملاً لنوع من الكمـال الإنسـانى الذى لا يمكن للغـرب بأفكاره ونظرياته وممارسـاته أن يصل لها، وتمثل حياته صلى الله عليه وسلم ذلك الضمير الذى يوخز الغرب فى جنباته، وكأنه مرآة كاشفة تعكس لهم بالدليل القاطع مدى ما وصلت إليه حال الشخصية الغربية من انحطاط نتيجة لابتعادها عن النموذج المحمدى ومن هنا نجد هجوماً شرساً متجدداً على شخص النبى صلى الله عليه وسلم ولعل مرد عداء الغرب التاريخى للنبى صلى الله عليه وسلم، أنه جاء بنظام حياة متكامل ينازع الغرب فى المسلمات الأساسية، وفى طرق التنظيم والإدارة وسياسة المجتمعات، وأخيراً فى نمط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، ومع المجتمعات المختلفة، إنه ببساطة نظام متكامل مواز للنظام الغربى، ولا يلتقى معه، وإنما يقدم بديلاً قوياً وخطيراً له [1].

لذلك هاجم المفكرون الغربيون بشدة المشروع الحضارى الإسلامى، واعتبروه خطراً كبيراً يهدد سيادة الفكر الغربى وعلو الحضارة الغربية، وانظر إلى قول أحدهم منذ أكثر من مائتى عام: "يجب القول إن من بين كل الذين تجرءوا على سن القوانين للشعوب، لم يكن واحد منهم أجهل من محمد. و بين كل الإبداعات الخرقاء للفكر الإنسانى، لم يكن هناك أتعس من كتابه. وما يحدث فى آسيا منذ ألف ومائتى سنة يمكن أن يكون البرهان، لأننا لو أردنا الانتقال من موضوع خاص إلى ملاحظات عامة، لكان من السهل البرهان أن الاضطرابات فى الدول، وجهل الشعوب فى هذه المنطقة من العالم إنما هو تأثير مباشر، إلى حد ما، للقرآن ولأخلاقه [2].

نحن إذن أمام وجدان صليبى وحقد ظاهر على الإسلام وعداء قديم جديد، وليست الإساءة المتكررة إلى الإسلام إلا الجزء الطافى من جبل الجليد بل إن محاولة اجتثاث الإسلام ذاته هى محاولة لم تتوقف قط منذ مئات السنين وشهدت عمليات إبادة، مذابح، تبشير، حرب ثقافية، وغزوات... إلخ.

---

١ - «أوروبا والإسلام»، لهشام جعيط، ص(٨٥).

٢ - فضائل النبى ومناقبه وحقوقه لعلى بن نايف ص (٤٤١).

ويقف وراء المحاولات المستمرة لتشويه الإسلام والإساءة إلى رموزه بالإضافة إلى الحقد الصليبى المعروف نوع من الهزيمة الداخلية فى العقل الغربى، فالخوف من انتشار نور الإسلام، بسبب صحة عقيدته بكل المقاييس العقلية والنفسية والعلمية والأدبية دفعت دهاقنة الغرب لتشويه الإسلام وحجب نوره عن أعين الأوروبيين قال تعالى ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[٣].

إن استهداف هذا الدين العظيم ورسوله الأمين وكتابه المبين ليس جديداً على طوائف أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بل ثمة صراع عقائدى يحركهم منذ تنكبوا طريق الأنبياء والمرسلين قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد بعثته صلى الله عليه وسلم كفروا بهذا الدين، حسداً من عند أنفسهم، وسوف تستمر هذه العداوة والخصومة إلى آخر الدهر لأنه لا يوجد فى الدنيا مَنْ يصلح أسوة للإنسانية فى سيرته سوى صلى الله عليه وسلم.. فمن نظر فى صفات الإنسانية وجدها فى محمد صلى الله عليه وسلم، ومن تفحص صفات العزة وجدها فى محمد صلى الله عليه وسلم، ومن حصر صفات الكرامة وجدها فى محمد صلى الله عليه وسلم، ومن نظر فى صفات القيادة وجدها فى محمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا اجتمعت فيه كل صفات الكمال؛ لأنه النبى الخاتم وأفضل الخلق أجمعين.

فيا أهل العصر الحديث المتمدين، ويا زعماء الحضارة، أوقفوا نزيف الدم الذى فجرتموه، وأسلوب البطش الذى شيدتموه، ومناهج التعدى والسلب التى أسستموها فى إعلامكم وقنواتكم، وارجعوا إلى فطرتكم التى فطركم الله عليها، واتركوا الدعوات الجاهلية فإنها منتنة.

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوماً ما لنا وحدنا نحن المسلمين ولكنه جاء لكم أيضاً ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء - الآية ١٠٧)، ولم يكن عند الله إلا دين واحد لا يتعدد ولا يتجزأ ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾[٤] جاء

---

٣ - الآية ٣٢ من سورة التوبة.

٤ - الآية ١٩ من سورة آل عمران.

لهداية الناس أجمعين، فأنقذوا أنفسكم بتأمل ما جاء به صلى الله عليه وسلم ، واسألوا مَن صَدق من أبناء جلدتكم عنه، فقد تقرر عندهم صدق محمد صلى الله عليه وسلم، وعرفوا صدق ما جاء به كما يعرف أحدهم ابنه قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٥].

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[٦]، فرسول بهذه المكانة، ودين بتلك الشمولية لن يزيده مكركم إلا ثباتاً وعلواً ولكم فيمن سبقكم على مدى أربعة عشر قرناً عبرة فقد زالوا وزال مكرهم، وثبت الدين وثبت أهله ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[٧].

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾"[٨].

وليت المنصفين يدلون غيرهم على أعظم شخصية عرفها التاريخ، وامتد تأثيرها عبر الزمان والمكان، ليغير مجرى الحياة الإنسانية، ويقود البشرية إلى طريق الهدى ويخرج الناس من الظلمات إلى النور صلى الله عليه وسلم.

---

٥ - الآية ١٤٦ من سورة البقرة.
٦ - الآية ٢٠ من سورة الأنعام.
٧ - الآيات من ٥٠ إلى ٥٣ من سورة النمل.
٨ - الآية ٦٤ من سورة آل عمران.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كل مطلع عليه، فإنه أعظم مسئول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، كلما جرى ذكره على اللسان، أو خطر طيفه ببال إنسان، أو ترسم أحد خطاه، أو التمس مسلم هدايته وسار على نهجه.. وما توفيقى إلا بالله.

محيى الدين محمد عطية

محمد ﷺ إنسان فريد

الإنسان الفريد هو الذى لم تنجب مثله البشرية فى تاريخها الطويل، ليكون وحده من بين الناس جميعاً الإنسان الكامل، الذى ميزه خالقه بالشخصية الفريدة، وحباه بالخلق العظيم، والإنسانية المثلى، وجعله سيد البرية، مهما تَكْبُرَ أو تعظم قدرات الرجال، فمن هو ذلك الإنسان؟

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذى ينتهى نسبه إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وأمه صلى الله عليه وسلم هى السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم، وتلتقى مع نسبه من أبيه فى جده حكيم، وكل منهما ينتهى نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم، وقد أراد الله تعالى أن يلتقى كل منهما على أمر قد قدر.

ولد صلى الله عليه وسلم فى مكة فى فجر يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، وقيل الثانى عشر، قبل ثلاث وخمسين سنة من الهجرة، ما يوافق سنة ٥٧٠ ميلادية و٥٢ ق. هـ، وبعض المصادر تقول إنه ولد عام ٥٧١م والذى

يعرف بعام الفيل، إذ حاول فيه أبرهة الاعتداء على الحرم، فكان مولده صلى الله عليه وسلم إيذانا بتحرير هذا الحرم من أيدى الآثمين.

ظهرت لمولده صلى الله عليه وسلم أمارات كانت بمثابة إنذار شديد للطغاة الظالمين، والجبابرة المستبدين، فانشق إيوان كسرى الذى ملأ الأرض جوراً وظلماً، وسقطت منه أربع عشرة شرفة وأخمدت نار فارس وكانت تعبد من دون الله، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت [٩]، فكان هذا إعلاناً وتنبيهاً إلى أن الدنيا قد شرفت بمولد هذا الإنسان الذى سيغير مجرى التاريخ، وسيقود سفينة العالم الحائر إلى اليقين، إلى طريق رب العالمين، إنه سيد البشرية، المبعوث رحمة للعالمين.

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشرًا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له. واختار له اسم محمد، ولم يكن هذا الاسم معروفًا فى العرب ولكن الله أراد أن يحقق ما قدّره وذكره فى الكتب التى جاءت بها الأنبياء كالتوراة والإنجيل، فألهم جدَّه أن يسمّيه بذلك إنفاذاً لأمره.

وأول من أرضعته من المراضع ـ وذلك بعد أمه بأسبوع ـ ثُوَيْبَة مولاة أبى لهب بلبن ابن لها يقال له: مَسْرُوح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى.

وكانت عادة الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم؛ نأيًا بهم عن أمراض الحواضر؛ ولتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربى فى مهدهم، فالتمس عبد المطلب لرسول الله المراضع، واسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر، وهى حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث، وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبى كبشة من القبيلة نفسها.

ورأت حليمة من بركته ما قصَّت منه العجب، ولنتركها تروى ذلك مفصلاً:

قال ابن إسحاق: كانت حليمة تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء. قالت وذلك فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئًا، قالت: فخرجت على أتان لى

---

٩ - روى ذلك الطبرى والبيهقى وغيرهما.. وليس له إسناد ثابت.

قمراء، ومعنا شارف لنا، والله ما تَبضُّ بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا، من بكائه من الجوع، ما فَى ثديى ما يغنيه، وما فى شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتانى تلك، فلقد أذَمَّتْ بالركب حتى شق ذلك عليهم، ضعفاً وعجفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبى الصبى، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعًا غيرى، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى: والله، إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فآخذنه. قال: لا عليك أن تفعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه وأخذته، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلى، فلما وضعته فى حجرى أقبل على ثديى بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجى إلى شارفنا تلك، فإذا هى حافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبى حين أصبحنا: تعلمى والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إنى لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتانى، وحملته عليها معى، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شىء من حمرهم، حتى إن صواحبى ليقلن لى: يا ابنة أبى ذؤيب، ويحك! أربعى علينا، أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهى هى، فيقلن: والله إن لها شأنًا، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمى تروح علىَّ حين قدمنا به معنا شباعًا لُبَّنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها فى ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمى شباعًا لبنًا .فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرًا. قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابنى عندى حتى يغلظ، فإنى أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا.

وحدثت أحداث عند حليمة تتصل بمحمد فخافت عليه حليمة وأعادته إلى أمه، فكان عند أمه إلى أن بلغ ست سنين.[١٠] .

وفى أحد الأيام رأت آمنة ـ وفاء لذكرى زوجها الراحل ـ أن تزور قبره بيثرب، فخرجت من مكة قاطعة رحلة تبلغ نحو خمسمائة كيلو متر، ومعها ولدها اليتيم ـ محمد ـ وخادمتها أم أيمن، وقيمها عبد المطلب، فمكثت شهرًا ثم قفلت، وبينما هى راجعة إذ لحقها المرض فى أوائل الطريق، ثم اشتد حتى ماتت بالأَبْوَاء بين مكة والمدينة.

وعاد به عبد المطلب إلى مكة، وكانت مشاعر الحنو فى فؤاده تربو نحو حفيده اليتيم الذى أصيب بمصاب جديد نَكَأ الجروح القديمة، فَرَقَّ عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده، فكان لا يدعه لوحدته المفروضة، بل يؤثره على أولاده.

قال ابن هشام: كان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابنى هذا، فوالله إن له لشأنًا، ثم يجلس معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

ولثمانى سنوات وشهرين وعشرة أيام من عمره توفى جده عبد المطلب بمكة، ورأى قبل وفاته أن يعهد بكفالة حفيده إلى عمه أبى طالب شقيق أبيه.

ونهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم، واختصه بفضل احترام وتقدير، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله.

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة سنة ـ قيل: وشهرين وعشرة أيام ـ ارتحل به أبو طالب تاجرًا إلى الشام، حتى وصل إلى بُصْرَى ـ وهى معدودة من الشام، وقَصَبَة لحُورَان، وكانت فى ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التى كانت تحت حكم الرومان. وكان فى هذا البلد راهب عرف

١٠-السيرة النبوية لابن إسحاق (ص٤٤١).

ببحِيرَى، واسمه - فيما يقال: جرجيس، فلما نزل الركب خرج إليهم، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك، فجعل يتخلّلهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أبو طالب وأشياخ قريش وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدًا، ولا يسجدان إلا لنبى، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، «وإنا نجده فى كتبنا»، ثم أكرمهم بالضيافة، وسأل أبا طالب أن يرده، ولا يقدم به إلى الشام؛ خوفًا عليه من الروم واليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة، وقد شب مع عمه أبى طالب تحت رعاية الله وحفظه له من أمور الجاهلية وعاداتها السيئة، فكان أفضل قومه مروءةً، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطةً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً وأمانةً، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى، ما رُئى ملاحياً ولا مماريأً أحداً، حتى سمّاه قومه الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

وفى السنة العشرين من عمره وقعت فى سوق عُكاظ حرب بين قريش - ومعهم كنانة - وبين قَيْس عَيْلان، تعرف بحرب الفِجَار وسببها: أن أحد بنى كنانة، واسمه البَرَّاض، اغتال ثلاثة رجال من قيس عيلان، ووصل الخبر إلى عكاظ فثار الطرفان، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية؛ لمكانته فيهم سنا وشرفًا، وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان فى وسط النهار كادت الدائرة تدور على قيس. ثم تداعى بعض قريش إلى الصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين، فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد. فاصطلحوا على ذلك، ووضعوا الحرب، وهدموا ما كان بينهم من العداوة والشر. وسميت بحرب الفجار؛ لانتهاك حرمة الشهر الحرام فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ينبل على عمومته؛ أى يجهز لهم النبل للرمى.

وعلى إثر هذه الحرب وقع حلف الفضول فى ذى القعدة فى شهر حرام، تداعت إليه قبائل من قريش: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدْعان التيمى؛ لسنِّه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها

وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة:"لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت".

وهذا الحلف روحه تنافى الحمية الجاهلية التى كانت العصبية تثيرها، ويقال فى سبب هذا الحلف: إن رجلاً من زُبَيْد قدم مكة ببضاعة، واشتراها منه العاص بن وائل السهمى، وحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الأحلاف عبد الدار ومخزومًا، وجُمَحًا وسَهْمًا وعَدِيًا فلم يكترثوا له، فعلا جبل أبى قُبَيْس، ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته رافعًا صوته، فمشى فى ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مترك؟ حتى اجتمع الذين مضى ذكرهم فى حلف الفضول، فعقدوا الحلف ثم قاموا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدى.

ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عمل معين فى أول شبابه، إلا أن الروايات توالت أنه كان يرعى غنمًا، رعاها فى بنى سعد، وفى مكة لأهلها على قراريط، ويبدو أنه انتقل إلى عمل التجارة حين شب، فقد ورد أنه كان يتجر مع السائب بن أبى السائب المخزومى فكان خير شريك له، لا يدارى ولا يمارى، وجاءه يوم الفتح فرحب به، وقال: مرحبًا بأخى وشريكى.

وفى الخامسة والعشرين من سنه خرج تاجرًا إلى الشام فى مال خديجة رضى الله عنها قال ابن إسحاق: كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها، وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله منها، وخرج فى مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة فى مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه من خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، وجدت ضالتها المنشودة، وكان

السادات والرؤساء يحرصون على زواجها فتأبى عليهم ذلك، فتحدثت بما فى نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه، وهذه ذهبت إليه تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وعلى إثر ذلك تم الزواج، وحضر العقد بنو هاشم ورؤساء مضر، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، وأصدقها عشرين بَكرة. وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا وثروة وعقلاً، وهى أول امرأة تزوجها رسول الله، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت. وكل أولاده منها سوى إبراهيم، ولدت له: أولاً القاسم - وبه كان يكنى - ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله، وكان عبد الله يلقب بالطيب والطاهر، ومات بنوه كلهم فى صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، إلا أنهن أدركتهن الوفاة فى حياته سوى فاطمة رضى الله عنها، فقد تأخرت بعده ستة أشهر ثم لحقت به.

ولخمس وثلاثين سنة من مولده قامت قريش ببناء الكعبة؛ وذلك لأن الكعبة كانت رَضّمًا فوق القامة، ارتفاعها تسعة أذرع من عهد إسماعيل عليه السلام، ولم يكن لها سقف، فسرق نفر من اللصوص كنزها الذى كان فى جوفها، وكانت مع ذلك قد تعرضت - باعتبارها أثرًا قديما - للعوادى التى أدهت بنيانها، وصدعت جدرانها، وقبل بعثته بخمس سنين جرف مكة سيل عرم انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصًا على مكانتها، واتفقوا على ألا يدخلوا فى بنائها إلا طيبًا، فلا يدخلوا فيها مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومى، فأخذ المعول وقال: اللهم لا نريد إلا الخير، ثم هدم ناحية الركنين، ولما لم يصبه شىء تبعه الناس فى الهدم فى اليوم التالى، ولم يزالوا فى الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ فى البناء فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءًا منها. فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة، وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بنّاء رومى اسمه: باقوم.ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه فى مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمسًا، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس فى أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن

المغيرة المخزومى عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله، فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداءً فوضع الحجر وسطه وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعًا بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده فوضعه فى مكانه، وهذا حل حصيف رضى به القوم.

سيرته قبل النبوة

كان النبى قد جمع فى نشأته خير ما فى طبقات الناس من ميزات، وكان طرازًا رفيعًا من الفكر الصائب، والنظر السديد، ونال حظًا وافرًا من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الوسيلة والهدف، وكان يستعين بصمته الطويل على طول التأمل وإدمان الفكرة واستكناه الحق، وطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشئون الناس وأحوال الجماعات، فعاف ما سواها من خرافة، ونأى عنها، ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجد حسنًا شارك فيه وإلا عاد إلى عزلته العتيدة، فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل مما ذبح على النصب، ولا يحضر للأوثان عيدًا ولا احتفالاً، بل كان من أول نشأته نافرا من هذه المعبودات الباطلة، حتى لم يكن شىء أبغض إليه منها، وحتى أنه كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى.

ولا شك أن القدر حاطه بالحفظ، فعندما تتحرك نوازع النفس لاستطلاع بعض متع الدنيا، وعندما يرضى باتباع بعض التقاليد غير المحمودة .. تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك يحول الله بينى وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمنى برسالته، قلت ليلة للغلام الذى يرعى معى الغنم بأعلى مكة: لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفًا، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذنى فنمت، فما أيقظنى إلا حر الشمس: فعدت إلى

صاحبى فسألنى، فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة فأصابنى مثل أول ليلة...ثم ما هممت بسوء.

وروى البخارى عن جابر بن عبد الله قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبى وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبى: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق، فقال:(إزارى، إزارى) فشد عليه إزاره [11] وفى رواية: فما رُئيت له عورة بعد ذلك [12].

وكان النبى يمتاز فى قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأعزهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وألينهم عَريكة، وأعفهم نفسًا وأكرمهم خيرًا، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهدًا، وآمنهم أمانَة حتى سماه قومه: (الأمين) لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق.

هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة، وهذه لمحة سريعة من حياته قبل أن يكلفه الله بأداء الأمانة التى ائتمنه عليها، ولم تكن هذه الحياة من صنع البشر، بل كانت من صنع رب الرسالة ورب البشر، فهو وحده الذى يعلم أين يجعل رسالته؟

---

١١ - صحيح البخارى (٣٨٢٩).

١٢ - صحيح مسلم بشرح النووى (٣٤٠).

أسماؤه وصفاته ﷺ

لقد أطلق على رسولنا الكريم المصطفى صلى الله عليه وسلم أسماء وصفات عديدة، جميعها يدل على سمو شخصيته وعلو منزلته، لكننى سأقتصر على ما ورد من أسماء وصفات فى القرآن الكريم والسنة النبوية لأنهما مفتاح كل أمر والطريق الهادى إلى كل خير، وهذه بعض اسمائه ﷺ:

محمد: ولم يُسمّ أحد بهذا الاسم قبله إلا قبيل مبعثه عندما سمعت العرب بقرب ظهور نبى باسم محمد، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون هو النبى، **أحمد**: الاسم الذى أتى بالكتب وبشر به الأنبياء من قبل.

أبو القاسم، الماحى، المقفّى أى: خاتم الأنبياء، الحاشر، العاقب أى: آخر الأنبياء، نبى التوبة، نبى الرحمة، نبى المرحمة، نبى الملحمة، الرحمة المهداة، سيد ولد آدم، حبيب الرحمن، المختار، المصطفى، المجتبى، الصادق، المصدوق، الأمين، صاحب الشفاعة والمقام المحمود، صاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، صاحب التاج والمعراج، إمام المتقين، سيد المرسلين، قائد الغر المحجلين، النبى الأمىّ، رسول الله، خاتم النبيين، المزمل، المدثر، المذكر، الشاهد، المبشر والبشير، النذير، الداعى إلى الله، السراج المنير، النور، الحق، الهادى، الكريم، الرءوف الرحيم، قدم صدق،العروة الوثقى، الصراط المستقيم، النجم الثاقب، طه، على خلاف بين العلماء، يس.

أوصافه

إن واصفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة كثيرون، مثل على بن أبى طالب، وعائشة أم المؤمنين، وأنس بن مالك، وأبى هريرة، وهند بنت أبى هالة، وغيرهم، فكلهم وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلهم صادق فى وصفه، وكلهم متفق فيما ذكره من أوصافه، ولكن الأمر الجليل أن عددًا من الصحابة لم يستطيعوا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس لقصور فى بلاغتهم، ولا لعيب فى بيانهم، ولكن لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهابة بحيث لم يجرؤوا على إطالة النظر فى وجهه الكريم، فهذا عمرو بن العاص يقول: ما كان أحد أحب إلىّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجلّ فى عينى منه، وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأنى لم أكن أملأ عينى منه.

وباستقراء بعض أقوال من وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضى الله عنهم يمكن إيجاز أوصافه صلى الله عليه وسلم التى أجمع عليها كل من شاهده من صحابته الأبرار رضى الله عنهم على النحو التالى:

لونه صلى الله عليه وسلم أبيض مشربًا بحمرة، ليس بنحيل ولا سمين، أحسن الناس قوامًا، وأحسنهم وجهًا، وأحسنهم لونًا، وأطيبهم ريحًا، وأقواهم حواس، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وكان إلى الطول أقرب، لم يماش أحدًا من الناس إلا طاله، إذا جلس يكون كتفه أعلى من الجالس، طوله وعرضه متناسبان على أتم صفة، ضخم الرأس، كثير الشعر، كان شعره يصل إلى أنصاف أذنيه إذا قصره، وإذا غفل عن تقصيره وطال زمن إرساله وصل إلى منكبه، شعره ليس بالمنبسط المسترسل ولا بالمتكسر، بل بينهما، أحيانًا يرسله على جبهته، وأحيانًا أخرى يفرقه فى وسط رأسه، ولا يترك منه شيئًا على جبهته، جبينه واسع أملس جلى، إذا طلع من بين شعره أو عند الليل أو طلع بوجهه على الناس، تراءى كأنه السراج المتوقد يتلألأ، حاجباه دقيقان طويلان ممتدان إلى آخر العينين، متقوسان ومتصلان اتصالاً خفيفاً لا يرى لأحد إلا إذا دقق النظر فيهما، بين حاجبيه عِرق يحركه ويظهره الغضب، فكان إذا غضب وكان لا يغضب إلا لله امتلأ ذلك العِرق دماً، فيظهر ويرتفع

عيناه واسعتان شديد بياضهما، شديد سوادهما، لا يغيب من سوادهما شىء، مشربتان بحمرة من عروق حمر رقاق كانت فى بياضهما، طويل شعر أجفانهما، كأنه أكحل العينين وليس بأكحل، أنفه معتدلة حسنة الطول، دقيقة الأرنبة، مرتفعة الوسط، لها نور يعلوها، خداه أصلبان، قليل لحمهما، رقيق جلدهما، ليس فيهما نتوء أو ارتفاع، واسع الفم، رقيق الشفتين، أسنانه براقة بيضاء، صافية محددة، متباعدة ما بين الثنايا والرباعيات[١٣]، إذا تكلم رُئى كالنور يخرج من بين ثناياه، لا يضحك إلا تبسماً، ريقه طيبة عذبة، فيها الشفاء والرواء والغذاء والبركة والنماء، لحيته كثيفة الشعر، سوداء مستديرة، مابين ذقنه وشفته السفلى بارز ومرتفع، تحت شفته السفلى شعر منقاد على شعر اللحية كأنه منها، لم يبلغ شعره الأبيض فى رأسه ولحيته عشرين شعرة، أكثرها فى لحيته ما بين ذقنه وشفته السفلى، أما شعره الأبيض فى رأسه ففى مفرق رأسه، وجهه مستدير، شديد الحسن، ظاهر الوضاءة والإشراق، يتلألأ كما يتلألأ وجه القمر ليلة البدر، يؤنس كل من شاهده، إذا سُر برقت أسارير وجهه، وهى الخطوط التى تكون فى الجبهة، تام الأذنين، طويل الرقبة، طويل العنق، عنقه كالفضة فى صفائها، إذا ظهر للشمس فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ فى بياض الفضة وحمرة الذهب، وإذا ابتعد عن الشمس فكأنه القمر ليلة البدر، عريض الكتفين، بعيد ما بين المنكبين؛ مما يدل على سعة الصدر والظهر، على منكبيه شعر كثير، عند كتفه الأيسر خاتم النبوة، وهو قطعة لحم مرتفعة تشبه جسمه، عليها نقط حمراء، قدر بيضة الحمامة، عريض الصدر، بطنه مستو مع صدره، لم يكن منتفخ الخاصرة ولا نحيلها، موصول من أسفل الحلق إلى السرة بشعر يجرى كالخط، وليس على صدره وبطنه شعر سوى ذلك، إبطاه بيض لا شعر فيهما، ضخم الكفين، طويل الأصابع، طويل الذراعين عريضهما، عظام ساعديه وساقيه ممتدة ليس فيها نتوء، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر، كفاه واسعتان ممتلئتان باللحم، أنعم من الحرير رغم ضخامتهما، ضخم القدمين لينهما، ليس فيهما تكسر ولا شقاق، غليظ الأصابع والراحة، سبابة قدمه أطول من سائر أصابعه، أسفل قدميه شديد التجافى عن الأرض، عقباه لحمهما قليل،

١٣ - الثنايا: هى الأسنان الأربعة المتقدمة اثنان فوق واثنان تحت، والرباعيات: أربع أسنان خلف الثنايا ومتباعدة، أى مفلجة.

قدماه تشبهان قدمى سيدنا إبراهيم عليه السلام، كما هى آثارهما فى مقام إبراهيم، ساقه كأنها جمارة نخل فيها دقة ولمعان، عرقه أطيب ريحاً من المسك الشديد الرائحة، إذا صافحه أحد ظل طوال يومه يجد ريحه.

كان عرقه فى وجهه مثل اللؤلؤ، ومع هذا كان يستعمل الطيب فى أكثر أوقاته مبالغة فى طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحى ومجالسة المسلمين، فى صوته بحة وحسن وخشونة، إذا تكلم سما وعلاه البهاء، وإن صمت فعليه الوقار، كلامه وسط ليس بالقليل ولا بالكثير، إذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه، لم يكن يرى له ظل فى شمس ولا قمر، فيه ميل للأمام إذا مشى كأنما ينزل من انحدار، إذا التفت التفت بجسمه كله.

أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم نطقاً، وأشدهم لفظاً، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طريق الصواب. من رآه هابه ومن خالطه أحبه، يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم، يخاطب كلا منهم بما يفهمون، ويحادثهم بما يعلمون، أوضح خلق الله إذا لفظ، وأنصحهم إذا وعظ، لا يقول فحشاً، ولا ينطق هذراً، كلامه كله يثمر علماً وحكمة، لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه فى مقالته، ولا أجزل منه فى عذوبته، أحكم الخلق تبياناً، وأفصحهم لساناً، وأوضحهم بيانا. ما ولدت العرب فيما مضى ولا تلد فيما بقى أفصح منه.

أخلاقياته ﷺ

لقد تمثلت فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمى مكارم الأخلاق، وتجمعت فيه كل الصفات الحميدة، فتعلق الناس به، وتركوا فى حبه كل ما كان يربطهم بحياة الجاهلية الأولى، ولذا أثنى الله سبحانه وتعالى عليه بما لم يثن على نبى من أنبيائه، فقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[١٤].

وهذه بعض الصفات التى امتاز بها الرسول صلى الله عليه وسلم وقربته إلى القلوب، نوجزها فيما يلى:

كرم النبى صلى الله عليه وسلم

لقد كان كرم النبى صلى الله عليه وسلم لوناً جديداً لم يعرفه العرب، ولم يألفه غيرهم، فلم يكن كرمه لكسب مَحمَدة أو اتقاء منقصة، ولم يكن للمباهاة ، أو لاجتلاب المادحين، بل كان فى سبيل الله وابتغاء مرضاته، كان فى حماية الدين، وفى مؤازرة الدعوة، وفى محاربة الذين يصدون عن سبيل الله، فهو يعطى أحوج ما يكون إلى ما يعطيه، ويبذل الكثير وهو محتاج إلى القليل، وكان ينفق فى سبيل الله ما استطاع أن ينفق، وهو يستقلل ما أنفق، وكان يعطى العطاء الجزيل، فلا يستكثر ما أعطى، وما سئل عن شىء قط إلا أعطاه، وكان يستحى أن يرد سائله خالى اليدين.

---

١٤ - الآية (٤) من سورة القلم.

أتاه صلى الله عليه وسلم رجل فسأله، فأعطاه غنماً سدت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه وقال: أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة[١٥].

وحمل إليه صلى الله عليه وسلم تسعون ألف درهم، فوضعها على حصير، ثم قام فقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها[١٦].

صدق النبى صلى الله عليه وسلم

فهو صلى الله عليه وسلم صادق مع ربه، صادق مع نفسه، صادق مع الناس، صادق مع أهله، صادق مع أعدائه، فلو كان الصدق رجلاً لكان محمداً صلى الله عليه وسلم، وهل يُتعلم الصدق إلا منه صلى الله عليه وسلم.. وهل ينقل الصدق إلا عنه صلى الله عليه وسلم فهو الصادق الأمين فى الجاهلية والإسلام، أجمع الذين عرفوا النبى صلى الله عليه وسلم وخالطوه منذ صباه على أنه صادق أمين، لم يسمعوا من فمه أكذوبة قط، ولم يشكوا فى خبر من أخباره، أو يستريبوا فى قول من أقواله، لكن قريشاً التى وثقت واطمأنت إلى صدقه فى صلاتها به ومخالطتها له، ناقضت نفسها، فكذبت نبوته وأنكرت رسالته، فلو أن الذين كذبوه احتكموا إلى ثقتهم به وتجاربهم معه، لعلموا أن الذى يصدقهم الأحاديث والأقوال لا يستطيع أن يكذب على الله[١٧].

ولو أنهم كشفوا عن قلوبهم ما ران عليها من حجب العناد والضلال، والحرص على منافع الدنيا وشهواتها، لأيقنوا أن النبى يدعوهم إلى الحق والخير وفق ما تقتضيه الفطرة الصحيحة والعقل السليم[١٨]، لكنهم عموا عن هذا كله، وعموا عن البينات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم، وأصروا على تكذيب نبوته، وإنكار رسالته، لكن أحداً لم يستطع وصفه بالكذب ، فلو أنه كان كاذباً ما احتمل فى دعوته أفدح المخاطر وأقسى الشدائد، وهو لم يجن من وراء دعوته ما يجنيه أصحاب الدعاوى من رغد وثراء وسلطان، ولو أنه كان كاذباً كما يدعون لآثر على دعواه الرضا بما عرضه عليه قومه من

١٥ – صحيح مسلم (رقم ٢٣١٢).
١٦ – الشفا (ج١، ص ٧٨).
١٧ – فى رحاب التفسير (ص ٧٣٧٠).
١٨ – المرجع السابق (ص ٧٣٧٠).

المال والملك، حينما يئسوا من تراجعه عن الدعوة إلى الإسلام الذى يسفه عقولهم ويلغى أديانهم، ويبطل كثيراً من عاداتهم ومعتقداتهم، ويهدد مصالحهم الشخصية بالزوال، ولو لم يكن صادقاً لأقام نفسه ملكاً على الجزيرة العربية بعد أن دانت له، وبعد أن وافته القبائل لتعلن إسلامها، وتدين له بالولاء، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا، وقد كان ميسورا عليه، بل آثر أن يقضى حياته زاهداً مبغضاً لمظاهر الجاه والسلطان، ولذلك فإن زعماء قريش الذين تولوا معارضة الدعوة لم يلبثوا أن آمنوا بها، وأشربتها نفوسهم، وكافحوا دونها بدمائهم وأموالهم، لأنهم أيقنوا أن محمداً الذى لم يكذب عليهم قط، لم يكذب على الله قط، وليس بصاحب بهتان، ولا طالب مال أو جاه[١٩].

صبر النبى صلى الله عليه وسلم

كان النبى صلى الله عليه وسلم أصبر الناس على الأذى، وكان حظه من البلاء هو النصيب الأوفر، فقد قضى ثلاثاً وعشرين سنة، يدعو إلى التوحيد الخالص عبدة الأوثان واليهود والنصارى، دعوة قوية لا يخفت صوتها، ولا ينقطع صداها، وهم يجدون فى هذه الدعوة تسفيهًا لعقولهم ولآلهتهم، وتقويضاً لسلطانهم ونفوذهم ونظمهم، فيحشدون قواهم لوأدها، أو لتعويق انتشارها، فلا يزداد الرسول صلى الله عليه وسلم إلا حماسة لدعوته وإصراراً عليها، وكلما أمعنوا فى إيذائهم له، احتمله فى ثبات وجلد وصبر، حتى صار أعداء الأمس أصدقاء اليوم، وأقبل المشركون على دين الله أفواجاً يحملون شعاره، ويفدونه بأغلى ما يفتدى به عزيز. فالصبر درعه وترسه وصاحبه وحليفه، كلما أزعجه كلام أعدائه تذكّر ﴿ **فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ** ﴾، وكلما بلغ به الحال أشدّه والأمر أضيقه تذكّر﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾، وكلما راعه هول العدو وأقضّ مضجعه تخطيط الكفار تذكّر ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾.

١٩ - المرجع السابق (ص ٧٣٧٢).

عدل النبى صلى الله عليه وسلم

كان النبى صلى الله عليه وسلم أعدل الناس، فقد استقى عدله من التربية الإلهية، والأخلاق القرآنية، فكانت فطرته السليمة مهيأة للعدل منذ شبابه، ولِمَ لا وهو المبلغ للشريعة، والمنفذ لها، وهو القاضى الأول الذى يطمئن المسلمون إلى أحكامه، ويقتدون بها، فمن يعدل إذا هو لم يعدل؟

إن عدل رسول الله وسع القريب والبعيد، والصديق والعدوّ، والمؤمن والكافر، عدلٌ يزن بالحقّ ويقيم القسط، بل ويحفظ حقوق البهائم والحيوانات، إلى درجة أن يطلب من الآخرين أن يقتصّوا منه خشية أن يكون قد لحقهم منه حيفٌ أو أذى، وهو أبلغ ما يكون من صور العدل.

وفى ظلال المنهج العادل للنبى صلى الله عليه وسلم عادت الحقوق إلى أصحابها وعلم كل امرئ ما له وما عليه، وشعر الناس مسلمهم وكافرهم بنزاهة القضاء وعدالة الأحكام، بعد أن وضع صلى الله عليه وسلم نظاماً رفيعاً وسنّة ماضية تقيم الحقّ وتقضى بالعدل، منهجٌ فيه النصرة للمظلوم، والقهر للظالم الغشوم، فلا الفقير يخشى من فوات حقّه، ولا الغنى يطمع فى الحصول على ما ليس له، ولا الشافعون يطمعون فى درء حدٍّ من حدود الله تعالى.

فها هو النبى صلى الله عليه وسلم يعدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفى يده قِدحُ يعدل به القوم، فمر بسواد بن غُزَيَّة وهو ناتئ من الصف، فطعن فى بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتنى، وقد بعثك الله بالحق، فأقدنى[٢٠]، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: استقد يا سواد، فعانقه سواد، وقبَّل بطنه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم.. ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى، فلم آمن القتل فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير[٢١].

وتلك امرأة مخزومية سرقت، فأحزن قريشاً شأنها، فقالوا ومن يكلم فيها

---

٢٠ – أقدنى: أى دعنى أقتص منك.

٢١ – سيرة بن هشام (ج٢، ص٢٧٨).

رسول الله؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حبيبه؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب، وجاء فى خطبته قوله: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها[٢٢] وخوفاً من تفويت حقوق البعض لاسيما فى القضاء يقول النبى صلى الله عليه وسلم: إنكم تختصمون إلىّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض[٢٣].

فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها[٢٤].

عفو النبى صلى الله عليه وسلم

ما أعظم عفو النبى صلى الله عليه وسلم عن الأعداء، فقد مثَّل عفو الإسلام خير تمثيل، وأفهم الجميع أن الإسلام جاء يريد الخير للجميع، لأوليائه وأعدائه جميعاً، وليس ديناً يحقد على أحد، وليست بعض ممارساته الصارمة نابعة من القسوة، وإنما هى نابعة من روح تعميم العدالة على الجميع.فقد اشتد أذى المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد، إذ قتل عمه حمزة رضى الله عنه ومُثِّل بجسده الشريف، وقتل العشرات من المسلمين، فتقدم بعض الصحابة إلى النبى صلى الله عليه وسلم، واقترحوا عليه أن يدعو على المشركين ليعذبهم الله بعذاب من عنده، كما كان يعذب المشركين الأولين بدعوةِ أنبيائهم عليهم، لكن النبى صلى الله عليه وسلم امتنع عن ذلك وقال: إنى لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة[٢٥].

وجاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم والبردة على كتفيه صلى الله عليه وسلم فجذب الأعرابى أطراف الرداء جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البردة فى صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول بخشونة بالغة: يا محمد، احمل لى على بعيريى هذين من مال الله الذى عندك فإنك لا تحمل

٢٢-اللؤلؤ والمرجان (٦١٠٠).
٢٣ - أى: أقدر على إظهار حجّته.
٢٤ - متفق عليه.
٢٥ - اللؤلؤ والمرجان (١١٧٠).

لى من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبى صلى الله عليه وسلم برهة ثم قال: المال مال الله وأنا عبده ثم قال: ويقتص منك يا أعرابى ما فعلت بى، قال لا فقال صلى الله عليه وسلم: ولم؟ قال: لأنك تعفو وتصفح ولا تكافئ السيئة بالسيئة، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر(٢٦).

ومن عظيم عفوه صلى الله عليه وسلم معاملته مع أهل مكة، أهل الشرك والكفر، الذين قتلوا أصحابه، وأنصاره، وأقرباءه فى الحروب، والذين أخرجوه صلى الله عليه وسلم من مسقط رأسه الشريف، وبلد الله وبلد آبائه، والذين عذبوا المهاجرين بأنواع التعذيب، وقتلوا العديد منهم، والذين تآمروا على قتله صلى الله عليه وسلم عدة مرات، والذين مارسوا معه صلى الله عليه وسلم وأنصاره كل أنواع المظالم، هؤلاء جميعهم، جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم فاتحاً منتصراً عليهم، حياتهم كلها رهن كلمة ينطق بها، ومع هذا نظر إليهم نظرة كلها عفو ورحمة وقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

رحمة النبى صلى الله عليه وسلم

لا تكفى المجدات الكبيرة، للحديث عن رحمته صلى الله عليه وسلم إنما نحتاج حقيقة إلى أعمار وأعمار للاطلاع على مظاهر رحمته ولتقدير مدى عظمته، ويكفى أن نذكر أن الذى شهد له بعظم هذه الرحمة ليس من عاصره أو من سمع عنه فقط، بل شهد بها رب العزة تبارك وتعالى، وجعل هذه الشهادة محفوظة فى كتابه العظيم: القرآن الكريم، يتذكرها المسلمون دوماً كلَّما قرءوا الكتاب العظيم وذلك إلى يوم الدين.. قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾(٢٧).

لقد كانت رحمته صلى الله عليه وسلم رحمة عجيبة، فقد شملت الرجال

٢٦- سنن النسائى: (ج٨، ص٣٣).
٢٧- الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

والنساء، الأقوياء والضعفاء، الأصحاء والمرضى، الأغنياء والفقراء، الخدم والرقيق، الإنسان والحيوان، اليهود والنصارى، حتى أنها شملت قوما خالفوا منهجه، وأنكروا الرسالة، ورفضوا النبوة، وعبدوا غير الله تعالى!

إنَّ هذه الرحمة لخير دليل على أنه كان رحمة للعالمين، بالمفهوم الشامل الواسع لكلمة (العالمين). قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (٢٨).

إنه لشىء شديد الإبهار أن نراه يرحم ويبر ويعطف ويحنو على أولئك الذين عذبوه وعذبوا أصحابه، وعلى أولئك الذين مارسوا معه ومع المسلمين أشد أنواع القسوة والعنف!

إن التاريخ الطويل من الصد عن سبيل الله، وفتنة المسلمين عن دينهم، لم يورث فى قلب رسول الله شعورا بالانتقام، أو رغبة فى الكيد أو التنكيل، إنما على العكس تماما وهذا هو الفارق الجلى بين أخلاق عامة البشر وأخلاق النبوة.

إن رسولنا الكريم كان حريصا كل الحرص على إيصال دعوته إلى كل من هو على غير الإسلام، وكان يبذل قصارى جهده فى الإقناع بالتى هى أحسن، وكان يحزن حزنا شديدا إذا رفض إنسان أو قومٌ الإسلام، فحملها إلى كل مشرك أو يهودى أو نصرانى أو مجوسى، حتى وصل الأمر إلى أن الله عز وجل نهاه عن هذا الحزن والأسى قال تعالى يخاطبه: ﴿ **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾(٢٩) ومع شدة هذا الحزن إلا أن الرسول لم يجعله مبررا للضغط على أحد ليقبل الإسلام إنما جعل الآية الكريمة ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ منهجا له فى حياته، فتحقق فى حياته التوازن الرائع المعجز؛ إذ إنه يدعو إلى الحق الذى معه بكل قوة، ولكنه لا يدفع أحدا إليه مكرها أبدا.. وسبحان الذى رزقه هذا الكمال فى الأخلاق!

---

٢٨ - الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.
٢٩-الآية ٣ من سورة الشعراء.

حلم النبى صلى الله عليه وسلم

ما أسمى صفة الحلم وأحبها إلى القلوب! وكم هى عظيمة هذه الصفة حتى جعلها الله عز وجل من علامات النبوة وبراهينها، وما أروع الموقف الذى يتجلى فيه حلم النبوة فيهتدى به العقلاء إلى دين الله هداية قناعة ويقين ومحبة.

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الحلم، لأن الله تعالى أدبه فأحسن تأديبه، فكان القدوة فى سعة الصدر وسماحة النفس التى تليق بمكانته ورسالته، فهو صلى الله عليه وسلم صاحب دعوة جديدة يعاندها أكثر الناس، وفيهم الأقوياء والضعفاء، والحمقى والعقلاء، والأقارب والبعداء، وفيهم الذين يسألون أو يجادلون ليتبينوا، والذين لا يريدون من الجدال إلا العناد، والحلم فى كل حال من هذه الحالات هو القوة النفسية التى لا تغنى قوة غناءها، وحلمه صلى الله عليه وسلم أوسع من أن يحاط بجوانبه، فلولا هذا الحلم ما استطاع أن يسوس شعباً كالعرب، يأنف أن يطيع أو ينصاع. وهناك كثير من المواقف التاريخية التى تؤكد أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان حليما فى معاملاته مع الناس حتى ولو كانوا أعداءه، فقد روى أن أحد علماء أهل الكتاب من اليهود[٣٠] قال: لم يبق من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفتها فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: أن يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه، فابتعت منه تمراً معلوماً إلى أجل معلوم، وأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته، فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، فقلت يا محمد ألا تقضينى حقى؟ فو الله إنكم يا بنى عبدالمطلب لمطلٌ، وقد كان لى بمخالطتكم علم، فقال عمر بن الخطاب أى عدو الله، أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع؟ فو الله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك، ورسول الله ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدة، وتبسم، ثم قال: أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، تأمرنى بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة[٣١]، اذهب يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً، مكان ما روعته، ففعل عمر رضى

---

٣٠ - هو زيد بن سعنة أحد أحبار اليهود الذين أسلموا.
٣١ - التباعة: ما اتبعت به غيرك.

الله تعالى عنه فقال العالم لعمر: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنتين، لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فقد خبرتهما، فأشهدك أنى رضيت بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً[٣٢].

إن مبدأ الحلم هو أحد المبادئ التى تعامل بها الرسول صلى الله عليه وسلم مع أعدائه وأصحابه على السواء، فكسب الكثير من القلوب فأحاطت به، ولم تكن ترضى أن يصاب الرسول صلى الله عليه وسلم بمكروه حيا أو ميتا فقد أشرقت قلوبهم بنور الإيمان، وساروا وراء صاحب الخلق العظيم الذى يسبق حلمه غضبه، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً وأدركوا معنى قول الله تعالى يخاطب نبيه : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم)[٣٣].

ما أحوجنا إلى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى هذا الخلق الكريم، والطبع النبيل.

شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم

الشجاعة من أكرم الخصال التى يتصف بها الرجال، فهى عنوان القوة، وعليها مدار إعزاز الأمة، والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والشجاعة صفة لا يتحلى بها إلا الأقوياء الذين لا يأبهون الخوف، ولا يجعلون الخور والضعف ديدنهم.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، بل كان المثل الأعلى فى الشجاعة، فقد فرت منه جيوش الأعداء، وقادة الكفر فى كثير من المواجهات الحاسمة، بل كان يتصدر صلى الله عليه وسلم المواقف والمصاعب بقلب ثابت وإيمان راسخ، كان شجاعاً فى جهره بالحق، وفى دفاعه عن العقيدة، مهما تكن عاقبة الشجاعة، كل ذلك من أجل إعلاء كلمة الله، وحماية الإسلام من عدوان المشركين، وتحرير الناس من أغلال الوثنية وإرهاق الاستعباد، ومخازى العقائد والنظم ومفاسد الأخلاق، لتحل محلها أسمى عقيدة، وأصلح نظام، فعندما ضاقت قريش بدعوته إلى الإسلام،

٣٢ - سبل الهدى والرشاد (ج٧، ص٣٦).
٣٣ - الآية ٤ من سورة القلم.

وتسفيه أحلامها، وعيب آلهتها، مشوا إلى عمه أبى طالب وقالوا له: إن لك سناً وشرفاً ومنزلة، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين. فعظم أبو طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه، فقال لمحمد: يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى، فقالوا لى كذا وكذا، فأبق علىّ وعلى نفسك، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه تخلى عنه وأنه خاذله، وأنه قد ضعف عن نصرته فقال: ياعم، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه[٣٤] وقد كان الصحابة رضى الله عنهم، إذا حمى الوطيس، واشتد البأس يحتمون برسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول على رضى الله عنه: «كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه»[٣٥].

إن قوة النبى صلى الله عليه وسلم وشجاعته، لم تكن فى غير محلها، فهذه عائشة رضى الله عنها تقول: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شىء من محارم الله فينتقم لله عز وجل»[٣٦].

لقد كانت مواقف النبى صلى الله عليه وسلم مضرب المثل، ومحط النظر، فهو شجاع فى موطن الشجاعة، قوى فى موطن القوة، رحيم رفيق فى موطن الرفق، فصلوات ربى وسلامه عليه.

تواضع النبى صلى الله عليه وسلم

خُلق التواضع من الأخلاق التى اتصف بها صلى الله عليه وسلم، فقد كان تواضع النبى صلى الله عليه وسلم مضرب الأمثال فى التاريخ كله، لدرجة أنه

٣٤ - سيرة بن هشام (ج١، ص٢٧٥).
٣٥-الشفا (ج١، ص٨٩).
٣٦ - رواه مسلم و صححه الألبانى فى غاية المرام برقم: ٢٥٢.

لم يدع لمتواضع قولاً، ولم يترك لمتكبر حجة، فكان خافض الجناح للكبير والصغير، والقريب والبعيد، والأهل والأصحاب، والرجل والمرأة، والصبى والصغير، والعبد والجارية، والمسلم وغير المسلم، فالكل فى نظره سواء، لا فضل لأحد على آخر إلا بالعمل الصالح .

يقول عبدالله بن مسعود: «نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فقام وقد أثر فى جنبه، قلنا: يا رسول الله: لو أخذنا لك وطاء[٣٧]؟ فقال: مالى وللدنيا، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها[٣٨] .

وسُئلت السيدة عائشة رضى الله عنها: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فى بيته؟ قالت: كان بشراً من البشر، يحلب شاته، ويخيط ثوبه، ويخدم نفسه، ويخصف نعله، ويعمل ما تعمل الرجال فى بيوتهم، ويكون فى مهنة أهله، يعنى خدمة أهله، فإذا سمع المؤذن خرج إلى الصلاة[٣٩] .

سئل أنس بن مالك عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كان يلبس الصوف، ويركب الحمار، ويجلس على الأرض، ويعتقل[٤٠] العنز، ويحلبها، ويأكل على الأرض ويقول: إنما أنا عبد، أجلس كما يجلس العبد[٤١] .

ومن أبرز مظاهر تواضعه صلى الله عليه وسلم ما نجده فى تعامله مع الضعاف من الناس وأصحاب الحاجات؛ كالنساء، والصبيان. فلم يكن يرى عيبًا فى نفسه أن يمشى مع العبد، والأرملة، والمسكين، يواسيهم ويساعدهم فى قضاء حوائجهم. بل فوق هذا، كان عليه الصلاة والسلام إذا مر على الصبيان والصغار سلم عليهم، وداعبهم بكلمة طيبة، أو لاطفهم بلمسة حانية.

تلك صور من تواضعه عليه الصلاة والسلام، وأين هى مما يصوره به اليوم أعداؤه، والمبغضون لهديه، والحاقدون على شريعته؛ ثم أين نحن المسلمين من التخلق بخلق التواضع، الذى جسده نبينا صلى الله عليه وسلم فى حياته خير تجسيد، وقام به خير قيام؟!

---

٣٧ - وطاء: فرشاً ليناً.
٣٨ - صحيح الترمذى وابن ماجة (الترغيب والترهيب، ج٤، ص١٩٨).
٣٩ - صحيح البخارى (فتح البارى، ج١، ص٤٧٦) والترمذى (ج٤، ص٥٦٤).
٤٠ - يعتقل: يمسك.
٤١ - سبل الهدى والرشاد (ج٢، ص ٥٥).

هذه نبذة يسيرة، وقطرة من بحر، عرضتها على القارئ ليرى من خلالها أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلمس السبب الذى جعل الناس يلتفون حوله، ويتمسكون به، ويغارون عليه، ويستوحون منه الحكمة، ويستلهمون من تعاليمه الهداية والرشاد، ويغترفون من ينابيعه العذبة رحيق السماء.

وليس لكاتب أو محقق أو مؤرخ أن يحيط بشمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو بزاوية من زوايا خصاله الفاضلة الطاهرة.

وأعتقد أن البشرية كلها لو اتخذت من الذهب أقلاما، ومن المسك مداداً، ومن الكافور أوراقاً، ومن اللآلئ ألفاظاً، لما استطاعت أن تعدد مآثره الشريفة، أو تحصى أمجاده العريقة، فصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[42].

٤٢- الآية (٤) من سورة القلم.

ماذا قالوا عن النبى ﷺ

إن ديننا الحنيف قد أثَّر فى كثير من كبار العقليات الغربية من أهل الإنصاف، مما جعلهم يجهرون بشهادتهم لنبينا صلى الله عليه وسلم ورسالته، إما تصريحا أو إشارة من خلال مدح حضارتنا الإسلامية عبر التاريخ، وهذا على مرأى ومسمع من العالمين، رغم أنف المعاندين والحاقدين، فشهدوا شهادة عدل وإحسان وإن لم يسلموا، لأن الباحث الغربى المنصف لا يملك إلا أن يقف إجلالا لشخصية نبينا ورسالته.

ومن هنا كان من المناسب أن يكون الردُّ عليهم من كتابات أبناء جلدتهم من كتابهم ومفكريهم، أولئك النَّفر من المحايدين الذين أبوا على أنفسهم أن يلووا أعناق النصوص، ويقلبوا الحقائق التاريخية، أو يختاروا منها ما يحقق غايتهم، هؤلاء الذين التزموا ما يقتضيه البحث العلمى من الأمانة العلمية والأخلاقية فى العرض والأخذ والرد قلائل.. وهذه بعض أقوالهم:

الفيلسوف الإنجليزى «توماس كارليل»:

قال فى كتابه «الأبطال»: «لقد أصبح من العار على أى فرد متمدين من أبناء هذا العصر، أن يصغى إلى ما يدعيه بعض الجهال الحاقدين، من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً ليس بنبى، إن علينا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة».

العلامة الألمانى «كارل هيرنش بكر»:

قال فى كتابه «الشرقيون»: «لقد أخطأ من قال إن نبى العرب دجال أو ساحر، لأنه لم يفهم مبدأه السامى، إن محمداً جدير بالتقدير ومبدأه حرى بالإتباع، وليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وإن محمداً خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال».

المستشرق الكندى الدكتور "زويمر":

قال فى كتابه "الشرق وعاداته":"إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً إنه كان مصلحاً قديراً، وبليغاً فصيحاً، وجريئاً مغواراً ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافى هذه الصفات، وهذا قرآنه الذى جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء".

الدكتور "كولد تستهير" الأستاذ بكلية العلوم جامعة بودابست:

قال فى كتابه "العقيدة والشريعة فى الإسلام" : "الحق أن محمداً كان بلا شك أول مصلح حقيقى فى الشعب العربى من الوجهة التاريخية»..

المستشرق الأمريكى "سنكس":

قال فى كتابه "ديانة العرب" : "ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة".

الدكتور "كلود كاهن" الأستاذ بكلية الآداب جامعة ستراسبورغ بباريس:

قال فى كتابه "تاريخ العرب والشعوب الإسلامية" : "اصطبغت شخصية محمد بصبغة تاريخية قد لا تجدها عند أىٍّ من مؤسسى الديانات الكبرى".

الدكتور "مونته" أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة جنيف:

قال فى كتابه "محمد والقرآن" : "إن طبيعة محمد الدينية، تدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص، فقد كان محمد

مصلحاً دينياً ذا عقيدة راسخة، ولم يقم إلا بعد أن تأمل كثيراً، وبلغ سن الكمال بهذه الدعوة العظيمة التى جعلته من أسطع الأنوار الإنسانية فى الدين".

الكاتب الإنجليزى "برنارد شو":

قال فى كتابه "محمد": "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد، هذا النبى الذى وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع الديانات، خالداً خلود الأبد، وفى رأيى أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق فى حل مشكلاتنا، بما يؤمن السلام والسعادة التى يرنو البشر إليها".

العلامة الفرنسى "ساديو لويس":

قال: "لم يكن محمد نبى العرب بالرجل البشير للعرب فحسب، بل للعالم لو أنصفه الناس، لأنه لم يأت بدين خاص بالعرب، وإن تعاليمه الجديرة بالتقدير والإعجاب، تدل على أنه عظيم فى دينه، عظيم فى صفاته، عظيم فى أخلاقه، وما أحوجنا إلى رجال للعالم أمثال محمد نبى المسلمين".

الأديب العالمى "ليو تولستوى":

قال: "يكفى محمداً فخراً أنه خلَّص أمةً ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقى والتقدم، وأن شريعة محمد، ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة".

البروفيسور الهندى "راماكرشنه راو":

قال فى كتابه "محمد النبى": "لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها، ولكن كل ما فى استطاعتى أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة، فهناك محمد النبى، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامى العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضى، كل هذه الأدوار الرائعة فى كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً".

الدكتور النمساوى "شبرك":

قال: "إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنه رغم أميته، استطاع أن يأتى بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته".

القس الفرنسى "لوزون":

قال:"ليس محمد نبى العرب وحدهم، بل هو أفضل نبى قال بوحدانية الله تعالى".

الكاتب والمؤرخ الفرنسى "لامارتين":

قال: "إذا أردنا أن نبحث عن إنسان عظيم تتحقق فيه جميع صفات العظمة الإنسانية فلن نجد أمامنا سوى محمد الكامل".

الدكتور "هانز كونج" عالم اللاهوت السويسرى:

قال: "محمد نبى حقيقى بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعد، إنكار أن محمداً هو المرشد القائد على طريق النجاة".

بوسورث سميث:

قال فى كتابه "محمد والمحمدية: «لقد كان محمد قائدا سياسيا وزعيما دينيا فى آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت ، إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها».

سانت هيلر:

قال: "كان محمد رئيسًا للدولة، وساهرًا على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب

الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التى كان يعيش النبى بين ظهرانيها، فكان النبى داعيًا إلى ديانة الإله الواحد، وكان فى دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه، وإن فى شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التى تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة".

المفكر الفرنسى لامارتين:

قال: «هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم الفيلسوف، الخطيب، النبى، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التى تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية فى الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبى محمد صلى الله عليه وسلم»؟.

وقال أيضاً : إذا أردنا أن نبحث عن إنسان عظيم تتحقق فيه جميع صفات العظمة الإنسانية فلن نجد أمامنا سوى محمد الكامل».

آن بيزيت:

قال: "من المستحيل لأى شخص يدرس حياة وشخصية نبى العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبى وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبى الجليل، أحد رسل الله العظماء.

مايكل هارت:

قال: "إن اختيارى محمدًا، ليكون الأول فى أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد فى التاريخ كله الذى نجح أعلى نجاح على المستويين: الدينى والدنيوى».

دُرّانى:

قال: "أستطيع أن أقول بكل قوة إنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل فى نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام؛ فهو القدوة الطيبة التى أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفى أثره".

نصرى سلهب:

قال: "هنا عظمة محمد صلى الله عليه وسلم.. لقد استطاع خلال تلك الحقبة القصيرة من الزمن أن يحدث شريعة خلقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد فى التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة".

السير موير:

قال "إن محمدًا نبى المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمدًا أسمى من أن ينتهى إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر فى تاريخه المجيد، ذلك التاريخ الذى ترك محمدًا فى طليعة الرسل ومفكرى العالم".

إدوارد لين الإنجليزى:

قال فى كتابه " أخلاق وعادات المصريين": إن محمداً كان يتصف بكثير من الخصال الحميدة، كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى أن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات فى نفسه من أثر، ولِمَ لا، وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته بصبر وجلد عظيمين، ومع ذلك فقد بلغ من نبله أنه لم يكن يسحب يده من يد من يصافحه حتى ولو كان يصافح طفلاً، وأنه لم يمر يوماً من الأيام بجماعة - رجالاً كانوا أو أطفالاً - دون أن يقرئهم السلام، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة، وقد كان محمد غيوراً ومتحمساً، وكان لا يتنكر للحق ويحارب الباطل، وكان رسولاً من السماء، وكان يريد أن يؤدى رسالته على أكمل وجه، كما أنه لم ينس يوماً من الأيام الغرض الذى بعث لأجله، ودائماً كان يعمل له، ويتحمل فى سبيله جميع أنواع البلايا، حتى انتهى إلى إتمام ما يريد.

المؤلف الكبير ماكس فان برشم:

قال فى مقدمة كتابه "العرب فى آسيا": الحق أن محمداً هو فخر للإنسانية جمعاء وهو الذى جاءها يحمل إليها الرحمة المطلقة فكانت عنوان بعثته "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

مهاتما غاندى:

قال: "أردت أن أعرف صفات الرجل الذى يملك دون نزاع قلوب ملايين البشر. لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التى من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع رقته وصدقه فى الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة فى ربه وفى رسالته. هذه الصفات هى التى مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف ، وبعد انتهائى من قراءة الجزء الثانى من حياة الرسول وجدت نفسى آسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".

سنرستن الآسوجى أستاذ اللغات السامية:

يقول فى كتابه "تاريخ حياة محمد": "إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا؛ فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة فى وجه الجهل والهمجية، مصرًا على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ".

القس ميشون الألمانى فى كتابه "سياحة دينية فى الشرق":

قال "إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التعامل وفضائل حسن المعاملة، وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم، كل ذلك بفضل تعاليم نبيهم محمد ".

غوستاف لوبون:

قال: "إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون

محمدًا صلى الله عليه وسلم مع أن التعصب الدينى أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله..".

لورافيشيا فاغليرى

قال: "كان محمد صلى الله عليه وسلم المتمسك دائمًا بالمبادئ الإلهية شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة. لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، مصطنعًا الأناة دائمًا اعتقادًا منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم وإخراجهم من الظلام إلى النور.. لقد عرف جيدًا أن الله لابد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشرى".

مارسيل بوازار

قال: "لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم على الصعيد التاريخى مبشرًا بدين وحسب، بل كان كذلك مؤسس سياسة غيّرت مجرى التاريخ، وأثرت فى تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق..".

واشنجتون إيرفنج:

قال : «كانت تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم فى أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبى مرسل لا على أنه قائد مظفر؛ فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح فى مركز قوى، ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو».

وهناك الكثير والكثير من الآراء والأقوال التى شهدت بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البشرية وسيادته على العالم.

سيدنا محمد ﷺ رسول كل البشر

اقتضت إرادة الله أن يصطفى من الرسل والأنبياء الذين أرسلوا للناس على مر العصور رسولاً واحداً يتصف بجميع صفات الأنبياء والمرسلين، ليجمع العالم فى إخاء عالمى واحد تحت لواء دين واحد، فبعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم لجميع البشر، عربهم وعجمهم، على اختلاف لغاتهم وأجناسهم، ليبدد سحب الفساد، ويطهر العالم من أدرانه وأوزاره، فامتدت دعوته صلى الله عليه وسلم إلى العالم كله معلنة صراحة بأن الله مظهرٌ دينه على سائر الأديان .

الأدلة على نبوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته:

الدليل الأول: بشارات الكتب السابقة

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾[٤٣] .

٤٣- الآية (٦) من سورة الصف.

وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٤٤].

وقال عز وجل: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٤٥].

وقال جل جلاله: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤٦].

وقد جاء فى التوراة صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض صفته فى القرآن: " يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا، وحرزاً للأميين، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل، لست بفظ ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا تجزى بالسيئة السيئة، ولكن تجزى بالسيئة الحسنة، وتعفو وتغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، فأفتح به أعيناً عميا، وآذاناً صما، وقلوباً غلفا، بأن يقولوا: لا إله إلا الله"[٤٧].

٤٤- الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.
٤٥- الآية (٢٩) من سورة الفتح.
٤٦- الآيتان (١٩)، (٢٠) من سورة الأنعام.
٤٧- هداية الحيارى (ص٢٥٦).

ويروى أن الله عز وجل أوحى إلى عيسى بن مريم: "جد فى أمرى ولا تهزل، واسمع وأطع يابن الطاهر البتول، إنى خلقتك من غير فحل، وجعلتك آية للعالمين، فإياى فاعبد وعلىّ فتوكل، فبين لأهل سوران أنى أنا الحق القائم الذى لا أزول، صدقوا بالنبى العربى، صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة، الجعد الرأس، الصلت الجبين[48]، المقرون الحاجبين، الأدعج العينين[49]،الأقنى الأنف، الواضح الخدين، الكث اللحية، عرقه فى وجهه كاللؤلؤ، ريحه المسك ينضح منه، كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجرى فى تراقيه، له شعرات من لبته[50] إلى سرته تجرى كالقضيب، ليس على صدره ولا بطنه شعر غيره، ششن[51] الكفين والقدمين، إذا جامع الناس غمرهم، وإذا مشى كأنما ينقلع من الصخر وينحدر فى صبب، ذو النسل القليل[52]".

هذه بشارات من الكتب السابقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما جاءت فى الكتاب والسنة، والأخبار متواترة عمن اطلع على ما فيها بذلك، والأخبار متواترة عمن أسلم لأجل ذلك، وهذا مما يوجب القطع بأنه مذكور فيها بما يدل على صدقه فى دعوى النبوة، لأنه لو لم يكن صادقاً، لحذر منه الأنبياء أشد التحذير، ولنفروا أممهم منه أشد التنفير، لأنهم جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة فى كتبهم، ونهوا أممهم عن اتباعهم، والاقتداء بهم، كما أنذرت الكتب المتقدمة بالمسيح الدجال وحذرت منه، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح " ما من نبى إلا وقد أنذر أمته المسيح الدجال، حتى نوح أنذر أمته".

ومعلوم أنه لم ينص نبى من الأنبياء على التحذير من محمد صلى الله عليه وسلم ولا التنفير منه، ولا الإخبار عنه بشىء خلاف مدحه والثناء، والبشارة بوجوده، والأمر باتباعه، والنهى عن مخالفته والخروج عن طاعته.

٤٨- الصلت الجبين: الواسع الجبين.
٤٩- الأدعج العينين: الذى فى عينيه اتساع.
٥٠- اللبة: موضع القلادة من الصدر.
٥١- الششن: الغليظ الخشن.
٥٢- البداية والنهاية (ج٥، ص٦٢).

الدليل الثانى: علامات النبوة وهى:

العلامة الأولى: تقول آمنة بنت وهب: "لما وضعته خرج منه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم أخذ قبضة من تراب وقبضها، ورفع رأسه إلى السماء، مقبوضة أصابع يده، مشيراً بالسبابة كالمسبح بها، وخرج معه نور، أضاء له قصور الشام وأسواقها، حتى رأيت أعناق الإبل ببصرى" [٥٣].

يقول ابن سعد فى "الطبقات الكبرى": "أضاءت قصور بصرى بالنور الذى خرج منه إشارة إلى ما خص الشام من نبوته" [٥٤].

ويقول الإمام العلامة شمس الدين الجوجرى: "وفى رفع بصره صلى الله عليه وسلم فى تلك الحال إشارة وإيماء إلى ارتفاع شأنه وعلو قدره، وأنه يسود الخلق أجمعين" [٥٥].

العلامة الثانية: تذكر كتب السيرة الإسلامية والحديث أن اليهود اضطربوا يوم مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففى رواية لأم المؤمنين عائشة أنها قالت: كان يهودى قد سكن بمكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا: لا نعلم قال: انظروا فإنه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الأمة بين كتفيه علامة ، فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم إلى أمه فأخرجته لهم فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشياً عليه وقال: ذهبت النبوة من بنى إسرائيل يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب.

العلامة الثالثة: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من كرامتى على ربى أنى ولدت مختوناً، ولم ير أحد سوأتى".

يقول العلماء: "وهذا غاية الكمال، لأن القلفة ربما تمنع من تكميل النظافة والطهارة، وتمنع كمال لذة الجماع، فأوجد الله تعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً مكملاً سالماً من النقائص والمعايب" [٥٦].

٥٣- صحيح أحمد (ج٤، ص٢٧).
٥٤- الطبقات الكبرى (ج١، ص٤١٢).
٥٥- الطبقات الكبرى (ج١، ص٤١٤).
٥٦- سبيل الهدى والرشاد (ج١، ص٤٢٥).

العلامة الرابعة: كان فى عهد الجاهلية إذا ولد لهم مولود، وضعوه تحت الإناء لا ينظرون إليه حتى يصبحوا، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرحوه تحت برمة، فلما أصبحوا أتوا إلى البرمة، فإذا هى قد انفلقت اثنتين وعيناه صلى الله عليه وسلم إلى السماء[٥٧]، تقول آمنة بنت وهب: "ووجدته يمص إبهامه يشخب [٥٨] لبنا [٥٩] ".

يقول العلماء: انفلاق البرمة عنه صلى الله عليه وسلم إشارة إلى ظهور أمره وانتشاره، وأنه يفلق ظلمة الجهل ويزيلها [٦٠].

العلامة الخامسة: لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس [٦١] إيوان [٦٢] كسرى[٦٣]، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت[٦٤] بحيرة ساوة[٦٥]، ورأى الموبذان [٦٦] إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك، وتصبر عليه تشجعاً، ثم رأى ألا يدخر ذلك عن وزرائه، فجمعهم وقال لهم:تدرون فيم بعثت؟ قالوا : لا إلا أن تخبرنا بذلك، فأخبرهم بما هاله، فقال الموبذان: وأنا رأيت فى هذه الليلة، فقص عليهم رؤيا الإبل، فقال كسرى: أى شئ يكون هذا يا موبذان؟ قال: حدث يكون من ناحية العرب، فكتب كسرى كتاباً إلى النعمان بن المنذر طالباً عالماً يسأله، فوجه إليه النعمان عبد المسيح بن عمرو بن حسان، فلما قدم عليه قال: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: يسألنى الملك أو يخبرنى الملك، فإن كان عندى علم منه أخبرته، وإلا دللته على من يعلمه، فأخبره كسرى فقال له: علم ذلك عند خال لى يسكن مشارق الشام يقال له

٥٧- دلائل النبوة لأبى نعيم (ص٩٦) والطبقات الكبرى (ج١، ص٤١٨).
٥٨- يشخب: يسيل.
٥٩- الطبقات الكبرى (ج١، ص٤١٨).
٦٠- سبيل الهدى والرشاد (ج١، ص٤٢٦).
٦١- ارتجس: اضطرب وانشق.
٦٢- الإيوان: بناء محكم كان مشهورًا بالمدائن من أرض العراق سمكه مائة ذراع.
٦٣- كسرى: اسم ملك الفرس.
٦٤- غاضت: أصبحت جافة كأن لم يكن بها شيء من الماء.
٦٥- ساوة: اسم مدينة.
٦٦- الموبذان: اسم لحاكم المجوس كقاضى القضاة للمسلمين.

سطيح، فقال له كسرى: فاذهب إليه فاسأله وائتنى بتأويل ما عنده، فنهض عبد المسيح حتى قدم على سطيح وقد أشرف على الموت، فسلم عليه وحياه فلم يرد، فأنشأ عبد المسيح يقول: أصم أم يسمع غطريف[٦٧] اليمن. فى أبيات ذكرها، فلما سمع سطيح كلامه فتح عينيه ثم قال: عبد المسيح على جمل مشيح [٦٨] أقبل إلى سطيح، وقد أوفى [٦٩] على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، يا عبد المسيح: إذا أكثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة[٧٠] وفاض وادى سماوة [٧١] وغاضت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ماهو آتٍ آتٍ، ثم قضى سطيح مكانه، فأتى عبد المسيح إلى كسرى فأخبره [٧٢].

العلامة السادسة: خاتم النبوة ، ويقول عنه جابر بن سمرة فيما رواه مسلم والترمذى: رأيت خاتما فى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمام [٧٣] .

وفى رواية "كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بين كتفيه غدة حمراء [٧٤] مثل بيضة الحمامة" [٧٥] .

وقد تعددت الروايات فى وصف خاتم النبوة وجميعها متفقة على أنه كان فى أعلى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهة اليسرى كقدر بيضة الحمامة تقريباً عليها حبيبات لونها أحمر، أو عليها شعر أحمر، وهو الوصف الذى ورد فى الكتب السابقة علامة على أنه نبى الله ورسوله إلى الناس كلهم" [٧٦].

٦٧- الغطريف: السيد.
٦٨- مشيح: سريع .
٦٩- أوفى: أشرف.
٧٠- الهراوة: العصا
٧١- سماوة: بادية لبنى كلب عند الكوفة كانت أرضًا عالية لا حجر فيها، لها طول ولا عرض لها.
٧٢- دلائل النبوة لأبى نعيم (ص٩٦)
٧٣- صحيح البخارى (فتح البارى ج٦، ص٦٤٨)
٧٤- غدة: أى بضعة كبيضة الحمامة لونها أحمر.
٧٥- رواه الترمذى وصححه الألبانى فى سنن الترمذى(٣٦٤٤)
٧٦- التاج (ص٢٤٧)

العلامة السابعة: يقول أنس بن مالك: جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه، فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فرمى بها وقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم[٧٧].

فهذه كرامة من عند الله لرسوله صلى الله عليه وسلم لينشأ مبرأً من كل عيب، ويكتمل خلقه بعد نزع العلقة السوداء التى هى حظ الشيطان من كل البشر[٧٨].

الدليل الثالث: شهود الرسالة

الأنبياء:

لم يبعث الله نبياً قط من لدن نوح، إلا أخذ ميثاقه ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم وينصره إن خرج وهم أحياء، يقول تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[٧٩].

وعلى ذلك فلو بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى زمن آدم ونوح وإبراهيم وعيسى وموسى وغيرهم، وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به صلى الله عليه وسلم واتباعه ونصرته.

اليهود:

حضرت عصابة من اليهود نبى الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمها إلا نبى، قال: سلونى عما

٧٧- صحيح مسلم بشرح النووى(رقم٢٦١).
٧٨- فتح البارى شرح صحيح البخارى (ج٧، ص٢٤٤).
٧٩- الآيتان (٨١)، (٨٢) من سورة آل عمران.

شئتم ولكن اجعلوا لى ذمة الله عز وجل، وما أخذ يعقوب على بنيه، لئن حدثتكم شيئاً لتبايعنى ، قالوا : فذلك لك، قالوا : أربع خلال نسألك عنها . أخبرنا أى طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ وأخبرنا كيف ماء الرجل من ماء المرأة، وكيف الأنثى منه والذكر ؟ وأخبرنا كيف هذا النبى الأمى فى النوم ومن وليه من الملائكة ؟ وأخبرنا ما هذا الرعد ؟

فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه، لئن أخبرتكم لتبايعنى، فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال فأنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً طال سقمه فنذر لئن عافاه الله عز وجل، ليحرمن أحب الطعام والشراب، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها، فقالوا اللهم نعم، اللهم اشهد، وقال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان الولد والشبه بإذن الله عز وجل: إن علا ماء الرجل كان ذكراً بإذن الله تعالى، وإن علا ماء المرأة كان أنثى بإذن الله تعالى، قالوا اللهم نعم اللهم اشهد، قال: فأنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن النبى الأمىّ تنام عينه ولا ينام قلبه، قالوا اللهم نعم، اللهم اشهد، قالوا : أنت الآن حدثنا من وليك من الملائكة ؟ فعندها نجامعك أو نفارقك، قال: وليى جبريل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا هو وليه، قالوا : فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة لاتبعناك وصدقناك، قال: فما يمنعكم أن تصدقونى ؟ قالوا : هذا عدونا من الملائكة فأنزل الله عز وجل ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [٨٠] . وأنزل سبحانه قوله ﴿ **فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ** ﴾ [٨١] .

قالوا أخبرنا عن هذا الرعد ؟ قال: ملك من ملائكة الله عز وجل، موكل بالسحاب، بيده مخراق[٨٢] من نار يزجر به السحاب فيسوقه حيث أمره الله، قالوا : فما هذا الصوت ؟ قال صوته، قالوا : صدقت[٨٣] .

٨٠- الآية (٩٧) من سورة البقرة
٨١- الآية (٩٠) من سورة البقرة
٨٢- المخراق: آله تزجر بها الملائكة السحاب
٨٣- الطبقات الكبرى (ج١، ص١٣٨)

الملوك: ومنهم:

١-هرقل عظيم الروم:

لما أرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، يدعوه إلى الإسلام، سأل عن عشر خصال عن النبى صلى الله عليه وسلم أجابه عنها أبو سفيان، صاحب العداوة الشديدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان إذ ذاك على الكفر، فقال له: كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟ قال هو فينا ذو نسب، فقال له: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله ؟ قال: لا، فقال له: فهل من آبائه من ملك ؟ قال: لا، فقال له: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قال: بل ضعفاؤهم، فقال له: يزيدون أم ينقصون ؟ قال: بل يزيدون، فقال له: فهل يغدر ؟ قال: لا، فقال له: فهل قاتلتموه وقاتلكم؟ قال: نعم، فقال له: فكيف حربكم وحربه ؟ قال: كانت دولا وسجالا، يصيب منا ونصيب منه، فقال له: فماذا يأمركم به ؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، فقال له: هذه صفة نبى قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يكن ما قلت حقاً، يوشك أن يملك موضع قدمىّ هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه[٨٤] . ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر به فقرئ، فإذا فيه:

" من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: أسلم تسلم، واسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين[٨٥] ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ ، (آل عمران – الآية ٦٤).

٢-النجاشى ملك الحبشة:

عندما هاجر المسلمون إلى الحبشة، أرسلت قريش للنجاشى عبد الله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص، ومعهما الهدايا النفيسة، كى يرد المسلمين إلى

٨٤- تاريخ الإسلام للذهبى (ص ٤١٨)

٨٥- الأريسيون هم فلاحو السواد. وقيل هم قوم من المجوس غير أنهم لا يعبدون النار، وقيل هم فرقة فى رهط هرقل.

مكة، فلما دخلا عليه، قالا له: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم، من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم. فغضب النجاشى ثم قال: وأيم الله لا أسلمهم حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك، منعتهم منهما وأحسنت جوارى ما جاورونى.

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، فلما جاءوه سألهم فقال: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الأمة؟

فكلمه جعفر بن أبى طالب فقال: أيها الملك: كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والصيام، وعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدى علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك، فقال النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من شىء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال النجاشى: فاقرأه علىّ، فقرأ عليه آيات من سورة مريم، فبكى النجاشى حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم، ثم قال النجاشى: إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم قال لعبد الله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص: انطلقا ، فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ولا أكاد.

الموتى:

روى سعيد بن المسيب، أن زيدًا بن خارجة الأنصارى، توفى زمن عثمان بن عفان، فسجى فى ثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة فى صدره، ثم تكلم، ثم قال: أحمد أحمد فى الكتاب الأول، صدق صدق[٨٦] .

البُكم:

جاءت امرأة بابن لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن ابنى هذا لم يتكلم منذ ولد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنيه، فأدنته منه، فقال: من أنا؟ فقال: أنت رسول الله[٨٧].

الوحوش:

روى عن أبى سعيد الخدرى: بينما راع يرعى غنماً له، عرض الذئب لشاة منها، فأخذها الراعى منه، فأقعى الذئبُ على ذنبه وقال للراعى: ألا تتقى الله؟ حلت بينى وبين رزق ساقه الله إلىّ ! قال الراعى: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله بين الحرتين[٨٨] يحدث الناس بأنباء ما قد سبق[٨٩].

الحيوانات:

روى عن زيد بن أرقم قال: كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء أعرابى، فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء، فقالت: يا رسول الله إن هذا الأعرابى اصطادنى ولى خشفان[٩٠] فى البرية، وقد تعقد هذا اللبن فى أخلافى، فلا هو يذبحنى فأستريح، ولا

٨٦- صحيح البيهقى (دلائل النبوة، ص ٢٥٢)

٨٧- دلائل النبوة لابن كثير (ص٦١) وتهذيب التهذيب (ج٤، ص٣٦٤)

٨٨- الحرة: ثنية مرتفعة ذات حجارة سود والحرتان بالمدينة.

٨٩- صحيح أحمد (جـ ٣، ص ٨٣)

٩٠- الخشف: ولد الغزال

يدعنى فأرجع إلى خشفىّ فى البرية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تركتك ترجعين؟ قالت نعم وإلا عذبنى الله عذاب العشَّار، فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم تلبث أن جاءت تلمظ، فشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخباء، وأقبل الأعرابى ومعه قربة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتبيعنيها؟ قال هى لك يا رسول الله، فأطلقها رسول الله[٩١].

قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسيح فى البرية، وتقول لا إله إلا الله محمد رسول الله[٩٢].

الدليل الرابع :

معجزاته صلى الله عليه وسلم

الإنسان دائما ينظر إلى أن أى رسول لابد وأن تظهر معه آثار قدرة الله، فتظهر على يديه خوارق لعادات وقوانين وأسباب هذا الكون، مما لا يمكن أن يكون للجهد البشرى فيه علاقة، فيعرف الناس بذلك أن هذا الإنسان رسول الله، بدليل أنها ظهرت معه آثار قدرة الله، وتقوم بذلك حجة الله على خلقه بأنه أرسل رسولاً، وتقوم بذلك حجة الرسول على الخلق، بأنه صادق فى دعوى الرسالة، ولا يكون لأحد عذر فى عدم اتباع الرسول بعد ذلك.

وكما تقوم الحجة على من عاصر الرسول، تقوم على من بعدهم بثبوت معجزاته تاريخيا، إذ الثابت تاريخياً، كالثابت مشاهدة فى إقامة الحجة.

٩١- دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٠) والخصائص الكبرى (جـ ٢، ص ٢١)

٩٢- البداية والنهاية (جـ ٦، ص ١٤٧)

ولم يوجد رسول فى تاريخ العالم، كانت له معجزات كثيرة ثابتة ثبوتا تاريخياً، مثلما كان لخاتم رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا تُبقى ريباً لمرتاب إلا إذا مات إنصافه مع قلبه فعمى بذلك عقله.

وهذه نماذج من هذه المعجزات التى لا تفسر إلا بالقدرة الإلهية المؤيدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

المعجزة الأولى: القرآن الكريم

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة لنبى الإسلام صلى الله عليه وسلم منذ نزوله من السماء وحتى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ورسول الله الذى جاء بالقرآن، قال للخلق كلهم، أنا رسول الله إليكم جميعا، ومن آياتى هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتى بمثله وأنا أخبركم أن أحداً لا يأتى بمثله، يقول الله تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾[٩٥]، ويقول سبحانه: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[٩٦].

وقد مضى حتى الآن مئات السنين ولم يستطع الإنس ولا الجن أن يأتوا بسورة أو بعشر سور من مثله، لأنه آية الله فى الأرض، ولا يصح ولا يعقل، أن يفتريه أحد على الله من دونه، وينسبه إليه، إذ لا يقدر على ذلك غيره عز وجل، فإن ما فيه من علوم عالية، وحكم سامية، وتشريع عادل، وآداب اجتماعية، وإنباء بالغيوب الماضية والمستقبلية، ليس فى طوق البشر ولا هو داخل تحت قدرته، يقول تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ**

٩٥- الآية (٨٨) من سورة الإسراء
٩٦- الآيتان (٢٣)، (٢٤) من سورة البقرة

وَلَكِن تَصْــدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْـصِــيلَ الْكِتَــابِ لا رَيْبَ فِــيــهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[97].

ولذلك كان القرآن معجزة خالدة، باقية بقاء هذه الحياة، تحاج كل مكذب، وتتحدى كل منكر، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

97- الآية (37) من سورة يونس

ماذا قالوا عن القرآن؟

هذه نماذج لبعض الشخصيات الغربية التى قرأت القرآن وأدركت حقيقته، فماذا قالوا عنه؟

كاسيوس كلاى بطل الملاكمة العالمى:

قال: «لقد قرأت معانى القرآن الكريم مترجمة، فما ازددت مع كل سطر قرأته إلا اقتناعاً بأن هذا الدين حقيقة ربانية محال أن يخترعه بشر»[98].

الدكتور «فاندوبيك» رئيس محكمة العدل الدولية:

قال: «لقد اقتنعت بأن القرآن الكريم متفرد وليس من وضع البشر، بل هو كتاب الحياة ومنهج السماء للأفراد والجماعات، ففيه مفاتيح كل شىء، بدءاً من السلوك الشخصى للإنسان إلى المناهج الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية الرائعة للإنسانية كلها، وأؤكد أننى أدركت ذاتى الحقيقية حق الإدراك وأنا أقرأ القرآن»[99].

رينيه جينو «فيلسوف فرنسى»:

قال : «أردت أن أعتصم بنص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم أجد بعد دراسة عميقة سوى القرآن»[100].

٩٨- الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء (ج١، ص٤٣)
٩٩- شرفات غربية (www.d-alyasmen.com)
١٠٠ - ربحت محمد ولم أخسر المسيح (ص٧٠)

اللورد ستانلى أولدرلى:

قال: «وقع فى يدى كتاب الله تعالى، فما فرغت من تلاوته، حتى اجتاحنى مدد البكاء، فنفضت عن نفسى التعصب الممقوت، وأصبحت من المسلمين»[١٠١].

البروفيسور الأمريكى جيفرى لانغ:

قال: «القرآن، هذا الكتاب قد أسرنى بقوة، وتملك قلبى، وجعلنى أستسلم لله، وإذا ما اتخذت القرآن بجدية فإنه لا يمكنك قراءته ببساطة، فهو يحمل عليك أن تعرف شيئا عن الإسلام»[١٠٢].

الصحفية الأمريكية ديبورا بوتر:

قالت: «عندما قرأت القرآن الكريم، غمرنى شعور بأنه الحق، وقد تساءلت: كيف استطاع محمد الرجل الأمى أن يعرف معجزات الكون، التى لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها»[١٠٣].

الكاتبة الأمريكية مارغريت ماركوس:

قالت: «منذ بدأت أقرأ القرآن، عرفت أن الدين ليس ضروريا للحياة فحسب، بل هو الحياة بعينها، وكنت كلماً تعمقت فى دراسته، ازددت يقيناً بأن الإسلام وحده هو الذى جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة قد سادت العالم»[١٠٤].

اللورد برنتون:

قال: «إن اختلاف الأناجيل هو الذى دفعنى لدراسة الإسلام، فوجدت فى القرآن الحكمة وفصل الخطاب»[١٠٥].

١٠١- ربحت محمد ولم أخسر المسيح (ص٦)
١٠٢- ربحت محمد ولم أخسر المسيح (ص٧١)
١٠٣- ربحت محمد ولم أخسر المسيح (ص٦٠)
١٠٤- نساء يعتنقن الإسلام (www.islamway.com)
١٠٥ - ربحت محمد ولم أخسر المسيح (ص٦١)

الكاتب والفيلسوف توماس كارلايل:

قال: «إن القرآن هو التشريع الأساسى لكل زمان ومكان، فيجب على كل عاقل أن يفكر فى آياته الحكيمة، ليخلص بنوره من ظلمات الحياة»[١٠٦] .

هاملتون جب

يقول فى كتاب (المحمدية): «لو كان القرآن من تأليف محمد لكان من الممكن أن ينافسه ويضارعه رجال آخرون، وليأتوا بعشر آيات من مثله مفتريات وإذا لم يستطيعوا ومن الواضح أنهم لم يستطيعوا فليقبلوا القرآن كمعجزة وبرهان ظاهر».

يقول الدكتور إيرنبرج «أستاذ فى جامعة أوسلو»:

«لا أجد صعوبة فى قبول أن القرآن كلام الله، فإن أوصاف الجنين فى القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع، الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله».

قال جان جاك روسو عن القرآن:

«من الناس من يتعلم قليلاً من العربية، ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو أنه سمع محمداً يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وذاك الصوت المقنع المطرب المؤثر فى شغاف القلوب ورآه يؤيد أحكامه بقوة البيان، لخر ساجداً على الأرض وناداه: أيها النبى يا رسول الله خذ بأيدينا إلى الشرف والفخار، أو مواقع التهلكة والأخطار فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار».

المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل:

تقول فى مقدمتها لكتاب (الإسلام كبديل): «القرآن هو كلمة الله، موحاة بلسان عربى مبين، على النبى الأمين وأن ترجمته لا يمكن إلا أن تكون تقريبية ضمنية لا تضارع الأصل، إذ لا أحد، مهما يبلغ من الحذق والكفاءة، يقدر أن يترجم ذلك الإعجاز الإلهى إلى لغة أخرى».

١٠٦- النبى محمد (ص٤٠١)

دكتور شوميس:

«يقول بعض الناس إن القرآن كلام محمد وهو حقاً محض افتراء، فالقرآن كلام الله الموحى على لسان رسوله محمد، فليس فى استطاعة محمد ذلك الرجل الأمى فى تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبى بهذه الحقيقة. إنى درست القرآن فوجدت فيه تلك المعانى العالية، والنظم المحكمة، وتلك البلاغة التى لم أجد مثلها قط فى حياتى، جملة واحدة منه تغنى عن مؤلفات. هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه».

موريس بوكاى:

يقول فى كتابه (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة): «بالنظر إلى مستوى المعرفة فى أيام محمد فإنه لا يمكن تصور الحقائق العلمية التى وردت فى القرآن على أنها من تأليف بشر. لذا فمن الإنصاف تماماً أن لا ينظر فقط إلى القرآن على أنه التنزيل الإلهى فحسب بل يجب أن تعطى له منزلة خاصة جدًا للأصالة التى تقدمها المعطيات العلمية التى وردت فيه والتى إذا ما درست اليوم تبدو وكأنها تتحدى تفسير البشر».

المعجزة الثانية: الإسراء والمعراج

تواترت الروايات فى حديث الإسراء والمعراج، وكلها أجمعت على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك فراشه فى بيت أم هانئ إلى المسجد، فلما كان فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان، أسرى به من المسجد الحرام فى مكة إلى المسجد الأقصى فى بيت المقدس، ثم عرج به من بيت المقدس إلى السماوات العلى وسدرة المنتهى، ثم عاد إلى فراشه قبل أن يبرد، فاستعظم الكفار ذلك الأمر، وقالوا لعلها رؤيا نائم أو أوهام حالم، وارتد بعض المسلمين بعد أن اتخذوا هذا الأمر مادة للسخرية والتشكيك.

والواقع أن رحلتى الإسراء والمعراج، حدثتا ليمحص الله المؤمنين، ويبين منهم صادق الإيمان، ومن فى قلبه منهم مرض، فى كل زمان.

وخلاصة القول: إن الإسراء والمعراج معجزتان خارقتان للعادة أجراهما الله سبحانه وتعالى على يدى رسوله وحبيبه ومصطفاه.

لكن ثار الخلاف حول حقيقة الإسراء والمعراج، وما إذا كان بالجسد أم بالروح؟

والحقيقة أن الإسراء والمعراج كان بالروح والبدن، يقظة لا مناماً، وهذا ما يراه أكثر العلماء لإيمانهم بأن قدرة الله لا تتقيد بتلك القيود التى تقتضيها الضرورات البشرية ولهم على ذلك أدلة هى:

١ ـ إن التسبيح والتعجب فى قوله تعالى:﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ** ﴾[١٠٧] إنما يكون فى الأمور العظام، ولو كان ذلك مناماً لم يكن فيه كبير شأن ولم يكن مستعظماً[١٠٨].

٢ ـ إنه لو كان مناماً، ما كانت قريش تبادر إلى تكذيبه، ولما قالت أم هانئ: لا تحدث الناس فيكذبوك، ولما فُضِّل أبو بكر بالتصديق[١٠٩].

٣ ـ إنه لو كان مناماً، لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولا استبعده الكفار، ولا كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به[١١٠].

٤ ـ إن قوله تعالى (بِعَبْدِهِ) يدل على مجموع الروح والجسد[١١١].

إن ابن عباس قال فى قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاس...)[١١٢] هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به[١١٣].

٥ ـ إن الحركة بهذه السهولة ممكنة فى ذاتها، فقد جاء فى القرآن أن الرياح كانت تسير بسليمان عليه السلام إلى المواضع البعيدة فى الأوقات

١٠٧- من الآية (١) من سورة الإسراء
١٠٨- فى رحاب التفسير (ص٢١١٠)
١٠٩- المرجع السابق (ص٢١١٠)
١١٠- تفسير الشعراوى (ص ٨٣١٨)
١١١- تفسير الشعراوى (ص ٨٣١٤)
١١٢ - الآية (٦٠) من سورة الإسراء
١١٣- فى رحاب التفسير (ص٢١١٠)

القليلة، فقد قال تعالى فى صفة سير سليمان عليه السلام: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾[114] وجاء فيه أن الذى عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن فى مقدار لمح البصر، كما قال تعالى:﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[115] وإذا جاز هذا لدى طائفة من الناس، جاز لدى جميعهم[116].

٦ ـ إن ما يجد كل يوم من ضروب المخترعات، وطى المسافات، وقطع المحيطات فى قليل الساعات من قارة إلى قارة، ومن قطر إلى قطر، ليجعلنا نعتقد بأن الإسراء والمعراج معجزة حقيقية ليست بخيال أو وهم.

٧ ـ إن روحانية الأنبياء تتغلب على كثافة أجسامهم، فما يخيل إلينا من العوائق العملية من صعوبة الوصول إلى الملأ الأعلى، واستحالة الوصول إلى الطبقات العليا من السماء، فهو إنما يكون بالنظر إلى الأجرام والأجسام المشاهدة فى عالم الحس، وإن لروحانية الأنبياء والملائكة أحكاماً لم يصل العقل البشرى إلى تحديدها، وإبداء الرأى فيها، وإنها لفوق مستوى إدراكه[117].

فالإسراء والمعراج بمثابة الهزة التى تصيب الضمائر والعقول، لإيقاظ الغافلين من غفلتهم، وجعلهم يعتبرون، ويقرون بحقيقة وجود الله تعالى، لا سيما وأن فى حياتهم الدليل والبرهان على خالق لهم.. ومن يقدر على هذا الخلق العظيم، لا يعجزه أن يأتى بالإسراء والمعراج، أو أى آية من آياته العظمى.

المعجزة الثالثة : انشقاق القمر

قال تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ[118].

---

١١٤ – الآية (١٢) من سورة سبأ
١١٥ – الآية (٤٠) من سورة النمل
١١٦– فى رحاب التفسير (ص ٢١١٠)
١١٧– فى رحاب التفسير (ص ٢١١٢)
١١٨– الآيتان (١)،(٢) من سورة القمر

وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن وقوع هذا الحادث، وتحديد مكانه فى مكة، وتحديد زمانه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة، وتحديد هيئته فى معظم الروايات، أنه انشق فلقتين، بعدما طلب المشركون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم[١١٩].

فالحادث ثابت من خلال الروايات المتواترة، المحددة للمكان والزمان والهيئة، وهو حادث واجه به القرآن المشركين فى حينه، ولم يرو عنهم تكذيبه لوقوعه بالفعل، بصورة يتعذر معها التكذيب، وكل ما روى عنهم أنهم قالوا: سحرنا! ولكنهم هم أنفسهم اختبروا الأمر فعرفوا أنه ليس بسحر، فلئن كان قد سحرهم فإنه لا يسحر المسافرين خارج مكة الذين رأوا الحادث، وشهدوا به حين سئلوا عنه، فعلموا صحة ذلك، وتيقنوه[١٢٠].

يقول ابن كثير رحمه الله : «والقمر فى حالة انشقاقه لم يزايل السماء، بل انفرق اثنتين، وسارت إحداهما حتى صارت وراء جبل حراء، وأخرى من الناحية الأخرى، وصار الجبل بينهما، وكلتا الفرقتين فى السماء»[١٢١].

ولنفرض أن انشقاق القمر جاء آية خارقة، فإن القمر فى ذاته آية أكبر، هذا الكوكب بحجمه، ووضعه، وشكله، وطبيعته، ومنازله، ودورته، وآثاره فى حياة الأرض، وقيامه هكذا فى الفضاء بغير عمد، فهذه هى الآية الكبرى القائمة الدائمة حيال الأبصار، وحيال القلوب الشاهدة على القدرة المبدعة التى يصعب إنكارها إلا عناداً أو مراءً.

المعجزة الرابعة: تكثير الطعام والشراب

تكررت هذه المعجزة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغت عشرات المرات فى مناسبات مختلفة منها ما يلى:

١ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: قال أبوطلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شىء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها،

---

١١٩ – فى ظلال القرآن (ج٦، ص ٣٤٢٦)
١٢٠– المرجع السابق (ج٦، ص ٣٤٢٦)
١٢١ – دلائل النبوة لابن كثير (ص ٣٧)

فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدى ولاثتنى ببعضه[١٢٢]، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهبت فوجدته فى الصعيد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم، قال: بطعام؟ فقلت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: قوموا[١٢٣]، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبوطلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبوطلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلمى يا أم سليم ما عندك[١٢٤]، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت، وعصرت أم سليم عُكَّة فآدمته[١٢٥]، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول[١٢٦]، ثم قال : ائذن لعشرة[١٢٧] فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال : ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً[١٢٨].

وزاد أحمد فى رواية : ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤراً[١٢٩].

٢ ـ عن جابر رضى الله عنه قال: لما حفر الخندق رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً[١٣٠] فانكفأت إلى امرأتى[١٣١] فقلت: هل عندك

---

١٢٢ - لاثتني ببعضه: أى لفت ببعض خمارها الخبز، ووضعته تحت إبط أنس، ولفته ببقية الخمار تستراً عليه.
١٢٣- قوموا: أى قوموا إلى بيت أبى طلحة فنأكل ما أرسله لنا فيه. وأمر أنس بالعودة.
١٢٤- هلمى يا أم سليم ما عندك: أى هات ما عندك من الطعام.
١٢٥- أى فتتت الأقراص وعصرت عليها سمنا من عكتهم وهى إناء من جلد يوضع فيه السمن فصار مفتوتاً ممزوجاً بالإدام.
١٢٦- فى رواية قال: بسم الله وفى أخرى قال: باسم الله اللهم أعظم فيها البركة (التاج ص ٢٧٨)
١٢٧- أى أدخل عشرة ائذن لهم بالأكل.
١٢٨- صحيح البخارى (ج٤، ص٢٣٤)
١٢٩- التاج (ص٢٧٨)
١٣٠- خمصاً شديداً: أى جوعاً ظاهراً.
١٣١- فانكفأت إلى امرأتى: أى رجعت لها فى البيت.

شىء، فإنى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصاً شديدا، فأخرجتِ إلىَّ جرابا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن[١٣٢] فذبحتها وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغى[١٣٣]وقطعتها فى برمتها، ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٣٤] فقالت: لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه، فجئت فساررته[١٣٥] فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا، وطحنَّا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سؤراً[١٣٦]فحىّ هلا بكم[١٣٧] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجئ، فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك[١٣٨] فقلت: قد قلت، الذى قلت، فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعى خابزة فلتخبز معك، واقدحى[١٣٩] من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتعط كما هى وإن عجيننا ليخبز كما هو[١٤٠].

٣ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما كانت غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا[١٤١] فأكلنا وادّهنّا فقال: افعلوا، فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله يجعل فى ذلك بركة وخيراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، فدعا بنطع[١٤٢] فبسطه

١٣٢- داجن: أى شاة صغيرة.
١٣٣- أى انتهينا من عملنا معاً.
١٣٤- أى أدعوه للأكل عندنا.
١٣٥- ساررته: أى أخبرته سراً.
١٣٦- سؤرا: بالهمزة وعدمه أى وليمة.
١٣٧- فحى هلا بكم: أى أقبلوا مسرعين.
١٣٨- أى فعل الله بك كذا وبك كذا لمجئ كل القوم وليس عندنا ما يكفيهم.
١٣٩- اقدحى: اغرفى.
١٤٠- صحيح البخارى (ج٥، ص١٣٩)
١٤١- النواضح من الإبل التى تحمل الماء والمراد هنا كل بعير، والإدهان طلى الجسم بالدهن.
١٤٢- النطع: بساط من جلد.

ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجئ بكف ذرة والآخر بكف تمر ويجئ الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شىء يسير، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بالبركة ثم قال: خذوا فى أوعيتكم، قال: فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملأوه، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله[١٤٣] لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة[١٤٤].

٤ ـ عن جابر رضى الله عنه قال: أن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فمازال الرجل يأكل منه وزوجته وضيفهما حتى كاله، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم[١٤٥].

٥ ـ عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتداول فى قصعة عن غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة، قلنا: فما كانت تمد قال: من أى شئ تعجب، ما كانت تمد إلا من ها هنا وأشار ﷺ بيده نحو السماء»[١٤٦].

٦ ـ عن جابر رضى الله عنه قال: توفى أبى وعليه دين، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : إن أبى ترك عليه ديناً، وليس عندى إلا ما يخرج نخله، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه، فانطلق معى لكى لا يفحش علىّ الغرماء[١٤٧] فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حول بيدر[١٤٨] من بيادر التمر فدعا الله ثم دار حول بيدر آخر فجلس عليه وقال: انزعوا التمر من البيدر، فأوفاهم الذى لهم، وبقى مثل ما أعطاهم[١٤٩].

١٤٣- نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادتين إعلانا بأنه رسول الله إلى الخلق ومؤيدا بالمعجزات الباهرة.

١٤٤- التاج (ص٢٨٢)

١٤٥- صحيح البخارى ومسلم (التاج ص٢٨٣)

١٤٦- صحيح البخارى (فتح البارى ج٦، ص٦٨١)

١٤٧- يفحش علىّ الغرماء: يؤذينى الدائنون.

١٤٨- البيدر هو الموضع الذى يداس فيه الطعام بعد حصاده.

١٤٩- صحيح البخارى (التاج ص٢٨٣).

المعجزة الخامسة: حنين الجذع

عن جابر رضى الله عنه قال: كان المسجد مسقوفاً على جذوع[١٥٠] من نخل، فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع المنبر فكان عليه، سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار[١٥١] حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت[١٥٢].

وفى رواية: فلما كان يوم الجمعة ورفع إلى المنبر صاحت النخلة صياح الصبى[١٥٣].

وفى رواية أخرى للترمذى: فحن الجذع حنين الناقة فنزل النبى فمسه فسكن[١٥٤].

المعجزة السادسة: نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ

ورد العديد من الأحاديث الصحيحة التى أثبتت هذه المعجزة منها الأحاديث الآتية:

١ ـ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر، فقل الماء، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى الإناء ثم قال: حى على الطهور المبارك[١٥٥] والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم[١٥٦].

٢ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: أتى النبى صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء[١٥٧] مع أصحابه، فوضع يده فى الإناء فجعل الماء

١٥٠- الجذوع: جمع جذع وهو عود النخلة وكانت أعمدة مسجد النبى (من جذوع النخل).
١٥١- العشار: جمع عشراء وهى الناقة التى مضى عليها من يوم إرسال الفحل عليها عشرة أشهر
١٥٢- صحيح البخارى (فتح البارى ج٦، ص٦٠١)
١٥٣- أى بكى كبكاء الصبى والحديث بصحيح البخارى (فتح البارى ج٦، ص٧٣٠)
١٥٤- صحيح الترمذى (التاج ص٢٨٤)
١٥٥- حى على الطهور المبارك: أى أسرعوا إلى الماء المبارك للوضوء منه.
١٥٦- صحيح البخارى (فتح البارى ص٧١١)
١٥٧- الزوراء: موضع بالمدينة.

ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، وكانوا ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة[١٥٨].

٣ ـ قال أنس رضى الله عنه: خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ومعه ناس من أصحابه، فانطلقوا يسيرون، فحضرت الصلاة فلم يجدوا ماءً يتوضأون، فانطلق رجل من القوم، فجاء بقدح من ماء يسير فتوضأ منه النبى صلى الله عليه وسلم ثم مد أصابعه الأربع على القدح ثم قال: قوموا توضأوا، فتوضأ القوم حتى بلغوا ما يريدون من الوضوء وكانوا سبعين أو نحوه[١٥٩].

٤ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر، فالتمس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء[١٦٠] فوضع يده فى ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم صلى الله عليه وسلم.

٥ ـ عن جابر رضى الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبى صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة[١٦١] فتوضأ فجهش الناس نحوه[١٦٢] فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ، ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده فى الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قيل كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

المعجزة السابعة : سماع تسبيح الطعام

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم[١٦٣] وفى رواية للترمذى: كنا نأكل الطعام مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام[١٦٤].

١٥٨- صحيح البخارى (فتح البارى ج٦، ص٧٠٣)
١٥٩- صحيح البخارى (فتح البارى ج ٦، ص٧٣)
١٦٠- وضوء: إناء فيه ماء للوضوء .
١٦١- ركوة: إناء من جلد يشرب فيه
١٦٢- جهش الناس نحوه: أى أسرعوا إلى الماء متهيئين لأخذه
١٦٣- صحيح البخارى (فتح البارى ج ٦، ص٧٠٤)
١٦٤- أى كنا ناكل أنواعا من الطعام عدة مرات مع النبى (ونحن نسمع تسبيح الطعام بين يديه) والحديث صحيح ورواه الترمذى فى سننه (التاج ص٢٨٦)

المعجزة الثامنة: سماع تسبيح الحصى

عن رجل يقال له سويد بن يزيد السلمي قال: سمعت أبا ذر يقول: لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته، كنت رجلاً أتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيته يوماً جالساً وحده، فاغتنمت خلوته، فجئت حتى جلست إليه، فجاء أبو بكر، فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبى بكر، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر، وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات، فأخذهن فى كفه، فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن فى كف أبى بكر، فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن فى يد عمر، فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان، فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، فقال النبى هذه خلافة النبوة [١٦٥].

المعجزة التاسعة : انقياد الشجر

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: سرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديًا واسعاً، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته، واتبعته بإناء فيه ماء ليتطهر به، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به، وإذا بشجرتين بجانب الوادى، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها وقال: انقادى علىّ بإذن الله تعالى، فانقادت معه كالبعير المخشوش[١٦٦] الذى يصانع قائده[١٦٧]، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها وقال: انقادى علىّ بإذن الله، فانقادت معه كذلك، فقال : التئما علىّ بإذن الله، فالتأمتا .

١٦٥- دلائل النبوة لابن كثير (ص١٨١) والخصائص الكبرى للسيوطى وعزاه للبزار والطبرانى والبيهقى(ج٢، ص١٢٩)

١٦٦- البعير المخشوش: الذى يجعل فى أنفه خشاش وهو عود يجعل فى أنف البعير ويشد به حبل لينقاد.

١٦٧- يصانع قائده: المراد الملاينة وسهولة الانقطاع .

قال جابر: فخرجت أعدو وأسعى سعيا شديداً مخافة أن يحس رسول الله بقربى فيبتعد، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف وقفة وأشار برأسه كأنما يكلم أحداً، أو يصرف الشجرتين اللتين وقفتا فى خدمته صلى الله عليه وسلم ثم أقبل فلما انتهى إلىّ قال: يا جابر هل رأيت مقامى قلت: نعم يا رسول الله(١٦٨).

المعجزة العاشرة: كلام الشجر

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر، فدنا منه أعرابى، فقال: يا أعرابى أين تريد؟ قال: إلى أهلى، قال: هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة السمرة(١٦٩) وهى بجانب الوادى، وادعها فإنها تجيبك، فأقبلت تشق الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها.

المعجزة الحادية عشرة: سجود البعير

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنه كان لنا جمل نسنى عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا، فقاموا فدخل الحائط (البستان) والجمل فى ناحية، فمشى النبى صلى الله عليه وسلم نحوه، فقال: ليس علىّ منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله فى العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله، هذه

١٦٨- دلائل النبوة لابن كثير (ص١٥٩).
١٦٩- الشجرة السمرة: الشجرة الضخمة.

بهيمة لا تعقل تسجد لك! ونحن أحق أن نسجد لك فقال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها[١٧٠].

المعجزة الثانية عشرة : فيضان ماء بئر الحديبية

عن البراء رضى الله عنه قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبى صلى الله عليه وسلم على حافة البئر فدعا بماء فمضمض ورماه فيه، فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت ركائبنا[١٧١].

المعجزة الثالثة عشرة: تكثير الماء

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير، فأمرنى بالسير فى الركب الذى بين يديه، فعطشنا عطشاً شديداً، فبينما نحن نسير، إذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين[١٧٢] فقلنا لها : أين الماء؟ فقالت: إنه لا ماء، فقلنا : كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: يوم وليلة، فقلنا : انطلقى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: وما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نملكها من أمرها حتى استقبلنا بها النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته بمثل الذى حدثتنا غير أنها حدثته أنها ذات أيتام، فأمر بمزادتيها فمسح بالعزلاوين[١٧٣]فشربنا عطاشا أربعين رجلاً حتى روينا فملأنا كل قربة معنا وإداوة، غير أنه لم نسق بعيراً وهى تكاد تنض من الملء، ثم قال: هاتوا ما عندكم، فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها فقالت: لقيت أسحر الناس أو هو نبى كما زعموا، فهدى الله ذلك القوم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا[١٧٤].

١٧٠- دلائل النبوة لابن كثير (ص١٩٣).
١٧١- صحيح البخارى (فتح البارى ج٦، ص٧٠٤).
١٧٢- مزادتين: تثنية مزادة وهى القربة التى يزاد فيها جلد آخر لتكبر.
١٧٣- العزلاوين: تثنية عزلاء وهو فم القربة الأسفل.
١٧٤- صحيح البخارى (فتح البارى ج٦، ص٧٠٣).

المعجزة الرابعة عشرة: إبراء المرضى وذوى العاهات

هذه بعض النماذج التى ثبتت فى إبراء الرسول صلى الله عليه وسلم للمرضى وذوى العاهات وهذا من باهر معجزاته صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته:

فى غزوة أحد أصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنتيه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عين[١٧٥].

قال أعمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ادع الله أن يكشف لى عن بصرى فقال له: انطلق فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بالنبى محمد نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصرى، اللهم شفعه فىّ، قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره[١٧٦].

أصيبت عينا على بن أبى طالب برمد يوم خيبر فتفل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فأصبح بارئا[١٧٧].

أصاب السيف رجل زيد بن معاذ حين قتل ابن الأشرف، فنفث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرئت[١٧٨].

انكسرت ساق على بن الحكم يوم الخندق، فنفث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه [١٧٩].

انكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل، فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه[١٨٠].

---

١٧٥ - دلائل النبوة للبيهقى (ج٧، ص١٧٨) والخصائص الكبرى (ج١، ص٤٦٨)

١٧٦- صحيح الترمذى والنسائى وابن ماجة والحاكم (الترغيب والترهيب، ص٤٢٦).

١٧٧- صحيح البخارى (٣٤)

١٧٨- تسنيم الرياض للسيوطى (ج٣، ص١١٨)

١٧٩- المرجع السابق (ج٣، ص١١٨)

١٨٠- دلائل النبوة للبيهقى (ص١٧٤)

المعجزة الخامسة عشرة: إجابة دعوته

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجاب الدعوة، وكان إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده، وهذه بعض نماذج من إجابة دعوته:

دعا صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك رضى الله عنه بكثرة المال والولد، فقال: "اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته"[182] يقول أنس: فوالله إن مالى لكثير، وإن ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة[183].

دعا صلى الله عليه وسلم بعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل، فجعل الله دعوة رسوله لعمر بن الخطاب فبنى عليه ملك الإسلام [184].

دعا صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص أن يكون مجاب الدعوة، وقال: "اللهم استجب لسعد إذا دعاك" فكان كذلك [185].

دعا صلى الله عليه وسلم على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه، فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة فى أقطار الدنيا [186].

دعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقال: "اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل" فسمى بعد ذلك حبر الأمة وترجمان القرآن، وأصبح إماماً يهتدى بهداه [187].

دعا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جعفر بالبركة فى بيعه وشرائه، فما اشترى شيئا إلا ربح فيه [188].

دعا صلى الله عليه وسلم لأبى طلحة الأنصارى فجاء من صلبه تسعة كلهم قد حفظ القرآن [189].

١٨٢- صحيح البخارى (ج٨، ص٩٣)
١٨٣- صحيح مسلم (ص١٤٣)
١٨٤- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى (ج٧، ص٤٨)
١٨٥- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى (ج٢، ص٢٨١)
١٨٦- صحيح مسلم (٧٥)
١٨٧- صحيح البخارى (ج١، ص٤٨) ومسلم (١٣٨)
١٨٨- دلائل النبوة للبيهقى (ج٦، ص١٩٢)
١٨٩ - صحيح مسلم (١٠٧)

أصاب الناس فى بعض مغازيه عطش، فسأله عمر الدعاء، فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت [١٩٠].

دعا صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء فسقوا، ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحت السماء وانكشف غيمها [١٩١].

ومعجزاته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يحاط بها، فكان ذلك على سبيل المثال.

الدليل الخامس: نبوءاته ﷺ:

علم الإنسان فى هذه الدنيا محدود بالزمان الحاضر والماضى، ومحجوب عن المستقبل، والله وحده ذو العلم المحيط بكل زمان ومكان، وما كان ويكون.

فكون الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر عما سيكون، ويقع كما أخبر، فذلك دليل على أن له صلة بالله، مما يؤكد صحة دعوى الرسالة، ويبرهن على أنها النبوة ولا شىء غير ذلك.

وهذه بعض نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق منها وما سيتحقق بإذن الله:

أولا: نبوءات تحققت

نبوءته ﷺ عن خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه:

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: "قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه، ادعى لى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإنى أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر [١٩٢].

١٩٠- رواه البيهقى والحاكم وصححه عن عمر

١٩١- اللؤلؤ والمرجان (ص٥١٧)

١٩٢- صحيح البخارى (ج١، ص١٢٣) ومسلم (ج٤، ص١٨٥٧) وأحمد (ج٦، ص٤٧) والبيهقى فى دلائل النبوة (ج٦، ص٢٤٣).

وتحققت النبوءة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تولى أبو بكر أمور المسلمين وصار خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٩٣].

نبوءته ﷺ عن وقوع الردة بعده:

عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان" [١٩٤].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث وقع الأمر كما تنبأ به، وذلك أنه لما اشتهرت وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام، وادعى مسيلمة وطليحة النبوة، واستغلظ أمرهما، واجتمع عليهما كثير من قبائل العرب، فحاربهم أبو بكر رضى الله عنه إلى أن انجلت سحابة الارتداد وساد العرب الإسلام والإيمان[١٩٥].

نبوءته ﷺ عن فتح الحيرة [١٩٦]:

عن عدى بن حاتم قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثلت لى الحيرة كأنياب الكلاب وإنكم ستفتحونها [١٩٧].

وقد وقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم حيث فتح المسلمون الحيرة صلحاً على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه سنة اثنتى عشرة من الهجرة [١٩٨].

نبوءته ﷺ عن فتح بيت المقدس:

قال عوف بن مالك: أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال: أعدد ستاً بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم

١٩٣- نبوءات الرسول (ص٤٦)

١٩٤- صحيح الترمذى (ج٤، ص٤٩٩) وأحمد (ج٥، ص٢٧٨) وأبى داود (ج٤، ص٤٥٠) وابن ماجة (ج٢، ص١٣٤)

١٩٥- البداية والنهاية (ج٦، ص٣٤٤)

١٩٦- الحيرة: مدينة كانت بأرض الكوفة والآن مكان لمدينة دجلة (آثار البلاد للقزوينى ص٣٥٩)

١٩٧- صحيح الطبرانى وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح (ج٦، ص٢١٢)

١٩٨- نبوءات الرسول (ص٥٤)

موتان[١٩٩] يأخذ فيكم كقعاص[٢٠٠] الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً [٢٠١].

وقد تحقق ما تنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم حيث تم فتح بيت المقدس فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة خمس عشرة من الهجرة [٢٠٢].

نبوءته ﷺ عن فتح المدائن:

عن جابر بن سمرة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين كنوز كسرى التى فى القصر الأبيض.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد فتحت عصابة من المسلمين مدينة المدائن التى كان فيها قصر كسرى الأبيض، وكان هذا القصر احتوى على كنوز كسرى العظيمة، لأنه كان مستقره وموطنه ومثواه ففتح المسلمون هذه المدينة، وانتصروا على هذا القصر، وملكوا الكنوز الموجودة فيه.

وقد فُتحت هذه المدينة على يد سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه سنة ست عشرة من الهجرة [٢٠٣].

نبوءته ﷺ عن طاعون عمواس:

قال معاذ بن جبل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ستهاجرون إلى الشام فيفتح لكم، ويكون فيكم داء كالدمل[٢٠٤] أو كالحزة[٢٠٥] يأخذ بمراق [٢٠٦] الرجل، يستشهد الله به أنفسهم ويزكى به أعمالهم[٢٠٧].

١٩٩- موتان: بضم الميم هو الموت الكثير الوقوع.
٢٠٠- القعاص: داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت.
٢٠١- صحيح البخارى (ج٦، ص٢٧٧) وأحمد (ج٦، ص٢٢) وابن ماجة (ج٢، ص١٣٤١).
٢٠٢- نبوءات الرسول (ص٥٦)
٢٠٣ - البداية والنهاية (جـ ٧، ص٧١)
٢٠٤- الدمل: القرح جمعه دماميل.
٢٠٥- الحزة: القطعة من اللحم وغيره.
٢٠٦- مراق: من أسفل البطن فما تحته فى المواضع التى ترق جلودها .
٢٠٧- صحيح أحمد (ج١، ص٢٤١).

وقد تحقق ما تنبأ به النبى الصادق صلى الله عليه وسلم حيث فتح الله سبحانه وتعالى الشام على المسلمين، فهاجر كثير منهم إليها، ووقع فيهم داء وهو الطاعون سنة ثمانى عشرة من الهجرة، فمات فيه خمسة وعشرون ألفاً من المسلمين، منهم أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبى سفيان، وسهيل بن عمرو، وغيرهم . وسمى هذا الطاعون بطاعون عمواس لأن ابتداء الطاعون كان منها ثم انتشر فى أرض الشام [٢٠٨] .

نبوءته ﷺ عن فتح مصر:

عن أبى ذر رضى الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط [٢٠٩] فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمةً [٢١٠] ورحماً [٢١١] أو قال ذمةً وصهراً [٢١٢] " .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث فتح المسلمون مصر عام عشرين من الهجرة على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه، حيث سار بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مصر بعد فتح بيت المقدس، وفتح مصر [٢١٣] .

نبوءته ﷺ عن إجلاء اليهود من خيبر:

روى أنه لما فدع [٢١٤] أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيبا فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: نقركم ما أقركم الله، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك

٢٠٨- البداية والنهاية (ج٧، ص١٠٣).

٢٠٩- قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به.

٢١٠- الذمة: هى الحق لهم برحمهم وقيل هى العهد والأمان والحرمة والحق

.٢١١- رحماً: أى أن هاجر أم اسماعيل عليه السلام كانت قبطية من أهل مصر

٢١٢- صحيح مسلم (ج٤، ص١٩٧) وأحمد (ج٥، ص١٧٤) والبيهقى فى السنن الكبرى(ج١، ص٢٠٦)

٢١٣- البداية والنهاية (ج٧، ص١٠٨)

٢١٤- فدع: من الفدع وهو زيغ بين القدم وبين عظم الساق وكذلك فى اليد وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها.

فعدا عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بنى أبى الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا، فقال عمر: أظننت أنى نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك، بك قلوصك ليلة بعد ليلة" فقال: كان ذلك هزيلة[٢١٥] من أبى القاسم، فقال عمر: كذبت يا عدو الله فأجلاهم عن خيبر.

وهكذا وقع الأمر كما تنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتم إجلاء اليهود من خيبر إلى الشام سنة عشرين من الهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٢١٦].

نبوءته ﷺ عن قتال الترك:

قال أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف[٢١٧]، كأن وجوههم المجان المطرقة[٢١٨]، [٢١٩].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حصل قتال المسلمين مع الترك مرات عديدة، وحصل ذلك فى أول خلافة عمر رضى الله عنه سنة اثنين وعشرين من الهجرة، تحت إمارة عبد الرحمن بن ربيعة رضى الله عنه[٢٢٠].

٢١٥- هزيلة: تصغير هزلة وهى المرة الواحدة من الهزل ضد الجد.

٢١٦- تاريخ الطبرى (ج٤، ص١١٢).

٢١٧- ذلف الأنوف: أى صغرها وقيل الاستواء فى طرف الأنف، وقيل قصر الأنوف وانبطاحها.

٢١٨- المجان المطرقة: أى التراس التى ألبست العقب شيئا فوق شئ وشبه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها (فتح البارى ج٦، ص٦٠٨).

٢١٩- صحيح البخارى (ج٦، ص١٠٤) ومسلم (ج٤، ص٢٢٣٣) وأبو داود (ج٤، ص٤٨٦) وأحمد (ج٢، ص٥٣٠).

٢٢٠- البداية والنهاية (ج٧، ص١٣٥).

نبوءته ﷺ عن قتال خوز[221] وكرمان[222]:

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم، صلى الله عليه وسلم.

وقد تحقق ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم فقد قاتل المسلمون أهل كرمان سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وفتحوها على يد مجاشع بن مسعود رضى الله عنه[223].

نبوءته ﷺ عن خلافة عثمان رضى الله عنه:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان:"إن الله مقمصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه[224].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ألبس الله سبحانه وتعالى عثمان رضى الله عنه لباس الخلافة النبوية، وذلك غرَّة المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة بعد دفن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بثلاثة أيام، ثم أصر البغاة المشاغبون فى أواخر أيام خلافته على أن يخلع لباس الخلافة لكنه لم يستجب لإصرارهم امتثالاً لأمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم[225].

نبوءته ﷺ عن واقعة صفين:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان وتكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة [226].

٢٢١- خوز: بلد من بلاد الأعاجم.
٢٢٢- كرمان: بلدة مشهورة بين خراسان وبحر الهند (فتح البارى ج٦، ص ٦٠٧).
٢٢٣- فتوح البلدان (ج٢، ص٤٨٢).
٢٢٤- صحيح الترمذى (ج٥، ص٦٢٨) وأحمد (ج٦، ص٧٥) وابن ماجة (ج١، ص٤١).
٢٢٥- أسد الغابة (ج٣، ص٣٧٦).
٢٢٦- صحيح البخارى (ج٦، ص٦١٦) ومسلم (ج٤، ص٢٢١٤) وأحمد (ج٢، ص٣١٣) وابن حبان (ج٨، ص٢٥٩).

وقد وقع الأمر كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم حيث اقتتلت فئتان عظيمتان ودعواهما الإسلام سنة سبع وثلاثين من الهجرة وذلك فى واقعة صفين، حينما سار معاوية رضى الله عنه فى أهل الشام طالبا دم عثمان حتى نزل بصفين، وسار خليفة المسلمين على رضى الله عنه فى الجيوش من العراق حتى نزل هنالك، فتراسلوا فلم يتم لهم أمر، فوقع القتال يوم الأربعاء سابع صفر، ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ثم افترقوا عن سبعين ألف قتيل [٢٢٧].

يقول بن حجر رحمه الله: المراد بالفئتين من كان مع على ومعاوية رضى الله عنهما لما تحاربا بصفين، ودعواهما واحدة أى دينهما واحد لأن كلا منهما كان يتسمى بالإسلام، وأن كلا منهما كان يدعى أنه المحق[٢٢٨].

نبوءته ﷺ عن ظهور الخوارج:

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"تمرق[٢٢٩] مارقة [٢٣٠] عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق[٢٣١]".

وقد تحقق ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم حيث مرقت هذه المارقة سنة سبع وثلاثين من الهجرة عند اختلاف المسلمين وفرقتهم وقتالهم فيما بينهم فى معركة صفين التى دارت بين على ومعاوية رضى الله عنهما [٢٣٢].

وكان سبب ذلك هو رجوع المسلمين إلى تحكيم الرجلين فأنكروا ذلك عليهم وقالوا: لا حكم إلا لله، واعتزلوا وناصبوا العداء للمسلمين وكونوا جماعة فسموا الخوارج لخروجهم على الدين، وخروجهم على

٢٢٧- البداية والنهاية (ج٧، ص٣٧٦).

٢٢٨- فتح البارى (ج٦، ص٦٠٦).

٢٢٩- تمرق: تخرج.

٢٣٠- مارقة: أى الخوارج، وسميت الخوارج مارقة لقوله «فيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

٢٣١- صحيح مسلم (ج٢، ص٧٤٥) وأبو داود (ج٥، ص٤٨) وأحمد (ج٣، ص٤٥).

٢٣٢- نبوءات الرسول (ص١٠٣)

خيار المسلمين،وسموا الحرورية لنزولهم حروراء موضع بالعراق وقد قاتلهم على رضى الله عنه وهو أدنى الطائفتين للحق [٢٣٣].

نبوءته ﷺ عن وقعة النهروان:

عن أبى سعيد الخدرى قال: كنا جلوسًا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلف عليها على يخصفها[٢٣٤]فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه فقال: إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال: لا ولكنه خاصف النعل قال: فجئنا نبشره، قال: وكأنه قد سمعه [٢٣٥].

وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم حيث قاتل على رضى الله عنه سنة ثمان وثلاثين من الهجرة طائفة من الخوارج الذين تجمعوا بنهروان ورموا بالكفر والخيانة على ومعاوية رضى الله عنهما ومن معهما من المسلمين، وكان هؤلاء الخوارج يؤولون القرآن حيث كانوا ينطلقون إلى آيات نزلت فى الكفار فيجعلونها على المؤمنين، فقاتلهم على رضى الله عنه قتالا عنيفا قضى على جميعهم فى حين لم يقتل من معسكر على إلا تسعة نفر وسميت هذه الواقعة بواقعة نهروان لأنها دارت فيها [٢٣٦].

نبوءته ﷺ عن مدة خلافة النبوة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء [٢٣٧]».

وقد وقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فقد كانت مدة خلافة النبوة وهى خلافة الخلفاء الراشدين المهديين ثلاثين عاماً، مبتدئة من خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه سنة إحدى عشرة من الهجرة، بعد

٢٣٣- البداية والنهاية (ج٧، ص٢٠٤).
٢٣٤- يخصف: أى يخرز من الخصف.
٢٣٥- صحيح أحمد (ج٣، ص٨٢).
٢٣٦- البداية والنهاية (ج٧، ص٣١٤).
٢٣٧- صحيح الترمذى (ج٤، ص٥٠٣) وأحمد (ج٥، ص٢٢٠) وابن حيان (ج٨، ص٢٢٦)

وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ومنتهية بالصلح الذى وقع بين الحسن بن على ومعاوية رضى الله عنهم، بعد أن تنازل الحسن عن الخلافة سنة أربعين من الهجرة فمدة خلافة أبو بكر رضى الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وخلافة عمر رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، وخلافة عثمان رضى الله عنه إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وتسعة أيام، وخلافة على رضى الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام، وخلافة الحسن رضى الله عنه نحو ستة أشهر وعلى هذا يكتمل العدد ثلاثين عاما(٢٣٨).

نبوءته ﷺ عن فشو الأمن والسلام فى جزيرة العرب:

يقول عدى بن حاتم: بينما أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: يا عدى هل رأيت الحيرة ؟ قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة(٢٣٩)ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، قلت فيما بينى وبين نفسى فأين دعار طى الذين قد سعروا البلاد (٢٤٠).

وقد تحقق ما تنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم حيث ساد الأمن والسلام سائر جزيرة العرب بعدما دخل جميع سكانها أو معظمهم فى رحاب الإسلام والإيمان فى عهد الخلفاء الراشدين، وهذا الوضع أتاح لجميع من كان يقطن فى تلك البلاد صغيرا كان أو كبيرا، رجلا كان أو امرأة، فرصة السفر والتجوال والانتقال فى أمن وسلام دون خوف أو ضرر بعد أن كانوا فى أيام الجاهلية يقدمون جعلا للقبائل نظير مرورهم بالقرب من منازلهم(٢٤١)، وهذا ما شاهده عدى بن حاتم راوى الحديث الذى كان يخاف دعار طى وقطاع الطريق فقال كما جاء فى صحيح البخارى: فقد رأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله (٢٤٢).

٢٣٨- البداية والنهاية (ج٦، ص٢٢٥).
٢٣٩- الظعينة: المرأة وقيل المرأة فى الهودج.
٢٤٠- صحيح البخارى (ج٣، ص٢٨١) وأحمد (ج٤، ص٢٥٧).
٢٤١- نبوءات الرسول (ص١٤٦).
٢٤٢- صحيح البخارى (ج٦، ص٦١٠).

نبوءته ﷺ عن الفتوحات الإسلامية فى القرون الثلاثة الأولى:

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: يأتى زمان يغزو فئام[٢٤٣] من الناس فيقال: فيكم من صحب النبى صلى الله عليه وسلم فيقال: نعم فيفتح عليه، ثم يأتى زمان فيقال: فيكم من صحب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيقال: نعم فيفتح، ثم يأتى زمان فيقال: فيكم من صحب صاحب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيقال: نعم فيفتح [٢٤٤].

وقد تحقق ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم فقد فتح المسلمون كثيرا من البلاد والأقطار فى عهد الصحابة ثم فى عهد التابعين، ثم فى عهد تابعيهم رضى الله عنهم [٢٤٥].

يقول ابن كثير رحمه الله: لما التقى عمرو بن العاص مع المقوقس إبان فتح مصر، جعل كثير من المسلمين يفر من الزحف، فجعل عمرو يزجرهم ويحثهم على الثبات، فقال له رجل من أهل اليمن: إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد، فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اجتمع إليه من هناك من الصحابة قال لهم عمرو: تقدموا فبكم ينصر الله المسلمين، فنهضوا إلى القوم، ففتح الله عليهم وظفروا أتم الظفر[٢٤٦].

نبوءته ﷺ عن غزو المسلمين جزيرة العرب وفارس والروم وفتحها عليهم:

عن عتبة بن أبى وقاص قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أهل المغرب أتوه ليسلموا عليه، فلما دنوت منه سمعته يقول: تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله عليكم، ثم تغزون فارس فيفتحها الله عليكم، ثم تغزون الروم فيفتحها الله عليكم، ثم تغزون الدجال[٢٤٧] فيفتحها الله عليكم[٢٤٨].

٢٤٣- فئام: جماعة .
٢٤٤- صحيح البخارى (ج٦، ص٨٨) ومسلم (ج٤، ص١٩٦٢) وأحمد (ج٣، ص٧) وابن حبان (ج٧، ص١٣٢).
٢٤٥- نبوءات الرسول (ص١٤٩)
٢٤٦- البداية والنهاية (ج٧، ص١٠٩).
٢٤٧- الدجال: هو الأعور الكذاب الذى يظهر فى آخر الزمان يدعى الألوهية.
٢٤٨- صحيح مسلم (ج٤، ص١٢٢٥) وأحمد (ج١، ص١٧٨).

وقد تحققت نبوءة النبى صلى الله عليه وسلم وغزا المسلمون جزيرة العرب وفارس والروم وفتح الله سبحانه وتعالى جميع ذلك عليهم، ووصل المسلمون عزاة فاتحين إلى أقصى بلاد الهند والسند والصين، وسوف يغزو المسلمون الدجال أيضا بقيادة عيسى عليه السلام، وسوف يدحر الله عز وجل الدجال وجنده ويهلكهم بأيديهم [٢٤٩].

نبوءته ﷺ عن فتح اليمن والشام والعراق وهجرة بعض أهل المدينة إليها:

عن سفيان بن أبى زهير رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تفتح اليمن فيأتى قوم يبسون [٢٥٠] فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتى قوم يبسون، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتى قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون [٢٥١] .

وقد وقع ما تنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم حيث فتحت اليمن والشام والعراق على أيدى المسلمين، وهاجر إلى كل منها كثير من المسلمين، فكان ابتداء فتح اليمن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثم كان ابتداء فتح الشام على عهد أبى بكر رضى الله عنه، ثم بعد ذلك كان ابتداء فتح العراق أيضا فى عهد أبى بكر رضى الله عنه [٢٥٢]، ووقع تفرق أهل المدينة فى هذه البلاد لما فيها من السعة والرخاء، ولو صبروا على الإقامة فى المدينة لكان خيرا لهم لأنها حرم الرسول صلى الله عليه وسلم وجواره ومهبط الوحى ومنزل البركات [٢٥٣].

نبوءته ﷺ عن إنفاق كنوز كسرى وقيصر فى سبيل الله:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله [٢٥٤]".

٢٤٩- فتوح البلدان (ج١، ص١٢٨).
٢٥٠- يبسون: يسيرون.
٢٥١- صحيح البخارى (ج٤، ص٩) ومسلم (ج٢، ص١٠٠٨) ومالك (ج٢، ص٨٨٧).
٢٥٢- فتوح البلدان (ج١، ص٨٢).
٢٥٣- فتح البارى (ج٤، ص٩٣).
٢٥٤- صحيح البخارى (ج٦، ص١٥٧) ومسلم (ج٤، ص٢٢٣٧) والترمذى (ج٤، ص٤٩٧) وأحمد (ج٢، ص٢٣٣)

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد انتهى الأكاسرة وملكهم من العالم بعد هلاك كسرى، كما انتهى القياصرة وملكهم من الشام بعد هلاك قيصر، واستخلف الله سبحانه وتعالى المسلمين فى أموالهم وكنوزهم فأخذت ونقلت إلى المدينة المنورة، ثم أنفقت فى سبيل الله عز وجل حسب ما تنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم [٢٥٥].

يقول الإمام النووى رحمه الله: قال الشافعى وسائر العلماء: معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم فعلمنا صلى الله عليه وسلم بانقطاع ملكهما فى هذين الإقليمين، فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ، فأما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الأرض وتمزق كل ممزق واضمحل بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما قيصر فانهزم من الشام ودخل أقاصى بلاده فافتتح المسلمون بلادهما واستقرت للمسلمين ولله الحمد، وأنفق المسلمون كنوزهما فى سبيل الله كما أخبر صلى الله عليه وسلم [٢٥٦].

نبوءته ﷺ عن اثنى عشر خليفة من قريش:

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون بعدى اثنا عشر خليفة من قريش، ثم رجع إلى منزله فأتته قريش فقالوا ثم يكون ماذا ؟ قال: ثم يكون الهرج[٢٥٧] أى القتال، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان بعده اثنا عشر خليفة وهم الخلفاء الراشدون الأربعة، والحسن بن على، ومعاوية بن أبى سفيان، ويزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وبهذا يتم العدد اثنى عشر كلهم من قريش، ثم انتقلت الخلافة بعد وفاة الوليد بن عبد الملك من بنى أمية إلى بنى العباس، وقع أثناءها هرج وقتال بسبب خروج الخلافة من بنى أمية [٢٥٨].

٢٥٥- نبوءات الرسول (١٥٥)
٢٥٦- شرح النووى لصحيح مسلم (ج١٨، ص٤٢).
٢٥٧- صحيح البخارى (ج١٣، ص٣١١) ومسلم(ج٣، ص١٤٥٣) وأحمد (ج٥، ص٩٢) والترمذى(ج٤، ص٥٠١).
٢٥٨- نبوءات الرسول (ص١٦٦).

نبوءته ﷺ عن تمنى أصحابه رؤيته:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولا يرانى ثم لأن يرانى أحب إليه من أهله وماله معهم [٢٥٩].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أتى على الصحابة رضى الله عنهم يوم لم يروا النبى صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم وتمنوا رؤيته وأحبوا النظر إليه مقابل ما يملكون من غالٍ ورخيص.

يقول ابن حجر رحمه الله: إن كل أحد من الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم كان يود لو كان رآه وفقد مثل أهله وماله، وإنما قلت ذلك لأن كل أحد ممن بعدهم إلى زماننا هذا يتمنى مثل ذلك فكيف بهم مع عظيم منزلته عندهم ومحبتهم فيه [٢٦٠].

نبوءته ﷺ بأنه لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه:

عن الزبير بن عدى قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال: سمعت رسول الله صلى الله عنه يقول: اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم [٢٦١].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تجد الأمور سائرة إلى فساد والأحوال إلى زوال وانحطاط من القرن الأول الهجرى إلى يومنا هذا فلا يأتى يوم أو عام أو قرن جديد إلا وهو أكثر فسادًا وشرًا من سابقه[٢٦٢]وقد سئل الحسن البصرى عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال: لابد للناس من تنفيس [٢٦٣].

٢٥٩- صحيح البخارى (ج٦، ص٦٠٤) ومسلم (ج٤، ص١٨٣٦) وأحمد (ج٢، ص٤٤٩).

٢٦٠- فتح البارى (ج٦، ص٦٠٧).

٢٦١- صحيح البخارى (ج١٣، ص٦٩) والترمذى(ج٤، ص٤٩٢) وأحمد (ج٣، ص١٩٧).

٢٦٢- نبوءات الرسول (ص١٨٨).

٢٦٣- فتح البارى (ج١٣، ص٢١).

نبوءته ﷺ عن القدرية:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيكون فى أمتى أقوام يكذبون بالقدر[٢٦٤]وقد وقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم حيث ظهرت فى حدود سنة سبعين من الهجرة فرقة أنكرت القدر وزعمت أن الله سبحانه وتعالى لم يقدر الأشياء، ولم يتقدم علمه سبحانه بها، وإنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها، وسميت هذه الفرقة بالقدرية لإنكارهم القدر، وكان أول من تكلم فى القدر هو معبد بن خالد الجهنى [٢٦٥].

يقول الإمام النووى رحمه الله: إن مذهب أهل الحق هو إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها الله سبحانه وتعالى [٢٦٦].

نبوءته ﷺ عن اتباع أمته اليهود والنصارى:

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر[٢٦٧] وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر[٢٦٨] ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى ! قال: فمن؟[٢٦٩]".

وهكذا وقع الأمر كما تنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم حيث تتبعت أمته صلى الله عليه وسلم سنن الأمم السابقة، واقتفت آثارها وحاكتها فى عاداتها وتقاليدها عشرةً وسلوكاً، ولا يزال الحال على هذا المنوال إلى يومنا هذا،

٢٦٤- القدر هو ما قضاه الله وحكم به من الأمور والحديث صحيح فى الترمذى(ج٤، ص٤٥٦) وأحمد (ج٢، ص٩٠).
٢٦٥- البداية والنهاية (ج٩، ص٣٨).
٢٦٦- شرح النووى لصحيح البخارى (ج١، ص١٥٤).
٢٦٧- الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم فى كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه (فتح البارى ج١٣، ص٣٠١).
٢٦٨- التخصيص وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته؛ فلو أنهم دخلوا فى مثل هذا الضيق الردئ لتبعوهم.
٢٦٩- صحيح البخارى (ج٦، ص٤٩٥) ومسلم (ج٤، ص٢٠٥٤) وأحمد (ج٣، ص٨٣).

حيث أعرضت الأمة المحمدية عن حضارتها وعاداتها وأقبلت بنهم وإعجاب على حضارة غيرها من الأمم التى سئم أهلها منها، وأثبتت عدم جدارتها ومسايرتها للحياة، وطبقتها فى جميع مرافق حياتها؛ فى سلوكها وملبسها ومأكلها ومسكنها وعشرتها، بل وفى جميع مجالات حياتها، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه"[٢٧٠] .

نبوءته ﷺ عن ظهور الدجالين الكذابين:

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:"لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله[٢٧١] "

يقول بن حجر: قد ظهر مصداق ذلك، ففى آخر زمن النبى صلى الله عليه وسلم خرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسى باليمن، ثم خرج فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه، طليحة بن خويلد فى بنى أسد بن خزيمة، وسجاج التميمية فى بنى تميم، وغيرهم الكثير، وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم لا يحصون كثرة ابتداء من عصر الرسول إلى يومنا هذا، وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدت له شبهة، وقد أهلك الله تعالى من وقع له ذلك منهم، وبقى منهم من يلحقه بأصحابه، وآخرهم الدجال الأكبر[٢٧٢] .

نبوءته ﷺ عن الكذابين فى الحديث:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيكون فى آخر أمتى أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم[٢٧٣].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نبوءته حيث ظهر فى أمته ناس رغبوا لسبب أو لآخر فى اختلاق الأحاديث ووضعها ونسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً، فجاءوا بأحاديث لم يسمعها الرعيل

٢٧٠- نبوءات الرسول (ص٢٢٦).
٢٧١- صحيح البخارى (ج٦، ص٦١٦) ومسلم(ج٣، ص٨١) وأحمد (ج٢، ص٢٣٧).
٢٧٢- فتح البارى (ج٦، ص٦٠٧).
٢٧٣- صحيح مسلم (ج١، ص١٢) وأحمد (ج٢، ص٣٢١) والحاكم (ج١، ص١٠٣)

الأول من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم بل لا يقبلها العقل السليم، ولا يسوغها الفكر المستقيم، وسوف يفتريها أتباعهم الذين يأتون ويحذون حذوهم[٢٧٤].

نبوءته ﷺ عن فتنة إنكار الحديث:

عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثى فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله[٢٧٥].

وقد وقع ما تنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج رجل من الفنجاب من إقليم الهند، فتفوه بما لا يتكلم به أهل الإسلام، فأطال لسانه فى إهانة النبى صلى الله عليه وسلم ورد الأحاديث الصحيحة بأسرها، وقال: هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله تعالى، وإنما يجب العمل بالقرآن العظيم فقط دون أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم، وتبعه على ذلك كثير من الجهال وجعلوه إماما، وقد أفتى علماء العصر بكفره وإلحاده وأخرجوه من دائرة الإسلام والأمر كما قالوا [٢٧٦].

نبوءته ﷺ عن تداعى الأمم على المسلمين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى[٢٧٧] عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء[٢٧٨] كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم

٢٧٤- الوضع فى الحديث للدكتور عمر فلاتة نقلا من كتاب نبوءات الرسول (ص٢٣٢)

٢٧٥- صحيح الترمذى (ج٥، ص٣٨) وأحمد (ج٤، ص١٣١) وابن ماجة (ج١، ص٦) وأبو داود (ج٥، ص١٠).

٢٧٦- عون المعبود (ج١٢ ص٢٥٧).

٢٧٧- تداعت الأمم: أى اجتمعوا ودعا بعضهم بعضا.

٢٧٨- الغثاء: ما يجىء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ.

المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت(٢٧٩) .

وقد تحققت نبوءة النبى صلى الله عليه وسلم وتكالبت الأمم على الأمة الإسلامية وانتزعت مهابتها ومكانتها وأهميتها من قلوب غيرها، حتى أصبحت لا كلمة لها ولا مكانة، وأصبح الآخرون يحكمون فيها ويشاركون أراضيها كيفما أرادوا، ويديرون أمورها كيفما شاءوا(٢٨٠) .

نبوءته ﷺ عن ظهور ناس يشربون الخمر بغير اسمها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها(٢٨١) .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تحقق ما تنبأ به فى هذا الزمان الذى انتشرت فيه الخمور وتنوعت، وظهرت فى صور متفرقة وأسماء مختلفة، كالوسكى والشمبانيا، وغير ذلك.

نبوءته ﷺ عن أناس يخضبون بالسواد:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة(٢٨٢) .

وقد وقع ما تنبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يوجد ناس يخفون شيبهم بالسواد .

نبوءته ﷺ عن قلة الرجال وكثرة النساء:

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنى، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»(٢٨٣) .

٢٧٩- حسن أحمد (ج٥، ص٣٧٨) وأبو داود (ج٤، ص٤٨٣).
٢٨٠- نبوءات الرسول (ص٢٣٧).
٢٨١- صحيح أحمد (ج٥، ص٣٤٢) وابن ماجة (ج٢، ص١٣٣٣) وأبو داود (ج٤، ص٩٢).
٢٨٢- صحيح أحمد (ج١، ص ٢٧٣) والنسائى (ج٨ ص١٣٨) وأبو داود (ج٤، ص٤١٩).
٢٨٣- صحيح البخارى (ج١، ص١٧٨) ومسلم(ج٤ ص٢٥٦) وأحمد (ج٣، ص١٧٦).

يقول بن حجر رحمه الله: هذه الأمور وقعت خصوصا فى هذه الأزمان، أما كثرة النساء فسببه أن الفتن تكثر فيكثر القتل فى الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء، أو أن يقدر الله فى آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الإناث(٢٨٤) .

وقد حدث فى هذا الزمان أن كثرت نسبة ولادة الإناث وقلت نسبة ولادة الذكور، ويسير الأمر على ذلك إلى أن تكثر النساء فى صورة فظيعة.

ثانيا: بعض نبوءات الرسول ﷺ التى سوف تتحقق بإذن الله:

١- نبوءته ﷺ عن ظهور فتن كقطع الليل المظلم:

عن أنس بن مالك قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون بين يدى الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، ويبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا(٢٨٥)" .

يقول الإمام النووى رحمه الله: ينبغى المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف صلى الله عليه وسلم نوعا من شدائد تلك الفتن، وهو أن الرجل يمسى مؤمناً ثم يصبح كافراً، وهذا لعظم الفتن، فينقلب الإنسان فى اليوم الواحد هذا الانقلاب(٢٨٦) .

٢- نبوءته ﷺ عن ظهور المهدى:

عن عبد الله بن عمر قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى(٢٨٧)" .

وفى رواية "لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جورا (٢٨٨) " .

٢٨٤- فتح البارى (ج١، ص١٧٩).
٢٨٥- صحيح الترمذى (ج٤، ص٤٨٨) ومسلم(ج١، ص١١٠) وأحمد (ج٢، ص٣٠٤).
٢٨٦- شرح النووى لصحيح مسلم (ج١، ص١٥٥).
٢٨٧- صحيح بن حبان (ج١، ص٥٧٦) والطبرانى فى الكبير (ج١، ص١٦).
٢٨٨- حسن أحمد (ج١، ص٩٩) وأبو داود (ج٤، ص٤٧٤).

وهذا الرجل يعرف باسم المهدى، كما جاءت أحاديث صحيحة مصرحة باسمه، وهو يخرج آخر الزمان عند اختلاف وفرقة المسلمين، فيملك زمام الأمر، ويلم شتات المسلمين، ويجمعهم تحت لواء واحد، وفى أثناء ملكه وحكمه يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام[٢٨٩] .

٣- نبوءته ﷺ عن كشف الفرات جبلاً من ذهب:

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو[٢٩٠]" .

قال العلماء: إن ذلك يكون عند خروج المهدى[٢٩١] .

٤- نبوءته ﷺ عن الآيات التى تكون بين يدى الساعة:

عن حذيفة ابن أسيد الغفارى قال:اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون، قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر منها الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[٢٩٢]، وهذه النبوءة تتضمن إمارات الساعة الكبرى، وقد وردت فى كل إمارة منها أحاديث مستقلة وآراء كثيرة للعلماء.

٥- نبوءته ﷺ عن قتل المسلمين اليهود:

عن عبد الله بن عمر قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله»[٢٩٣]" .

٢٨٩- نبوءات الرسول (ص٢٨٩).
٢٩٠- صحيح البخارى (ج١٣، ص١١٨) ومسلم ج٤، ص٢٢١٩) وأبو داود (ج٤، ص٤٩٣).
٢٩١- نبوءات الرسول (٢٩٥).
٢٩٢- صحيح مسلم (ج٤، ص ٢٢٢٥) والترمذى (ج٤، ص٢٢١٩) وأبو داود (ج٤، ص٤٩٣).
٢٩٣- صحيح البخارى (ج٦، ص١٠٣) ومسلم (ج٤، ص٢٢٣٩) والترمذى (ج٤، ص٥٠٨).

يقول ابن حجر رحمه الله: المراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى[٢٩٤].

٦- نبوءته ﷺ عن كلام السباع والسوط وشراك النعل:

عن أبى سعيد الخدرى قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى تكلم الرجل عذبة[٢٩٥] سوطه وشراك[٢٩٦] نعله وتخبره بما أحدث أهله من بعده[٢٩٧] ".

فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء، وقد ثبت تكلم الجمادات والحيوانات لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧- نبوءته ﷺ بأن الإسلام يعود غريباً كما بدأ:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء[٢٩٨]".

فالإسلام كان فى أول أمره كالغريب الوحيد الذى لا أهل له لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريباً كما كان، أى يقل المسلمون فى آخر الزمان فيصيرون كالغرباء، فطوبى للغرباء: أى الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا فى أول الإسلام، ويكونون فى آخره لصبرهم على أذى الكفار ولزومهم دين الإسلام[٢٩٩].

٨- نبوءته ﷺ عن تخريب الكعبة على يد رجل من الحبشة:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين[٣٠٠] من الحبشة[٣٠١] "

٢٩٤- فتح البارى (ج٦، ص٦١٠).
٢٩٥- العذبة: طرف الشىء وعذبة السوط: السير المعلق فى طرف السوط.
٢٩٦- الشراك: أحد سيور النعل التى تكون على وجهها.
٢٩٧- صحيح الترمذى (ج٤، ص٤٧٦) وأحمد (ج٢، ص٨٤) وابن حبان (ج٨ ص١٤٥).
٢٩٨- صحيح مسلم (ج١، ص١٣٠) وابن ماجة (ج٢، ص١٣٢٠).
٢٩٩- البداية والنهاية (ج٣، ص٣٤٨).
٣٠٠- ذو السويقتين: به ساقان دقيقتان.
٣٠١- صحيح البخارى (ج٣، ص٤٥٤) ومسلم (ج٤، ص٢٢٣٢) والنسائى (ج٥، ص٢١٦).

قال بن حجر رحمه الله: إنه يقع فى آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لا يبقى فى الأرض أحد يقول الله الله[٣٠٢].

٩- نبوءته ﷺ عن تمنى الرجل الموت:

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتنى مكانه[٣٠٣] ".

قال العلماء: تمنى الموت إنما يكون لخوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصى والمنكر[٣٠٤].

١٠- نبوءته ﷺ عن هبوب ريح من اليمن تقبض كل مؤمن:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين[٣٠٥] من الحرير فلا تدع أحداً فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته[٣٠٦]".

قال الإمام القرطبى رحمه الله: إذا توفى عيسى عليه السلام فى آخر الزمان، بعث الله عند ذلك ريحاً باردة من قبل الشام، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة[٣٠٧].

هذه بعض نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق منها، وما سيتحقق بإذن الله تعالى، وهناك العشرات والعشرات من النبوءات والتى إن دلت على شىء فإنها تدل على أنها النبوة ولا شىء غير النبوة.

أدلة أخرى:

١- إخبار النبى صلى الله عليه وسلم بأنه مذكور فى كتبهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى

٣٠٢- فتح البارى (ج٣، ص٤٦١).
٣٠٣- صحيح البخارى (ج١٣، ص٧٥) ومسلم (ج٤، ص٢٢٧٠) وأحمد ج٢، ص٢١٦) وابن حبان (ج٨، ص٢٤٩).
٣٠٤- فتح البارى (ج١٣، ص٧٥).
٣٠٥- إشارة إلى الرفق بهم والإكرام لهم.
٣٠٦- صحيح مسلم (ج١، ص١٠٩) والحاكم (ج٤، ص٤٥٥).
٣٠٧- التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٠٠).

طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك: أنا دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمى التى رأت" [٣٠٨].

وهذا الإخبار منه صلى الله عليه وسلم هو من علامات نبوته، من جهة إخباره بما عندهم فى كتبهم من شأن أنبيائهم، ولم يكذبوه يوما واحدا فى شىء منها، فى الوقت الذى كانوا فيه أحرص ما يمكن على أن يظفروا منه بكذبة واحدة، أو غلطة أو سهو، فينادوا بها عليه، ويجدوا بها السبيل إلى تنفير الناس عنه، وهذا من أعظم الأدلة على صدقه لأنه لو كان كاذباً لظهر عليه الجهل والكذب والخداع والمراوغة إلى آخر أنواع الكذب والخداع لكن الذى ظهر عليه صلى الله عليه وسلم عكس ذلك حيث ظهر عليه العلم والصدق والبر والوضوح والصراحة والسلامة من التناقض والعدل والإنصاف وجميع الأمور التى تدل على صدقه، فالنبوة ليس ادعاؤها أمراً سهلاً فهى مشتملة على علوم وأعمال لابد أن يتصف الرسول بها وهى أشرف العلوم وأشرف الأعمال، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟! فمن عرف الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم وصِدْقَه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله علم يقيناً أنه نبى صادق، ولِمَ لا؟! وقد دل على صدقه ما اقترن به من القرائن منذ ادعائه النبوة إلى أن مات، الدليل "إن هذا الإيمان وهذا السعى الحثيث وهذا التصميم والعزم الذى قاد به محمد صلى الله عليه وسلم حركته حتى النصر النهائى، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق فى دعوته؛ إذ لو كانت فى نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبدًا أن يصمد أمام العاصفة التى استمرّ أوارها أكثر من عشرين عامًا كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل فى الهدف واستقامة فى الخلق وسموّ فى النفس كل هذه العوامل تؤدى لا محالة إلى الاستنتاج الذى لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقًا. هذا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ كان آية فى صفاته النادرة ونموذجًا كاملاً للفضيلة والخير، ورمزًا للصدق والإخلاص. إن حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته؛ فأى إنسان يدرس دون تحيّز

٣٠٨- رواه الإمام أحمد (١٢٨/٤)، والبزار والطبرانى ، ومعنى منجدلٌ فى طينته: أى مطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد.

حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقًا رسول من عند الله، وأن القرآن الذى جاء به للناس هو كتاب الله حقًا.

وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابدّ أن يصل إلى هذا الحكم و"كل قارئ لهذه الحقائق القاطعة من القرآن الكريم، والسنة النبوية والسيرة، وبشارات الكتب السماوية، وإقرار الملوك والسادة والزعماء، وشهادة العلماء، وإخبار الأحبار والرهبان وغيرهم، ودخول الناس فى دين الله أفواجا، من العرب، والعبرانيين، والسامريين، والروم، والفرس، والهند، والصين، وسائر الأمم، وانتشار الإسلام المستمر رغم جهود المبشرين والصهاينة لإطفاء نور الله تعالى فى الأرض،ليس أمامنا إلا أن نردد قول الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾[٣٠٩].

٣٠٩ - الآية ١٧٠ من سورة النساء.

رسالة عالمية خالدة

على الرغم من صورة المسلمين المشوهة التى رسمها الحاقدون على الإسلام بمكرهم، وعلى الرغم من حملات الدعاية المعادية للإسلام، لتشويه تاريخه وحضارته، ومبادئه، فإن الإسلام هو الأكثر سيادة على الأديان كلها، بفعل انتشاره السريع بين شعوب العالم.

وهذه الحقيقة أكدها دارسو الأديان فقالوا: إن الإسلام أصبح الآن أكثر الديانات انتشاراً بين شعوب العالم فى آسيا وإفريقيا وأوربا، وإن عدد المسلمين فى العالم يزداد بنسبة خمسين مليون نسمة سنوياً، وهذه الزيادة ترشح الإسلام ليصبح القوة المؤثرة فى الأحداث خلال القرون المقبلة [٣١٠].

وفى هذا الصدد يقول ليو تولستوى: «ستعم الشريعة الإسلامية كل البسيطة، لائتلافها مع العقل، وامتزاجها بالحكمة والعدل» [٣١١].

كما يقول أحد الباحثين ويدعى كليمان هوارت: أعتقد أن الإسلام قادم إلى أوربا بكل الحب، وسيصبح المسلمون الأوروبيون دعاة حقيقيين للإسلام، وسيأتى يوم يصبح فيه الإسلام هو المحرك الحقيقى للعالم [٣١٢].

---

٣١٠ - الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء (ج ٢، ص١٢٦٢).
٣١١ - ربحت محمد ولم أخسر المسيح (ص ٧٦).
٣١٢ - المرجع السابق (ص ٧٦).

لا إكراه فى دخول الإسلام

من يقرأ القرآن الكريم، يعلم حقيقة السماحة فى الإسلام، فى أعظم قضية جاء بها، وهى قضية التوحيد، فلم يكن الإكراه على الدين فى يوم من الأيام وسيلة للإسلام فى انتشاره، فالناس أحرار فى اختيار ما يعتقدون ﴿ **فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ (٣١٣)، لذلك كانت سماحة الإسلام وراء اعتناق الملايين له، لما رأوا أنه دين الحق.

يقول الشيخ الشعراوى رحمه الله: عندما يقول أعداء الإسلام إن الإسلام انتشر بالسيف. نرد عليهم: بأن الله قد بدأ الإسلام بضعف حتى يسقط هذا الاتهام.لقد كان المسلمون الأوائل ضعفاء لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.فيتجه بعضهم إلى الحبشة. ويهاجرون بحثاً عن الحماية. فلو كان الإسلام قد انتشر بالسيف، فلنا أن نسأل: من الذى حمل أول سيف ليكره أول مؤمن؟

إن المؤمنين رضوا بالإسلام دينا وهو فى غاية الضعف ومنتهاه. إن الإسلام قد بدأ، واستمر، ومازال يحيا بقوة الإيمان ولو أن الإسلام انتشر بالسيف فكيف تفسر وجود أبناء لديانات أخرى فى البلاد المسلمة؟

لقد أتاح الإسلام فرصة اختيار العقيدة لكل إنسان وارتفع السيف لا ليفرض العقيدة ولكن ليحمى حرية اختيار الناس للعقيدة الصحيحة(٣١٤).

إن جميع الشعوب التى اعتنقت الإسلام اعتنقته لما يحمل من تعاليم سمحة، وحرية دينية، وإن شيوع الادعاء بأن الإسلام انتشر بالسيف والإكراه الذى زعمه أعداء الإسلام سببه الجهل بحقيقة الدين الإسلامى الحنيف.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة ثلاثة عشر عاماً، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد كان نتاج هذه المرحلة أن دخل فى الإسلام خيار المسلمين، من الأشراف وغيرهم، وكان الداخلون أغلبهم من الفقراء، وتحمل المسلمون من صنوف العذاب وألوان البلاء ما تعجز الجبال الرواسى عن حمله، فما صرفهم ذلك عن دينهم، وما تزعزعت عقيدتهم، بل

---

٣١٣ - الآية (٢٩) من سورة الكهف.
٣١٤ - تفسير الشعراوى (ج١، ص ١٤٩٧).

زادهم ذلك صلابة فى الحق، وصمدوا صمود الأبطال مع قلتهم وفقرهم، وما سمعنا أن أحداً منهم ارتد سخطاً عن دينه، أو أغرته مغريات المشركين فى النكوص عنه.

ولو أن الإسلام لا ينتشر إلا بالإكراه لما وجد فى الدولة الإسلامية غير المسلمين، ولكن وجد فى الدولة الإسلامية اليهود والنصارى، وظلّوا على دينهم لم يحاول أحد أن يقتلهم أو يدخلهم فى دين الإسلام قهراً، بل تُركوا على دينهم، وما تمتع هؤلاء بحرية العبادة وأمان الحياة إلا فى ظل الدَولة الإسلامية(٣١٥).

وتاريخ الإسلام حافل بأروع الأمثلة على أن المسلمين لم يُكرهوا أحداً فى أى فترة من فترات التاريخ على ترك دينه واعتناق الإسلام، وأن الفتوحات التى تمت على أيدى المسلمين وما اشتهر به الفاتحون من تسامح تجاه العبادة المسيحية، أكبر دليل على أن الإسلام انتشر نتيجة القوة الأخلاقية فقط وبلا ضربة سيف واحدة، ولولا روح الإسلام السمحة، وتسامحه الذى لا حدود له لما انتشر بهذه السرعة العجيبة فى كل بقعة من الأرض من مشرقها إلى مغربها، هذه السرعة التى جعلت مستشرقاً مثل لين بول يقول: «فى الوقت الذى كان التعصب الدينى قد بلغ مداه جاء الإسلام ليهتف " لكم دينكم ولى دين".

ولذلك كانت رسالة الإسلام قائمة على طريق الخلود تلتقى بالإنسان حيث كان، فى كل زمان ومكان ليعود إلى فطرته، وينفض عنها كل ما علق بها من آفات الضلال والزيغ.

---

٣١٥ - تفسير الشعراوى (ج١، ص١٤٦٧).

ماذا قالوا بعد إسلامهم

هذه بعض نماذج لشخصيات غربية،من أهل الإنصاف بعضهم اعتنقوا الإسلام، بعد أن أتوه مختارين، طالبين له،وقد جهروا بشهاداتهم بعد أن سد أعداء الإسلام آذانهم، وأعموا قلوبهم، وقنعوا بما تلقوا من أوهام عن الإسلام وأهله حتى صار الأمر عندهم من المسلمات التى لاتقبل المناقشة فماذا قال هؤلاء المنصفون عن الإسلام؟

١-المسيو بيرك (عضو البرلمان الإنجليزى):

قال: «إن دين الله الإسلام، هو أحكم وأعقل وأرحم تشريع عرفه التاريخ البشرى» [٣١٦].

٢- كريستوفر شامونت أشهر رجل اقتصاد فى العالم:

قال: «إن الإسلام هو الدين الذى يخاطب العقل، ليضع الإنسان يده على بداية الطريق، ليحقق السعادة فى الدنيا والآخرة» [٣١٧].

٣- جوزيف سيفونتس (رجل أعمال بريطانى):

قال: «إن الدين الإسلامى هو الدين الحق لهداية البشرية الحائرة.وهو الوحيد القادر على حل مشكلات العالم»[٣١٨].

٤- ريتشارد بريان (خبير البترول العالمى):

قال: «لا شىء أعظم من أن تجد نفسك مسلماً مقتنعاً بكل شىء فى الإسلام الذى هو أحق الأديان بأن يتبع، ساعتها يمكنك أن تجد الله معك فى كل مكان، وقدرته واضحة فى كل شىء» [٣١٩].

٥- زيغريد هونكه (مستشرقة ألمانية):

«يكفى الإسلام فخراً أنه لا يقر مطلقاً قاعدة " لا سلام خارج الكنيسة "

---

٣١٦ - الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء (جـ١ : ص ٢٢٢).

٣١٧ - المرجع السابق (جـ١، ص ٥٠).

٣١٨ - المرجع السابق (جـ ٢ ص ٨٩).

٣١٩ - الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء (جـ ٢، ص٧٢).

التى يتبجح بها كثير من الناس، والإسلام هو الدين الوحيد الذى أوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب إلى الفسق والفجور»[٣٢٠].

٦- أرنستو كالينسان (مهندس طيار فلبينى):

قال: «وجدت فى الإسلام جميع القيم التى تسمو بالإنسان، يكفى أنه لا توجد وساطة بين الله والعبد، وهذا أروع ما شد انتباهى فى الإسلام، فالله يسمع من يناجيه،ولذا فالله أعظم من أن يتوسط عنده مخلوق لمخلوق، لأن الناس جميعاً عباده ومحتاجون إليه»[٣٢١].

٧- كارستن ازنزى (فيزيائى ألمانى):

قال: «وجدت ضالتى فى الدين الإسلامى الذى يحترم الإنسان، وينظم علاقته بربه، ويضع ضوابط لسلوكياته، ويشرع لحياته الدنيوية» [٣٢٢].

٨- فانسان مونتيه (مفكر فرنسى):

قال: «الإسلام يحفظ للإنسان إنسانيته، فيمنع عليه الرهبنة، ويدفعه إلى التمتع بالحياة وطيباتها ما لم تتعارض المتعة مع تعاليم الله تعالى»[٣٢٣].

٩- جوهانز ليهمان (قسيس الكنيسة الكاثوليكية فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا):

قال: «لقد تأكد لدى، أن الإسلام دين قوة روحانية تقود الإنسان إلى الوحدة الأخوية، وترشده إلى الله، وتؤكد له وحدانية الخالق» [٣٢٤].

١٠-المستر وينتروب كيهمبال الإنجليزى:

قال: «أعجبنى من الإسلام أنه دين بسيط معقول، ليس به ما فى غيره من نظريات معقدة، واعتقادات سخيفة، وطقوس لا معنى لها، وقديسون يكادون يبلغون فى ادعائهم الباطل درجة الألوهية» [٣٢٥].

١١-أرنست غلتو (عالم الاجتماع اليهودى):

قال: إننى أعترف بأن الإسلام دين المساواة، وبأن معطياته عظيمة، كما

---

٣٢٠ – ربحت محمد ولم أخسر المسيح (ص ٦٦).
٣٢١ – الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء (جـ ٢، ص ٦٤).
٣٢٢ – المرجع السابق (جـ ٢، ص ٩٦).
٣٢٣ – المرجع السابق (جـ ١، ص ٦٢).
٣٢٤ – الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء (جـ ٢، ص ٢١٦).
٣٢٥ – المرجع السابق (جـ ٢، ص ٢١٦).

أعترف بأن العـديد من الخرافات غطت على وجهه الحقيقى أمام الغربيين» [٣٢٦].

١٢-المستر ولر الإنجليزى:

قال: «كل دين لا يساير المدنية فى أطوارها المختلفة فاضربه على الجدار، فإنه يؤدى بأصحابه إلى الهلاك، والديانة الحقة التى تساير روح المدنية، إنما هى الديانة الإسلامية» [٣٢٧].

١٣- يوليوس برتولمبوجين (مهندس ألمانى):

قال: «لقد تركت كل شىء من أجل الإسلام، بعد أن رأيت قلبى يغمره نور ربانى، شعرت بعده باستقرار روحى وطمأنينة نفسية ما عرفتها من قبل»[٣٢٨].

١٤- براين هوايت (موسيقى بريطانى):

قال: «من المحتمل أن أكون عنصرياً متطرفاً فى عنصريتى قبل اعتناق الدين الإسلامى، الدين الذى علمنى معنى التسامح، والتراحم بين الناس، ونزع عنى شرور التطرف، والكراهية، والقسوة» [٣٢٩].

١٥- كريس جاكسون لاعب كرة سلة أمريكى:

«بحثت عن دين يهدينى إلى الصراط المستقيم، ويجيب عن أسئلتى الحائرة، حول المساواة والعدالة الاجتماعية، ومن ثم يشعرنى بإنسانيتى فاستوقفتنى معانى الحرية، والكرامة، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، فى الدين الإسلامى، وشعرت بأننى وجدت فيه ضالتى» [٣٣٠].

١٦- ميرى واتسون معلمة لاهوت:

قالت: «الإسلام هو الدين الأكمل والأمثل للحياة، بمعنى آخر: هو البوصلة التى توجه كل مظاهر الحياة، فى الاقتصاد، والاجتماع، وغيرهما، حتى الأسرة وكيفية التعامل بين أفرادها» [٣٣١].

---

٣٢٦ – **المرجع السابق** (جـ ٢، ص ٢١٩).

٣٢٧ – **المرجع السابق** (جـ ٢، ص ٢١٨).

٣٢٨ – **المرجع السابق** (جـ ٢، ص ١٢٦).

٣٢٩ – **هؤلاء أسلموا** (www.alhakeah.com).

٣٣٠ – **هؤلاء أسلموا** (www.alhakeah.com).

٣٣١ – **هؤلاء أسلموا** (www.alhakeah.com).

١٧- دوقلس آرثر:

يقـول:" لو أحـسن عـرض الإسـلام على الناس لأمكن به حل جـمـيع المشكلات، ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون فى ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء، فقد فشل هذان النظامان فى حل مشكلات الإنسان، أما الإسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء، والأمل والهدى للحيارى والضالين، وهكذا فالإسلام لديه أعظم الإمكانيات لتحدى هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج والكفاية ".

١٨- بورنز إدوارد:

يقول: " إن عظمة الحضارة الإسلامية وأهميتها لا ترجع إلى أنها فقط دين جديد آمن به الملايين من الناس فى أماكن متعددة ومتفرقة وإنما فيما أحدثته أيضاً من تغيرات اجتماعية وسياسية كثيرة، نتج عنها ثراء فكرى وتراث حضارى لم يسبق له مثيل. وقد تضمنت الحضارة الإسلامية الآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق كما كانت ذات تأثير خاص فى الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية "

١٩- المسلم الإسبانى فرانشيسكو كوديرا

" يقول: الإسلام قادم رغم كل العقبات، لكنه يحتاج إلى دعاة حقيقيين يقدمون تعاليمه بالحب والعمل".

٢٠- المسلم جون وبستر:

" يقول: يظهر أن الغرب المسيحى قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الإسلام، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة"

٢١- جان بول رو:

يقول فى كتابه "الإسلام فى الغرب" "إن عودة الإسلام إلى أوروبا هى موجة جديدة لن يقدر على وقفها أو الحد منها أى عقيدة أو مبدأ أو دين"

٢٢- المستشرق الفرنسى " جاك رسلر":

يقول فى كتابه " الحضارة العربية": فى غضون خمسمائة سنة (ما بين ٧٠٠ و ١٢٠٠) ساد الإسلام على العالم بقوة حضارته وعلمه.. فكان المقاتل العربى فى القرن الحادى عشر مزوداً بالقوس والقذافة قبل الغربيين بمائتى عام، وكانت القذافة تستعمل لغرضين؛ فهى لم تكن تسمح فقط بإطلاق عدة أسهم فحسب، بل كانت قادرة على قذفها لمسافة بعيدة، ومنها ما كان يطلق من على منصات إطلاق ثقيلة. ثم كان العرب أول من صنع البارود بعد ذلك بنصف قرن".

٢٣- مراد هوفمان:

يقول فى كتابه" الإسلام كبديل" "الإسلام هو الحياة البديلة بمشروع أبدى لا يبلى، ولا تنقضى صلاحيته، وإذا رآه البعض قديماً فهو أيضاً حديث ومستقبلىّ لا يحدّه زمان ولا مكان».

٢٤- غوستاف لوبون:

قال فى كتابه "حضارة العرب: "والإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم، ومن أعظمها تأديبا للنفوس، وحملا على العدل والإحسان والتسامح... وسيرى القارئ حين نبحث فى فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم، أن القوة لم تكن عاملا فى انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا فى أديانهم، وإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام من النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من ساداتهم السابقين

٢٥- مراد هوفمان:

يقول فى "الطريق إلى مكة: "الإسلام دين شامل وقادر على المواجهة، وله تميزه فى جعل التعليم فريضة، والعلم عبادة ... وإن صمود الإسلام، ورفضه الانسحاب من مسرح الأحداث، عُدَّ فى جانب كثير من الغربيين خروجاً عن سياق الزمن والتاريخ، بل عدّوه إهانة بالغة للغرب".

٢٦- هستون سميث:

يقـول فى كتـابه " ديانـات الإنسـان: "إن الإسـلام فى هذا العـصـر كمـا فى العصور السابقة أسرع الأديان إلى كسب الأتباع المصدّقين".

٢٧- المبشر جون تكل:

يقـول: "الإسـلام آخذ فى الانتشـار رغم أن الجهود التى تبذل فى سبـيله تكاد تكون فى حكم العدم" عن كتاب "الغارة على العالم الإسلامى»

٢٨- الدكتور إيزكو انساباتو:

يقول: إن الشـريعة الإسـلاميـة تفوق فى كثير من بحـوثها الشـرائع الأوربية، بل هى تعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً".

٢٩- دينونبورت:

يقـول فى كتـابه «اعـتذار إلى مـحمد والإسـلام: "إن من الحـمـاقـة أن نظن أن الإسلام قام بحد السيف، فإن هذا الدين يحرم سفك الدماء، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وقد أمر بالشورى ونهى عن الاستبداد، ومنح الإنسان حقوقه المدنية، ولتتذكر أوروبا أنها مدينة بحضارتها للمسلمين أنفسهم».

٣٠- يان سامويلسون:

قـال فى كتـابه: "الإسـلام فـى السـويد: " إن الإسـلام أشـدّ حـضـارية ممّا يظنّه الكثير من المسيحيين و يذهب إلى القول أيضا إنَّ الإسلام هو مدرسة قائمة فى حدّ ذاتها وليس الإسلام صورة منسوخة عن المسيحية كما يعتقد كثير من المسيحيين فى الغرب."

٣١- الشاعرة الهندية "ساروجينى نايدو:

تقـول: لقد كـان الإسلام أول دين يبشـر بالديمقـراطية ويمـارسهـا، فيـجتمع المصلون معًا فى المساجد حين يرفع الأذان لتتجسد ديمقراطية الإسلام خمس مرات فى اليوم عندما يركع ويسجد الفلاح والملك جنبًا إلى جنب، معلنين أن "الله أكبر".

وتمضى شاعرة الهند قائلة: "وقد أدهشتنى مرة أخرى هذه الوحدة الإسلامية التى لا انفصام لها، التى تجعل المرء أخًا بالفطرة؛ فأنت حين تقابل مصريًا وجزائريًا وهنديًا وتركيًا فى لندن فلا فرق إلا أن مصر هى بلد أحدهم والهند بلد الآخر".

٣٢- "المهاتما غاندى":

"لقد قال أحد الأوربيين فى جنوب إفريقيا أنهم يخشون مجىء الإسلام، الإسلام الذى حضَّر ومدَّن إسبانيا، الإسلام الذى حمل مشعل النور إلى مراكش وبشر العالم ببشارة الأخوة.

إن الأوروبيين فى جنوب إفريقيا يخشون مجىء الإسلام لأنه يقرر ويؤكد مساواة الملونين بالأجناس البيضاء، فليخشونه بجد. وإذا كانت الأخوة خطيئة وإذا كانت المساواة بالأجناس الملونة هى ما يخشونه، فخشيتهم إذن فى محلها".

٣٣- يوهان غوته:

يقول فى كتابه "جوته والعالم العربى": «درست تاريخ الأديان على مدى خمسين عاماً، وإن العقيدة التى يُربّى عليها المسلمون لتدعو لأعظم دهشة!! إذ تقوم على أساس الإيمان بأنه لن يصيب الإنسانَ إلا ما كتبه الله له، وإنه ما من شىء ينقص هذه العقيدة، ولن يكون بإمكان أىٍ امرئٍ أن يتجاوزها ... إن الإسلام هو الدين الذى سنقرّ به جميعاً إن عاجلاً أو آجلاً ... وأنا لا أكره أن يقال عنى أنى مسلم".

أباطيل ومفتريات

لقد تعرض الإسلام ونبيه منذ أقدم العصور وحتى الآن إلى سلسلة من الادعاءات الباطلة، نسج أعداء الإسلام من خيوطها مقولات من الكذب والضلال، ليصرفوا وجوه الناس عن شمس الإسلام الساطعة، ويزعزعوا الوازع الدينى لدى أبناء الأمة الإسلامية،فيخلعوا منهم سلاح الإيمان،وبذلك يسلب منهم سلاح النصر.

لقد انهالت الشبهات على الإسلام، ونشأ جيش من المستشرِقين الذين يقومون بدراسة الإسلام للطعن فيه، وإيراد الشبهات عليه، وقد عظُم الخطب وادلهم الأمر حينما روَّج المستشرقون هذه الشبهات فى الإعلام المقروء والمسموع والمرئى،فعمدوا إلى إيقاع بعض الشباب والفتيات فى أن يدخلوا لهم باسم الدين الإسلامى وبدافع الصداقة ثم يقوموا بعرض ما لديهم من أكاذيب لا على أنها طعن فى الدين ولكن على أنها جزء من النقاش الهادف على حد زعمهم، وذلك عن طريق ما يقومون ببثه عبر الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) أو عبر بعض القنوات الفضائية الخاصة بهم، لكن الله عز وجل شاءت إرادته أن تستمر المواجهة بين الحق والباطل ما دامت السماوات والأرض، وما بقى الليل والنهار، وقد يضعف صوت الحق ولكنه لا يموت، وقد تكسر رايته ولكنها لا تباد، لقد قيض الله لهذا الدين علماء صدق ردوا الأفاعى إلى جحورها، وأخرسوا ألسنة الباطل فردوا الشبهات التى

أثارها أعداء الإسلام، وكشفوا عن عوار باطلهم، وضعف منطقهم، ودحضوا حججهم فأقبل الناس على الإسلام يدخلون فيه أفواجاً بعد أن تبين الصبح لكل ذى عينين.

ولا يزال يبدئ القول فى هذه الشبهات ويعيد قوم مضلّون هدفهم إيجاد مسارب من الضلال تسوق شباب المسلمين إلى متاهات، تعمى عليهم فيها السبل، فلا يميزون بين طيب وخبيث، ولا يفرقون بين نور وظلام، فتتزاحم فى صدورهم الوساوس، وتتداعى عليهم الريب والشكوك، فيخف ميزان الدين عندهم، وتتحل الروابط بينهم وبينه، فيدمر المجتمع الإسلامى كله، وهذا ما يريده أعداء الدين بأتباع هذا الدين.

لكن الحقائق العليا ما كانت بحاجة أبدا إلى من يدافع عنها، لأن من يعمى عن رؤية هذه الحقائق ويجادل أو يمارى فى بهائها وجلالها هو أبعد من أن يهتدى إلى حق، أو يستقيم إلى هدى.

وها هى أهم الشبهات التى وجهها أعداء الإسلام إلى الإسلام ورسوله أقدمها مرة أخرى بشكل واضح وبسيط لعوام المسلمين؛ خوفا عليهم من الانجراف وراءها، ولشباب المسلمين حصن هذه الأمة، لنضع فى أيديهم الأداة اللازمة للدفاع عن دينهم ورسولهم صلى الله عليه وسلم ضد مختلف الافتراءات:

الشبهة الأولى

الادعاء بأن الإسلام دين بداوة ووحشية فى تطبيق حدوده

الرد على الشبهة الأولى

إن الحدود التى فرضها الإسلام لجرائم القتل والسرقة والزنى وشرب الخمر وغيرها إنما فرضها رعاية للشعور العام، وحفظاً لناموس الجماعة من أن ينتهك، أو يمتهن بالخروج السافر عليه، وبارتكاب الآثام جهرة فى تحدٍ واستخفاف بشعور المجتمع.

فقتل القاتل عمداً هو عند أعداء الإسلام عمل فيه قسوة شنيعة على الإنسان، لكنه فى الإسلام، عمل يقوم على الحكمة، والحق، والعدل،

والإحسان، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣٣٢] فالقصاص فى الإسلام وقتل القاتل، حياة للإنسانية وإبقاء عليها، وحراسة قائمة على رءوس البغاة والمعتدين، ومن تحدثهم أنفسهم بالبغى والعدوان، لأن القاتل عندما يعلم أنه لن ينجو من القتل لما أقدم على القتل ولعمل ألف حساب وحساب قبل أن يقدم على فعلته[٣٣٣].

وقطع يد السارق، يرى أعداء الإسلام أنها بربرية وحشية، تدين الإسلام، وتضعه فى قفص الاتهام أمام محكمة المدنية والحضارة، لكن الإسلام يرى أن تغليظ عقوبة السرقة ليس قسوة، ولا استخفافاً بالإنسان، ولا استرخاصاً لوجوده، بل هو فى حقيقته تكريم للإنسان، للسارق والمسروق معاً، ففى هذه العقوبة دعوة لمن تحدثه نفسه بالسرقة، أن يصرف نفسه عن هذا المورد الذى لا يليق بكرامة الإنسان، ولا ترضاه مروءة الحر الأبىّ، وأن عليه أن يلتمس أسباب الرزق بالعمل، وأن يأكل من سعيه وعمل يده، وأن يكون أسداً يقتنص فريسته، وألا يكون كلباً أو ذباباً يسقط على فضلات الطعام، ويقع على الجيف كما أن فى هذه العقوبة تكريماً للعامل، وحماية لثمرة عمله من أن تكون لقمة سائغة لأيدى الذين لا يعملون، من ساقطى الهمم، وخائرى العزائم[٣٣٤].

فالسرقة اعتداء خفى على حرمة الإنسان، واستباحة لماله الذى هو بمنزلة النفس عند صاحبه.. وأنه إذا كانت المدنية الغربية قد استخفت بهذه الجريمة، حتى مارست سرقة الأمم والشعوب، فإن الإسلام لا يستخف بهذه الجريمة، بل يضعها بموضعها بين الجرائم الغليظة، ولا تأخذه رحمة فيمن لا يرحم أخاه الإنسان، فيأخذ ثمرة عمله، ويحرمه نتاج كده وجهده.

أما حدود جريمة الزنى، فقد فرق الإسلام فى حد الزنى بين المحصن

---

٣٣٢ - الآية (١٧٩) من سورة البقرة.
٣٣٣ - الإسلام فى مواجهة الماديين والملحدين(ص٧٠).
٣٣٤ - المرجع السابق (ص٧٠).

وغير المحصن، فالمحصن أى المتزوج من الرجال والنساء حده الرجم، أما غير المحصن، ذكراً كان أو أنثى، فحده الجلد مائة جلدة، فإذا توافرت أركان الجريمة، وثبتت ثبوتاً قاطعاً بشهادة أربعة شهود، على أنهم رأوا من الزانيين ما يكون من الاتصال بين الزوج وزوجته، أو كان ذلك بإقرار الزانى على نفسه طائعاً مختاراً، يريد أن يطهر بالرجم، أو الجلد من هذا الإثم، على أن يراجع فى هذا الإقرار حتى يتكرر منه الإقرار أربع مرات، دون أن يعدل عن إقراره، وجب إقامة الحد، رجماً أو جلداً، حتى تحدث العبرة والعظة(٣٣٥).

لكن أعداء الإسلام قالوا: كيف يجلد الإنسان كما يجلد الحيوان ؟، ثم لا يكتفى بهذا، بل يمثل به هذا التمثيل، فيدعو الناس إلى مشاهدته وهو يتلوى تحت سياط العذاب ؟

أما عملية الرجم فهى عملية أشد بشاعة، وأنكر نكراً من كل ألوان العقاب والعذاب، فهذا رجل، وتلك امرأة يرمى بهما أحياء فى حفرة، ثم تأخذهما الأيدى من كل جانب رجماً بالحجارة حتى الموت، دون أن ينظروا إلى ذلك الإنسان الذى وقع تحت هذه العقوبة وإلى أى مستوى حيوانى لا إنسانى نزل إليه.

حقا إن العقوبة قاسية، فيها إهدار لآدمية الإنسان واستخفاف بإنسانيته.. لكن أى إنسان هذا الذى أهدر الإسلام آدميته، واستخف بإنسانيته؟

إنه حيوان آدمى قد تعرى من كل معانى الإنسانية، فلا حياء، ولا عفة، ولا مروءة، بل فجور، وتجرد من الحياء، واستخفاف بالجماعة التى يعيش بينها، فلا يكتفى بالعدوان على حرمة أحد أفرادها فى خفاء، بل يأتى جريمته علناً على أعين الناس، وكأنه فى حجرة مغلقة عليه وعلى زوجه(٣٣٦).

من جهة أخرى فإن وقوع الزنى فى أى مجتمع أو تفشيه بين أفراده فيه ضياع للأنساب وانقطاع صلة الأبناء بالآباء، وحل لروابط الأسرة التى يقوم بناؤها على صلة الدم بين أفرادها، ونتائج ذلك، تصدع المجنمع وانهيار بنيانه.

---

٣٣٥ - المرجع السابق (ص١٠٨).
٣٣٦ - المرجع السابق (ص١١٠).

الشبهة الثانية

الادعاء بأن الإسلام يدعو إلى التشدد والتطرف وأن لفظ المسلم أصبح مرادفاً للإرهابى[٣٣٧].

الرد على الشبهة الثانية: هذا الادعاء ضد الحقيقة تماماً والنصوص هنا أبلغ رد على ذلك، فالقرآن ينهى عن الغلو والتشدد فى الدين، فيقول تعالى: ﴿ **لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ** ﴾[٣٣٨] ويصف المسلمين بقوله ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾[٣٣٩] ويأمر رسوله والمسلمين قائلاً: ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا** ﴾[٣٤٠] فلم يذكر فى غزوة من الغزوات أنه اعتدى على أحد أو غزا قوماً مسالمين بل كانت غزواته وسراياه موجهة إلى من بدأه بالعداوة، وحاول الكيد للإسلام والمسلمين، وكان يأمر أمراءه إذا أرسلهم ألا يقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا عجوزاً ولا راهباً معتزلاً فى صومعته، وكان ينهاهم عن التحريق بالنار وإفساد الزرع.

وقد غيّر النبى صلى الله عليه وسلم أغراض الحروب وأهدافها التى كانت تضطرم نار الحرب لأجلها فى الجاهلية، فبينما كانت الحرب بقصد النهب والسلب والقتل والإغارة والظلم والبغى والعدوان، وأخذ الثأر، وكبت الضعيف، وتخريب العمران وتدمير البنيان وهتك حرمات النساء والقسوة على الضعيف والولائد والصبيان وإهلاك الحرث والنسل، والعبث والفساد فى الأرض فى الجاهلية، إذ صارت هذه الحرب فى الإسلام جهاداً فى تحقيق أهداف نبيلة وأغراض سامية وغايات محمودة يعتز بها المجتمع الإنسانى فى كل زمان ومكان، وغدت الحرب جهاداً فى تخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان.

إن تحول المجتمع إلى نظام العدل والإنصاف بدلاً من نظام يأكل فيه القوى الضعيف، حتى يصير المجتمع إلى نظام يصير فيه القوى ضعيفاً حتى يؤخذ

٣٣٧ - الإسلام بين الحقيقة والادعاء (ص١٠٣)
٣٣٨ - الآية (١٧١) من سورة النساء
٣٣٩ - الآية (١٤٣) من سورة البقرة
٣٤٠ - الآية (١١٢) من سورة هود

الحق، منه وصارت بذلك الحرب جهاداً لتخليص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً.

وصارت جهاداً فى تطهير أرض الله من الغدر والخيانة والإثم والعدوان، وغدت وسيلة لبسط الأمن والسلامة والرأفة والرحمة ومراعاة الحقوق والمروءة.

والمتأمل فى أحكام الإسلام وتعاليمه، يجد أنها تتميز كلها باليسر والسماحة، يقول الله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[٣٤١] ويبدو هذا بوضوح فى الشعائر التى يؤديها المسلم، وما ينتج عنها من أخلاق التراحم، والتصافى، والتواصى بالحق والصبر، والتعاون على البر والتقوى، فالإسلام جاء ليقيم الاعتدال والوسطية، بعد التطرف الدينى الذى وقع فيه اليهود، حين خالفوا الفطرة بتحريم ما أحل الله لهم، وبإقبالهم على الدنيا، وأكل الأموال بالباطل، وكذلك التطرف الذى وقع فيه النصارى حين خالفوا الفطرة بفرض رهبانهم التبتل على أنفسهم والانقطاع الكامل للعبادة، يقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾[٣٤٢] فالتشدد أو التطرف لا يرجع إلى الدين، إنما يرجع إلى التصور الخاطئ أو المنقوص للدين، وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن المتشدد فى الدين قد ينسلخ منه تماماً نتيجة عدم الفهم الصحيح له[٣٤٣].

أما تهمة الإرهابى التى تلصق حالياً بالمسلمين، فإنها تعتمد على تصرفات قلة قليلة من الأفراد، أو الجماعات التى تسعى إلى تحقيق مصالحها الشخصية، بالتستر تحت قناع الدين، والدين منها برئ حتى تحظى بتعاطف المسلمين البسطاء، ولم يُعرف من تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة أن أحداً منهم قتل أى مسالم من أصحاب دين مخالف، أو حمل أحدًا على اعتناق الإسلام[٣٤٤].

---

٣٤١ - الآية (١٨٥) من سورة البقرة
٣٤٢ - الآية (٣٢) من سورة الأعراف
٣٤٣ - الإسلام بين الحقيقة والادعاء، ص ١٠٦.
٣٤٤ - المرجع السابق، ص ١٠٨

ويكفى أن نذكر قول الله تعالى: ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾(٣٤٥) وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** ﴾(٣٤٦). كذلك يدعو الإسلام إلى التعايش السلمى بين الشعوب، ويحث المسلمين على أن يعاملوا غير المسلمين بالبر والعدل، فيقول تعالى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾(٣٤٧).

الشبهة الثالثة

الادعاء بأن الشورى ليست ملزمة للحاكم فى العالم الإسلامى

الرد على الشبهة الثالثة: الشورى تعتبر من أهم المبادئ السياسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى العالم الإسلامى، يقول تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾(٣٤٨) فهذه الآية دليل قاطع لا يدع مجالاً للشك على أن الشورى مبدأ أساسى من مبادئ النظام السياسى الإسلامى التى يجب أن يتحلى بها المؤمنون سواء كانوا يشكلون جماعة لم تقم لها دولة، أو كانوا يشكلون دولة قائمة بالفعل.

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم منذ لحظات قيام الدولة وتأسيس الأمة على أن تكون الشورى هى القاعدة الحاكمة فى صنع القرار.

---

٣٤٥ - الآية (٣٢) من سورة المائدة

٣٤٦ - الآية (٥٦) من سورة الأعراف

٣٤٧ - الآية (٨) من سورة الممتحنة

٣٤٨ - الآية ١٥٩ من سورة آل عمران

ومع أن الوحى كان يراوحه ويغاديه، إلا أنه كان يمارس الشورى فى شئون الحياة كلها سلماً وحرباً.

والسنة النبوية زاخرة بالأمثلة العملية لاستشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ومن هذه الأمثلة ما يلى:

١ ـ استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الخروج يوم بدر، فأشار عليه أصحابه من الأوس والخزرج متمثلين فى قائديهما المقداد بن عمرو، وسعد بن معاذ، بالخروج حيث قال المقداد بن عمرو: يارسول الله امض لما أمرك الله، فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنَّا معكما مقاتلون.

وقال سعد بن معاذ: لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما نكره أن تلقى بنا العدو غداً، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله[٣٤٩].

٢ ـ استشارته صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر فى المنزل الذى ينزل به المسلمون حين أشار الحباب بن المنذر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزل آخر غير الذى اختاره فاقتنع الرسول صلى الله عليه وسلم برأى الحباب، وأعلن أمام المسلمين أنه نزل على رأى الحباب، وأن فى ذلك الحكمة والصواب[٣٥٠].

٣ ـ استشارته صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يفعل بأسرى بدر[٣٥١] فأشار عليه عمر بن الخطاب بضرب أعناقهم، وأشار عليه أبو بكر بأخذ الفداء منهم، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأى أبى بكر، فقبل منهم الفداء، وأطلق سراحهم، فعاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم على

٣٤٩ - سيرة ابن هشام ص (جـ ٢، ص ١٨٨) وسيرة ابن كثير (جـ ٢، ص ٣٩١)
٣٥٠ - سيرة ابن كثير (جـ ٢، ص ٤٠٢ وحياة محمد (ص ٢١٦)
٣٥١ - سيرة ابن هشام (جـ ٢، ص ٢٢٤)

عدم قتلهم ونزل قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[٣٥٢].

٤ ـ استشارته صلى الله عليه وسلم أصحابه فى غزوة الخندق، حينما أحدق المشركون وأحاطوا بالمدينة، حيث أشار عليه سلمان الفارسى بحفر الخندق فاستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه المشورة[٣٥٣]، ورأينا أن هذا الخندق قد حال بين المشركين وبين تحقيق مآربهم التى كانوا يبغونها فى القضاء على المسلمين فى عقر دارهم، والأمثلة فى ذلك كثيرة.

ولقد درب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على هذا الأسلوب الفذ، فتخرجوا جميعاً فى مدرسة الشورى حتى أصبحت الشورى قاعدة من قواعد الإسلام الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى العالم الإسلامى.

الشبهة الرابعة

الادعاء بأن الإسلام هو الذى أنشأ الرق

الرد على الشبهة الرابعة: الوقائع تثبت، والتاريخ يؤكد، والحقائق تقرر، أن الإسلام جاء والرق فى هذه الدنيا، لأن كل الأديان قبل الإسلام أباحت الرق، وألزمت الأرقاء طاعة سادتهم.

ولنسأل التاريخ عن نبأ ما قبل الإسلام؟ لقد كانت هناك شرائع فى الشرق والغرب، فى اليونان وفى الرومان، وفى غير اليونان والرومان فتحت باب الرق على مصراعيه، فكان جزاء القاتل أن يكون عبداً لولى الدم، وكان المدين الذى يعجز عن وفاء دينه ينقلب مملوكاً لدائنه، وكان السارق الذى يضبط عنده متاع يصبح رقيقاً لرب المال، وكان السلطان المطلق المخول لرب الأسرة على أعضائها يبيح له أن يقتل منهم من شاء، وأن يبيع من شاء، وكان نير العبودية متى وضع على عنق فلا فكاك لها منه، إلا أن يتفضل السيد بفكها بمحض إرادته[٣٥٤].

---

٣٥٢ – الآيتان (٦٧)،(٦٨) من سورة الأنفال
٣٥٣ – سيرة ابن هشام (جـ ٣، ص ١٢٧) وسيرة ابن كثير (جـ ٣، ص ١٨٣)
٣٥٤ – فى رحاب التفسير (ص ٦٢١٠)

وجـاء الإسـلام ليعـالج تلك المشكلة، حـتى أنه أصـبح الدين الوحـيـد الذى شـرع للأرقـاء شـرعـة لم يسبق إليهـا دين من الأديان، فشـرع العتق ولم يشـرع الرق، وقـد ندب المسلمين إلى فك الإسـار عن الأسـرى، فـجـعله فـريضـة من فـرائض التكفيـر عـن ذنوب كثيـرة، كالقـتل الخطأ، والحنث فى اليمـين، ومن يظاهـر من زوجتـه، فكل ذلك فـرض الإسلام فيـه تحرير الرقاب، هذا بجانب من يؤدى الزكاة فى مـصـارفـهـا، فـمنع اسـتـرقـاق الأحـرار وأمَّنهم منه، بعد أن كانـوا مهددين به من كل جانب، ولم يكتف الإسـلام بتحصين الأحـرار أنفسـهم من خطـر الاسـتـرقـاق، بل إنه حـال بينهم وبين أن يخـرج من أصـلابهم ذرية تسـتـعـبـد، وذلك بمنع التـزاوج بين الأحـرار والإمـاء، إلا فى حـالـة الاضطرار وخشـيـة العنت، وهذا من أوضح الأدلة على أن الإسـلام قبل أن يبدأ بالعلاج الشافى من الرق القائم بالفعل، أراد بهذه التشـريعات الواقيـة، منع إنشـاء فئة جديدة من الأرقاء[٣٥٥].

الشبهة الخامسة

الادعاء بتدنى مكانة المرأة فى الإسلام وهضم حقوقها

الرد على الشبـهة الخامسة: إن المتتبع لموقف الشـريعة الإسـلامـية من المرأة يلمس بوضـوح كيف أعلت الشـريعة الإسـلامية من شـأنها، وأعطتها حقـوقها كاملة، ورفعت عن كاهلها وزر الإهانات التى لحـقت بها عـبـر التـاريخ، فـقـد كانت الجـاهلية العربية كمـا كانت سـائر الجـاهليات من حولهم، تعامل المرأة معـاملة سيئة، لا تعـرف لها حقـوقها الإنسـانية فتنزل بها عن منزلة الرجل نزولاً شنيعاً، يدعها أشبه بالسلعة منها بالإنسان، وذلك فى الوقت الذى تتخذ منهـا تسلية ومتـعـة بهيمـيـة، وتطلقـها فتنة للنفوس، وإغـراء للغـرائز، ومادة للتشهى والغزل العارى المكشوف.

فجاء الإسـلام لِيُقِرَّ بوضعها الطبيعى كعنصـر فعال من عناصـر المجتمع، يتوقف على صلاح حالها، وتكريمها، والاعتراف بأهليتها، وحقوقها، صـلاح المجتمع ككل ونهوضـه وتماسكه[٣٥٦] فـرفع عن المرأة تبعة المسئولية التى كانت

---

٣٥٥ -- فى رحاب التفسير (ص ٦٢١١)
٣٥٦ - قانون حقوق الإنسان (ص٢٢٥)

توصم بها على أيدى رجال الديانات السابقة، فلم يجعل السبب فى خروج آدم من الجنة ناشئاً منها وحدها، بل جعل ذلك مسئولية مشتركة بينهما، يقول تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[٣٥٧].

بل إن بعض الآيات تلقى بالتبعة على آدم وحده كما جاء فى قوله تعالى ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[٣٥٨].

وجاء الإسلام فحرم عادة التشاؤم التى كانت مسيطرة على العرب بميلاد البنت، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٣٥٩].

وجاء الإسلام فحرم وأد البنات، وذم الذين كانوا يفعلون ذلك، وشدد عليهم النكير، يقول تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[٣٦٠].

وجاء الإسلام وأعلى قدر المرأة، فألغى نظام وراثتها كسائر الأموال، وأشركها فى الميراث مع الرجل، وأعطاها أهلية التصرف فى أموالها بالبيع والهبة والوصية، وجميع أوجه التصرف، دون أن يكون للرجل ـ حتى ولو كان زوجها ـ أى سلطة على هذا المال[٣٦١].

كما ساوى الإسلام فى الطبيعة الإنسانية بين الرجل والمرأة، وأبان بصورة جلية أن الإنسان ذكراً كان أو أنثى من أصل واحد، وبالتالى فليس هناك مجال للتفرقة، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

---

٣٥٧ - الآية ٣٦ من سورة البقرة

٣٥٨ - الآيتان (١٢١)،(١٢٢) من سورة طه

٣٥٩ - الآيتان (٥٨)،(٥٩) من سورة النحل

٣٦٠ - الآية (١٤٠) من سورة الأنعام

٣٦١ - قانون حقوق الإنسان (ص ٢٢٨)

وَاحِدَةٍ ﴾[٣٦٢]، فالرجل والمرأة متساويان تماماً فى الاعتبار الإنسانى، وليس لأى منهما ميزة على الآخر فى هذا الصدد، والكرامة التى منحها الله للإنسان فى قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[٣٦٣] هى كرامة للرجل والمرأة على السواء. لا فرق بينهما إلا فى العمل الصالح، الذى يقدمه كل منهما، يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٣٦٤].

وجاء الإسلام وأكرم المرأة كزوجة وجعل الزواج رابطة إنسانية، بين الرجل والمرأة، وجعل المساواة وحسن المعاشرة والمودة والرحمة، أساساً للعلاقة بين الزوجين، وأكرمها كأم إلى درجة عالية، فأمر ببرها وجعل حظها من ذلك أكبر من حظ الرجل، وأكرمها كبنت فأتاح فرصة تعليمها شريطة أن يكون ذلك مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك والمظهر الذى يتفق والأخلاق الكريمة، والإيمان بتعاليم الدين وعدم الخروج عليها.

وجملة القول، إنه ما وجد دين، ولا شرع، ولا قانون، فى أمة من الأمم أعطى النساء ما أعطاهن الإسلام من الحقوق والعناية والكرامة.

الشبهة السادسة

الادعاء بأن تعدد الزوجات امتهان للمرأة

الرد على الشبهة السادسة: عندما جاء الإسلام، كان نظام تعدد الزوجات معروفاً فى الشرائع السماوية السابقة، وكانت بعض المجتمعات تبيح التعدد بلا قيود، والعرب فى جاهليتهم كانوا أكثر هذه المجتمعات تعدداً للزوجات، فأباح الإسلام نظام التعدد، ولم يفرضه بل قيد هذه الإباحة كماً وكيفاً فيقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ

---

٣٦٢ - الآية (١) من سورة النساء
٣٦٣ - الآية (٧٠) من سورة الإسراء
٣٦٤ - الآية (٩٧) من سورة النحل

النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾ [٣٦٥].

ففى هذه الآية نجد الشريعة الإسلامية تساير ما كان شائعاً فى المجتمع من إباحة التعدد، غير أن هذه المسايرة لم تأت مطلقة، وإنما جاءت مقيدة بعدد محدود من الزوجات لا يجوز التجاوز عنه، ولم تكتف الآية بتقييد العدد بأربع، ولكنها اشترطت أيضاً على من يريد التعدد أن يعدل بين زوجاته فى المعاملة الظاهرة، أى فى الإنفاق، والإسكان، والمبيت، وحسن المعاشرة، والقيام بواجباته الزوجية، فمن لم يستطع العدل أو لم يأمن على نفسه من الوقوع فى التمييز بين زوجاته، انقلبت الإباحة تحريماً، ووجب عليه الاقتصار على واحدة[٣٦٦].

والإسلام عندما أباح التعدد، أباحه مراعاة للفطرة الإنسانية، والرغبة فى حل كثير من المشاكل الاجتماعية التى تترتب على حظر التعدد أو تحريمه تحريماً تاماً، وهى:

١ ـ فى الأخذ بمبدأ التعدد، إذا توافرت دواعيه وتحققت شروطه، صوناً للأخلاق، واستجابة للفطرة، وتسامياً فى السلوك، ورقياً بالمجتمع فى مدارج الحياة الفاضلة، لأنه يكافح الحرمان[٣٦٧].

٢ ـ إن حرمان أعداد كثيرة من الإناث من متع الحياة الزوجية مصير محتوم لكثرة عددهن، مع قلة الذكور، والاقتصار على زوجة واحدة، والحرمان آفة مدمرة وخيمة العواقب[٣٦٨].

٣ ـ الحرمان من الزواج قد يؤدى بالفتاة إلى الانحراف والانغماس فى الرذيلة، فالتعدد يحارب الانحراف والرذيلة[٣٦٩].

٤ ـ قد يتعرض المجتمع بأسره لظاهرة تزايد الإناث على الذكور تزايداً فاحشاً كما يحدث فى أعقاب الحروب، أو يحتاج بلد إلى كثرة الإنجاب

---

٣٦٥ – الآية (٣) من سورة النساء

٣٦٦ – قانون حقوق الإنسان (ص ٣٧٨)

٣٦٧ – افتراءات المستشرقين على الإسلام (ص ١٦٩)

٣٦٨ – المرجع السابق (ص ١٦٨)

٣٦٩ – المرجع السابق (ص ١٦٩)

تحقيقاً لوفرة الأيدى العاملة اللازمة لتنفيذ خطط التنمية، ففى هاتين الحالتين يتصدر تعدد الزوجات قائمة الحلول[٣٧٠].

٥ ـ فى حالة الزوجة العقيم، التى يريد زوجها ذرية وخلفاً، إذا لم تكن الشريعة قد أباحت التعدد، فكان يتعين على الرجل فى هذه الحالة أن يطلق زوجته، ويلتمس له ذرية من زوجة جديدة، وفى هذا إساءة للزوجة العقيم التى تفضل البقاء مع زوجها حتى لو شاركتها فيه زوجة أخرى.

٦ ـ فى حالة الزوجة المريضة التى لا تستطيع القيام بواجباتها الزوجية، فبقاء مثل هذه الزوجة مع زوجها، والسماح له بأن يتزوج أخرى، لا شك أنه مما يتفق وكرامتها ويحفظ لها حقوقها، بدلاً من طلاقها وهى مريضة وعاجزة عن مواجهة ظروف الحياة وتعريضها للحرمان والضياع.

٧ ـ وأخيرا فقد غاب عن هؤلاء المضللين أن البلدان التى حرمت التعدد نشأ فيها الفجور والمخادنة وامتلأت فيها الملاجئ بأبناء الزنى والبيوت بالأبناء غير الشرعيين.

إن خالق الناس ومن هو أدرى بالناس من الناس قال بالتعدد، فهل يجوز لإنسان مهما يؤت من علم أن يأتى فيقول لا؟.

الشبهة السابعة

الادعاء بأن الحجاب الذى فرضه الإسلام على المرأة يعتبر سبباً من أسباب تخلف العالم الإسلامى

الرد على الشبهة السابعة: مَنْ ينظر فى الزى الإسلامى، الذى ينبغى للمرأة أن تتزيا به، ير أنه دعوة من دعوات الفطرة، قبل أن يكون أمراً من أوامر الدين، فإذا ما تركت المرأة الحجاب، كان هذا خروجاً سافراً على الطبيعة الإنسانية، التى تدعو الأنثى أن تتمنع على الذكر، وأن تقيم بينه وبينها أكثر من حجاب ساتر، حتى تظل دائماً مطلوبة له، يبحث عنها ويعانى فى سبيل الوصول إليها، فإذا وصل إليها بعد شوق ومعاناة كانت عزيزة عليه، كريمة عنده، وليس الأمر كذلك إذا وجدها بين يديه، سهلة المنال، قريبة المأخذ.

٣٧٠ - المرجع السابق (ص ١٩٨)

ومن الواضح أيضاً أن المرأة إذا تبدت للرجل فى صورة غير مجملة بالوقار والحشمة، وظهرت له فى ثوب من الخلاعة والتهتك، كان ذلك دعوة إليها وإلى الطمع فيها.

تقول صحفية «هيلسيان متانسيرى» الأمريكية بعد أن مكثت شهراً فى مصر: إن القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة صالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا[٣٧١].

فما جاء به الإسلام إذن من دعوة المرأة للتزيى بهذا الزى الذى تستر به مفاتنها عن الرجال، لم يكن إلا حفظاً لدينها، وحماية لشرفها، واعتزازاً بكرامة إنسانيتها، وقبل كل هذا، فإن الالتزام بالزى الإسلامى، يعنى الخضوع لأمر الله، والاستقامة على طريقه، وتكوين شخصية إنسانية فاضلة، ينشدها كل عاقل، وتكوين مجتمع فاضل مستقر لا همجية فيه ولا فوضى، أما التبرج فهو من بقايا الجاهلية، ويعنى رفض حكم الله وشرعه، ورفض مبادئ الإنسانية التى تميل إليها كل نفس ذكية، يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾(٣٧٢).

الشبهة الثامنة

الإدعاء بأن النبى ﷺ ارتاب فى نبوته ورسالته

الرد على الشبهة الثامنة: لقد استند أعداء الاسلام فى إسناد هذا الاتهام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حديث السيدة عائشة رضى الله عنها التى قالت فيه: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق

٣٧١ - جريدة الجمهورية (٩ يونيو ١٩٦٢)
٣٧٢ - الآية (٥٩) من سورة الأحزاب

الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث[٣٧٣] فيه الليالى ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطنى[٣٧٤] حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾[٣٧٥]

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال: زملونى .. زملونى، فزملوه[٣٧٦] حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى، فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[٣٧٧] وتكسب المعدوم[٣٧٨]، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب[٣٧٩] الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصر فى الجاهلية، فيكتب بالعبرانية، ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً[٣٨٠]، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَ مخرجى هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى[٣٨١].

---

٣٧٣ - التحنث: التعبد
٣٧٤ - الغط: العصر الشديد
٣٧٥ - الآيات من (١) إلى (٣) من سورة العلق
٣٧٦ - زملوه: أى لفوه
٣٧٧ - الكل بالفتح: الثقل من كل ما يتكلف، والكل: العيال والمراد: من يستقل بأمره
٣٧٨ - المعدوم: الفقير والمراد تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك
٣٧٩ - النوائب جمع نائبة وهى الحادثة وإنما قالت نوائب الحق لأن النائبة قد تكون فى الخير وقد تكون فى الشر
٣٨٠ - جذعاً: يعنى شابا قويا حتى أبالغ فى نصرتك وحمايتك
٣٨١ - صحيح البخارى (فتح البارى جـ ١، ص ٣٠) ومسلم (شرح النووى جـ١، ص ٤٧٤)

يقول العلماء ردا على هذا الاتهام ما يلى:

١ ـ إن الله تعالى حفظ للأنبياء والرسل ظواهرهم وبواطنهم، وتفكيرهم، وخواطرهم، وسائر أعمالهم، حفظاً كاملاً، فلا يقع منهم قط ما يشكك فى نبوتهم ورسالاتهم[٣٨٢].

٢ ـ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تَعَرَضَ وهو فى غار حراء للمفاجأة ثلاث مرات متواليات، مرة عند دخول الملك عليه فى مختلاه ومتعبده دون تمهيد، ومرة فى تجلى الملك له على صورته الملائكية وقد سد الافق، ومرة عندما أمره بالقراءة مع أميته، كل ذلك جعله يرجف فؤاده، ويخشى على نفسه، وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجف ويخشى، لأن ذلك كان أول معاملة اعترته، وكلها أمور تضعف عن حملها فطرة البشر[٣٨٣] يقول تعالى: ﴿**وخلق الإنسان ضعيفا**﴾[٣٨٤].

٣ ـ وقوله صلى الله عليه وسلم: (فغطنى حتى بلغ منى الجهد) يبين مدى الشدائد التى صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اللقاء المفاجئ، إذ صحب مع دخول الملك عليه فى متعبده دون تمهيد، ورؤيته للملك على صورته الملائكية، وأمره بالقراءة، صحب كل ذلك مع ما فيه من شدة شدائد أخرى، إذ غطه الملك ثلاث مرات والغط: العصر الشديد، وحبس النفس وفى كل مرة من هذا الغط بلغ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهد مبلغه وغايته حتى ظن بنفسه الموت[٣٨٥].

٤ ـ إن خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه من الموت من شدة الرعب، وشدة نزول الوحى عليه، ومن أن يقتله قومه، جعله يرجع بما حملت نفسه الكريمة من آثار ذلك كله إلى بيته وزوجته الأمينة، وزيرة الصدق، ومأنس الوفاء، يبدى لها ما تعرض له فى غار حراء، من محن وشدائد تذيب رواسى الجبال، فكان من فراستها ورجاحة عقلها، أن أقسمت على أن الله تعالى لن يخزيه، وأكدت ذلك بلفظ التأبيد «كلا والله ما يخزيك الله أبداً»

---

٣٨٢ - رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٢٠٣)
٣٨٣ - المرجع السابق (ص ٢٢١)
٣٨٤ - الآية (٢٨) من سورة النساء
٣٨٥ - المرجع السابق (جـ ١، ص ٣٢)

واستدلت على ما أقسمت عليه بأمر استقرائى، فوصفته بأصول مكارم الأخلاق «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٣٨٦] .

٥ ـ إن ذهاب خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، لم يكن إلا للاطمئنان على زوجها، لما اشتهر عن ورقة من العلم بما فى الكتب السماوية، فلما أخبره صلى الله عليه وسلم بما رأى بشره بأنه سيكون نبى هذه الأمة، وتمنى ورقة أن يعيش حتى يدرك انتشار الإسلام، ويكون من أنصاره وأعوانه فهل فى هذه القصة ما يزعمه الخصوم من ارتياب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نبوته؟ وأنى لهم هذا الزعم وكل ما فى الحديث أن ورقة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رأى، قائلاً: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، إذن لم يسأله ورقة عما يشك فيه، ولم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أشك فى كذا، وإنما كل ما فى الأمر، سؤال عما حدث له وإخبار منه (لهذا الحدث، ولم يعقب أو يستفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ليقينه بأن ملكاً من عند ربه نزل عليه بوحى الله تعالى، وإنما جاء التعقيب والاستفسار على قول ورقة: «ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك» ففى هذا الكلام شئ جديد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيستفسر (أوَ مخرجى هم ؟) وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول: كيف يخرجوننى وأنا جئت لإخراجهم من الظلمات إلى النور، فيأتى الجواب من ورقة: نعم أى هم مخرجوك، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً[٣٨٧] .

٦ ـ لا يستطيع عاقل أن ينكر دور الزوجة عامة فى تخفيف الآلام عن زوجها، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر زوجته بما لاقاه من رعب وفزع وشدة بعد عودته من غار حراء وعليه آثار الروع والمشقة، فأراد صلى الله عليه وسلم أن تخفف عنه آثار ذلك مما جعله يقول: زملونى.. زملونى، أو دثرونى.. دثرونى وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول: غطونى بما أدفأ به حتى يذهب عنى أثر الرعب والرجفة، تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها

٣٨٦ – رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٢١٣)
٣٨٧ – المرجع السابق (ص ٢١٧)

فزملوه حتى ذهب عنه الروع[٣٨٨]، وقد أدت خديجة رضى الله عنها دورها وطمأنت زوجها بأعظم الكلمات، ولا يستطيع أحد أن ينكر دور خديجة العظيم فى تخفيف آلام الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أول يوم أرسل فيه[٣٨٩].

٧ ـ إن عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفس المكان الذى لقى فيه ما خشيه على نفسه، دليل قاطع على ثباته صلى الله عليه وسلم ورباطة جأشه، واطمئنانه، ويقينه بفوزه برسالة ربه، وأنه لم يشك قط ولو للحظة واحدة فى نبوته، ولا فى أن ما جاءه هو جبريل عليه السلام، ومعه وحى الله تعالى، وذلك لأن بداهة العقل تأبى أن تقبل أن أى إنسان تَوَجَّس خيفة من شر حادث وقع له فى مكان، أن يعود إليه فى سرعة وهو يملك الاختيار والإرادة[٣٩٠].

الشبهة التاسعة

الادعاء بافتراء النبى ﷺ فى تبليغ الوحى

الرد على الشبهة التاسعة: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العطرة وإجماع الأمة تؤكد كذب هذا الادعاء وتبين للناس كمال صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يبلغه من قرآن وسنة وهذه هى الأدلة:

أولا: الأدلــة من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾[٣٩١] فالذى جاء بالصدق هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد شهد أن ما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى قرآن وسنة يسمى صدقا ولا يأتى بالصدق إلا كامل الصدق و ذلك مما لا جدال فيه حيث كان صدقه معلوما

٣٨٨ – فتح البارى (جـ ٨، ص ٥٩٠)
٣٨٩ – رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٢١٥)
٣٩٠ – رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٢١٢)
٣٩١ – الآية (٣٣) من سورة الزمر

منذ حداثة سنه، وشهد له بذلك أعداؤه قبل أصدقائه يقول تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ [٣٩٢] [٣٩٣].

٢ ـ قوله تعالى **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾[٣٩٤].

فهذه الآيات دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فى تبليغه الوحى قرآنا وسنة[٣٩٥].

٣ ـ قوله تعالى ﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ** ﴾[٣٩٦] فهذه الآيات دليل عصمته صلى الله عليه وسلم فى البلاغ لوحى الله تعالى، إذ فيها القسم على تصديقه بجميع الموجودات وأنه لا يمكنه الافتراء عليه[٣٩٧].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾[٣٩٨].

فكلمة ينطق فى لسان العرب تشمل كل ما يخرج من الشفتين قولاً أو لفظاً[٣٩٩] أى ما يخرج نطقه صلى الله عليه وسلم عن رأيه إنما هو بوحى من الله عز وجل[٤٠٠].

---

٣٩٢ - الآية ٣٣ من سورة الأنعام

٣٩٣- رد شبهات حول عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص٢٦٤)

٣٩٤- الآيات من (٤٤ إلى ٤٧) من سورة الحاقة

٣٩٥ -المرجع السابق (ص٢٦٥)

٣٩٦- الآيات من (٣٨ إلى ٤٣) من سورة الحاقة

٣٩٧ -شرح الزرقانى على المواهب الدنية (ج ٩، ص ٥٣)

٣٩٨ - الآيتان ٣،٤ من سورة النجم

٣٩٩ - لسان العرب (جـ ١٠، ص ٣٥٤)

٤٠٠ - الجامع لأحكام القرآن (جـ ١٧، ص ٨٤)

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[٤٠١] فهذه الآيات دليل على عصمته صلى الله عليه وسلم فى كل ما بلغ عن ربه عز وجل.

يقول القاضى عياض رحمه الله: فى الآية دليل على أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته[٤٠٢].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[٤٠٣] يقول الإمام القسطلانى، يعنى من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا إلى الخلق أحكام الله فهو فى الحقيقة ما أطاع إلا الله وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم فى جميع الأوامر والنواهى وفى كل ما يبلغه عن الله[٤٠٤].

٧ ـ قوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[٤٠٥] قال قتادة: كان القرآن غيبا فأنزله الله تعالى على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وذلك دليل على عصمته صلى الله عليه وسلم فى إبلاغ الوحى.

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية المطهرة:

١- روى عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإنى لن أكذب على الله[٤٠٦].

٢- روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: كنت أكتب كل

---

٤٠١ – الآيات من (٧٣ إلى ٧٥) من سورة الإسراء
٤٠٢ – الشفا (جـ ٢، ص ١٢٩)
٤٠٣ – الآية (٨٠) من سورة النساء.
٤٠٤ – المواهب اللدنية (جـ ٨، ص ٥٠٥)
٤٠٥ – الآية (٢٤) من سورة التكوير.
٤٠٦ – صحيح مسلم شرح النووى(ج٨، ص١٢٧).

شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتنى قريش وقالوا : أتكتب كل شىء تسمعه؟ ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا؟! قال: فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بإصبعه إلى فيه، فقال: اكتب فو الذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا الحق.

٣- روى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " إنى لا أقول إلا حقًّا، قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله، قال: إنى لا أقول إلا حقا [٤٠٧].

فهذه الأحاديث تدل دلالة قاطعة على عصمته صلى الله عليه وسلم من الكذب فيما يخبر به عن الله تعالى

ثالثاً:الأدلة من سيرته العطرة ﷺ

١- سأل الأخنس بن شريق أبا جهل، وقد خلا كل منهما بالآخر يوم بدر، فقال، يا أبا الحكم، أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا من قريش أحد غيرى وغيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذ ذهب بنو قصى باللواء، والحجامة،والسقاية، والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله تعالى: «فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ»[٤٠٨].

٢- روى عن على بن أبى طالب أنه قال: قال أبو جهل للنبى صلى الله عليه وسلم قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم وتصدق الحديث، ولا نكذبك ولكن نكذب الذى جئت به، فأنزل الله عز وجل قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ [٤٠٩].

---

٤٠٧ – أخرجه أحمد فى مسنده (ج ٢، ص ٣٤٠) والترمذى فى سنده (جـ ٤، ص ٣١٤) وقال حسن صحيح.

٤٠٨ – أخرجه ابن جرير فى تفسيره (بلاغ البيان ج ٧، ص ١٨١) وابن كثير فى تفسيره (ج٣، ص٢٤٦)

٤٠٩ – الآية (٣٣) من سورة الأنعام.. والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك (جـ ٢، ص ٣٤٥) وصححه على شرط الشيخين.

٣- روى أن سعد بن معاذ قال لأمية بن خلف، إنى سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك، قال: إياى؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد إذا حدَّث.

وقد تحقق ذلك يوم بدر حيث اشترك فى الغزوة ورآه المسلمون فقتلوه شر قتلة[٤١٠].

٤- روى أن النضر بن الحارث قال: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، ولقد كان محمد فيكم غلاما حدثا، أرضاكم عقلا، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه [٤١١] الشيب، وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحرا! لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن ! لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وحالهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر! لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون! لا والله ما هو مجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، ثم قال لهم، يا معشر قريش، انظروا فى شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم [٤١٢].

فكل هذه الشواهد تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فى تبليغ الوحى.

وأخيرا فقد أجمعت الأمة على أنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقا، ولا يبلغ عن الله تعالى إلا صدقا هذا بجانب ما يلى:

١- إن أسلوب القرآن الكريم يخالف مخالفة تامة أسلوب كلام محمد صلى الله عليه وسلم، فلو رجعنا إلى كتب الأحاديث التى جمعت أقوال محمد صلى الله عليه وسلم وقارناها بالقرآن الكريم لرأينا الفرق الواضح والتغاير الظاهر فى كل شىء، فى أسلوب التعبير،وفى الموضوعات، فحديث محمد صلى الله عليه وسلم تتجلى فيه لغة المحادثة والتفهيم والتعليم والخطابة فى

---

٤١٠ -صحيح البخارى (ج٦، ص٧٢٧)

٤١١ - الصدغ : ما بين العين والأذن ويسمى الشعر المتدلى فى هذا الموضح صدغا انظر مختار الصحاح.

٤١٢ - أخرجه ابن اسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام (ج١، ص ٣٧٦)

صورها ومعناها المألوف لدى العرب كافة، بخلاف أسلوب القرآن الكريم الذى لا يُعرف له شبيه فى أساليب العرب.

٢- إذا افترض الشخص أن القرآن الكريم إنتاج عقل بشرى، فإنه يتوقع أن يذكر شيئاً عن عقلية مؤلفه. ولو كانت تلك الادعاءات حقيقية فإن أدلة ذلك ستظهر فى القرآن الكريم، فهل توجد مثل تلك الأدلة؟

وحتى نتمكن من الإجابة عن ذلك فإن علينا معرفة الأفكار والتأملات التى دارت فى عقله فى ذلك الوقت ثم نبحث عنها فى القرآن الكريم.

٣- يستشعر القارىء فى فطرته عند قراءة الحديث النبوى شخصية بشرية وذاتية تعتريها الخشية والمهابة والضعف أمام الله، بخلاف القرآن الكريم الذى يتراءى للقارىء من خلال آياته ذاتية جبارة عادلة حكيمة خالقة بارئة مصورة، رحيمة لا تضعف حتى فى مواضع الرحمة مثل قوله سبحانه فى شأن أتباع عيسى عليه السلام ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (٤١٣)

فلو كان القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم لكان أسلوبه وأسلوب الأحاديث سواء. ومن المسلم به لدى أهل البصر الأدبى والباع الطويل فى اللغة أن من المتعذر على الشخص الواحد أن يكون له فى بيانه أسلوبان يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً جذرياً.

٤ ـ محمد صلى الله عليه وسلم أُمّىّ ما درس ولا تعلم ولا تتلمذ، فهل يُعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعى المتكامل دون أى تناقض، فأقر بعظمة هذا التشريع القريب والبعيد، المسلم وغير المسلم؟ فكيف يستطيع هذا الأمى أن يكون هذا القرآن بإعجازه اللغوى الفريد وإعجازه التشريعى المتكامل اجتماعياً واقتصادياً ودينياً وسياسياً.... هل يمكن لهذا الكتاب أن يكون من عنده؟! وهل يجرؤ على تحدى ذلك بقوله:"أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا " هذا تحدٍ واضح لغير المسلمين فهو يدعوهم لإيجاد خطأ فيه.

---

٤١٣ - الآية ١١٨ من سورة المائدة

٥ ـ إن نظرة القرآن الكاملة الشاملة المتناسقة للكون والحياة والفكر والمعاملات والحروب والزواج والعبادات والاقتصاد لو كانت من صنع محمد صلى الله عليه وسلم، لما كان محمد بشراً. إن هذه التنظيمات وهذه التشريعات والآراء تعجز عن القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات عالمية وتخصص عميق مهما يُتح لها من المراجع والدراسات والوقت. فرجل واحد أياً كانت عبقريته، وأياً كانت ثقافته ليعجز عن أن يأتى بتنظيم فى مسألة واحدة من هذه المسائل، فما بالك بكلها مع تنوعها وتلون اتجاهاتها وهل يتسنى لأُمى أن يأتى بهذه النظرة الشاملة فى الكون والحياة والفكر؟

٦ ـ لماذا يؤلف محمد صلى الله عليه وسلم القرآن وينسبه إلى غيره؟ فالعظمة تكون أقوى وأوضح وأسمى فيما لو جاء بعمل يعجز عنه العالم كله، ولكان بهذا العمل فوق طاقة البشرية فيُرفَع إلى مرتبة أسمى من مرتبة البشر، فأى مصلحة أو غاية لمحمد صلى الله عليه وسلم فى أن يؤلف القرآن وهو عمل جبار معجز وينسبه لغيره؟

٧ ـ فى القرآن الكريم أخبار الأولين بما يُغاير أخبارهم فى الكتب المتداولة أيام محمد صلى الله عليه وسلم، فإن القرآن الكريم يحتوى على معلومات كثيرة لا يمكن أن يكون مصدرها غير الله. مثلاً: من أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم عن سد ذى القرنين؟وماذا عن سورة الفجر وهى السورة رقم ٨٩ فى القرآن الكريم حيث تذكر مدينة باسم إرَم " مدينة الأعمدة " ولم تكن معروفة فى التاريخ القديم ولم يكن لها وجود حسب معلومات المؤرخين. ولكن مجلة الجغرافية الوطنية وفى عددها الذى صدر فى شهر كانون الأول لعام ١٩٧٨ أوردت معلومات مهمة ذكرت أنه فى عام ١٩٧٣ اكتشفت مدينة إلبا فى سوريا. وقد قدر العلماء عمرها بستة وأربعين قرناً، لكن هذا لم يكن الاكتشاف الوحيد المدهش، بل إن الباحثين وجدوا فى مكتبة المدينة سجلاً للمدن الأخرى التى أجرت معها إلبا تعاملات تجارية، وكانت إرم إحدى تلك المدن ! أى أن مواطنى إلبا تبادلوا معاملات تجارية مع مواطنى إرم!.

٨ ـ وماذا عما فيه من إعجاز علمى فى الكون والحياة والطب والرياضيات....وذلك بالعشرات بل والمئات، فهل يُعقل أن هذا الأُمى قد وضعها؟ كيف عرف الأمى أن الأرض كروية بشكل بيضاوى لقوله سبحانه

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾[٤١٤]،و أن الحياة ابتدأت من الماء.لا يمكن إقناع من عاشوا منذ أربعة عشر قرناً بهذا، فلو أنك وقفت منذ أربعة عشر قرناً فى الصحراء وقلت " كل هذا الذى ترى" وتشير إلى نفسك "مصنوع بأغلبيته من الماء "فلن يصدقك أحد، لم يكن الدليل على ذلك موجوداً قبل اختراع الميكروسكوب. كان عليهم الانتظار لمعرفة أن السيتوبلازم وهى المادة الأساسية المكونة للخلية تتكون من ٨٠٪ من الماء ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون** ﴾ [٤١٥] إن هناك اختلافاً فى التوقيت بين مناطق العالم ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [٤١٦] ومعنى الآية أنه عند نهاية التاريخ ومجىء يوم القيامة، فإن ذلك سيحدث فى لحظة تصادف بعض الناس أثناء النهار وآخرين أثناء الليل، وهذا يوضح حكمة الله وعلمه الأزلى بوجود مناطق زمنية، رغم أن ذلك لم يكن معروفاً منذ أربعة عشر قرناً. إن هذه الظاهرة ليس بالإمكان رؤيتها بالعين المجردة، أو نتيجة لتجربة شخصية وهذه حقيقة تكفى لتكون دليلاً على مصداقية القرآن الكريم.

الشبهة العاشرة

التشكيك فى نبوة الرسول ﷺ لإصابته بالسحر:

الرد على الشبهة العاشرة

استند أعداء الإسلام فى إسناد هذا الاتهام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حديث عائشة رضى الله عنها قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى من يهود بنى رزيق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت حتى

٤١٤ - الآية ٣٠ من سورة النازعات
٤١٥ - الآية ٣٠ من سورة الأنبياء
٤١٦ -الآية ٢٤ من سورة يونس

كان رسول الله يخيل إليه أنه يفعل الشىء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه؟ جاءنى رجلان[٤١٧] فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، فقال الذى عند رأسى للذى عند رجلى، أو الذى عند رجلى للذى عند رأسى: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب[٤١٨] قال: من طبه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال: فى أى شىء، قال فى مشط [٤١٩] ومشاطة [٤٢٠] قال وجب [٤٢١] طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: فى بئر ذى أروان [٤٢٢]، قالت فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أناس من أصحابه، ثم قال: يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين، قالت: فقلت يا رسول الله، أفلا أحرقته؟ قال: لا، أما أنا فقد عافانى الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت بها فدفنت[٤٢٣].

ويقول العلماء ردا على هذا الاتهام ما يلى:

١- هذا الحديث لا يتعارض مع عصمته صلى الله عليه وسلم ، ولا يشكك فى نبوته، وإنما يمثل نقطة مشرقة، إنه صلى الله عليه وسلم سحر لكنه لم يخرج عن دائرة الصواب، بل كان فى أعلى درجات الاستقامة والهداية، وهذا يدل على أن السحر لم يؤثر فى قواه العقلية صلى الله عليه وسلم ولا فى درجته الإيمانية، وإنما كان مؤثرا فى أداء الجسم، وهذا لا علاقة له بالرسالة والوحى والعصمة، ومع أنه أمر جسدى، فإن الرعاية الإلهية قد شملته وتولاه الله بالحفظ، وسلمه سبحانه وشفاه، بعد أن أطلعه عز وجل على المكيدة التى صنعها له لبيد بن الأعصم فى السحر، فأبطل صلى الله عليه وسلم كل ذلك[٤٢٤].

٢- يقول القاضى عياض رحمه الله: وكل ما جاء فى الروايات من أنه يخيل إليه فعل الشىء ولم يفعله، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل

٤١٧ - أى ملكان فى صورة رجلين
٤١٨ - مطبوب : مسحور
٤١٩ - مشط : الآلة المعروفة التى يسرح بها شعر الرأس واللحية ٠
٤٢٠- مشاطة : الشعر الذى يسقط من الرأس واللحية عند التسريح
٤٢١- جب : الوعاء الذى يكون فيه ثمرة النخل
٤٢٢ - هى بئر بالمدينة فى بستان بنى رزيق
٤٢٣ - صحيح البخارى (فتح البارى، جـ ١ ص ٢٤٣) ومسلم (شرح النووى جـ ٧، ص ٤٢٩)
٤٢٤ - رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٢٣٤)

تطرق إلى العقل، وليس فى ذلك ما يدخل لبساً على تبليغه صلى الله عليه وسلم أو شريعته، أو يقدح فى صدقة لقيام الدليل والإجماع على عصمته صلى الله عليه وسلم من هذا فلا مطعن لأهل الضلالة (٤٢٥).

٣- يقول ابن حجر رحمه الله: إنه لم يثبت، بل ولم يرد أنه صلى الله عليه وسلم تكلم بكلمة واحدة فى أثناء مدة السحر تدل على اختلال عقله صلى الله عليه وسلم ، ولا أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبر به، ومن نفى فعليه الدليل ولا دليل (٤٢٦).

٤ - الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن معصوما من الأمراض، فلقد كانت تجرى عليه كل النواميس المعتادة التى أودعها الله فى ولد آدم، حتى قالت عنه السيدة عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان رجلا مسقاما، وكان أطباء العرب يأتونه فأتعلم منهم (٤٢٧) وليس فى السحر على الهيئة الواردة ما ينقص من قدره وعصمته كإمام لسائر الأنبياء والمرسلين ما دام السحر على قواه البدنية (٤٢٨).

٥- جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده صلى الله عليه وسلم وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله يخيل إليه: أى يظهر له من نشاطه، ومتقدم عاداته القدرة على زوجاته، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور (٤٢٩).

٦- إن عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم الواردة فى قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ (٤٣٠).

---

٤٢٥ - الشفاء (جـ ٢، ص ١٨٠)

٤٢٦ - فتح البارى (جـ ٦ ص ٢٣٧)

٤٢٧- أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الإسناد (جـ٤، ص ٤١٨)

٤٢٨ - رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٢٢٩)

٤٢٩ - رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٢٢٩)

٤٣٠ - الآية (٦٧) من سورة المائدة

العصمة هنا المراد بها عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل، والاغتيال، والمكائد المهلكة، فضلا على عصمته صلى الله عليه وسلم من الغواية، والهوى، والضلال، وعدم الوقوع فى المعاصى والمنكرات، ولا يدخل فى العصمة هنا عصمته صلى الله عليه وسلم من الأمراض كما سبق، بل إن الأنبياء جميعا غير معصومين من المرض غير المنفر، فهم جميعا تجرى عليهم كل النواميس المعتادة التى أودعها الله فى ولد آدم، وعلى ذلك فالآية ليست على عمومها، ولو كانت على عمومها ما استطاع أحد أن يخطئ فى حقه صلى الله عليه وسلم ولا يناله بأذى، وها هم يخطئون فى حقه صلى الله عليه وسلم كثيرا، بوصفه بالجنون، والكهانة، والسحر، وينالون منه فى المعارك بكسر رباعيته، وشج رأسه وهذا يدل على أن الآية فى عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل، والغواية، والضلال، ولا تعارض بينها وبين شخص يسحره صلى الله عليه وسلم [431].

٧- الذين زعموا أن السحر من عمل الشياطين، وصنع النفوس الشريرة، ومن تحصن بعبادة الله كالأنبياء، فليس للشيطان ولا للشريرين عليهم من سلطان لقوله تعالى﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ [432].

فمردود عليهم بأن المراد من قوله تعالى ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ أى فى الإغواء والإضلال، فالسلطان المثبت للشيطان هو سلطان إضلاله لهم بتزيينه للشر والباطل، وإفساد إيمانهم فهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى حكاية عن الشيطان فى مخاطبته رب العزة ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾[433] ولا ريب أن الحالة التى تعرض لها الرسول صلى الله عليه وسلم لا تنطبق عليها هذه الآية الكريمة، وقد ذكر القرآن آيات تثبت تعرض الشيطان للأنبياء بأنواع الإفساد، ومع ذلك

٤٣١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (جـ ٢، ص ٧٧)
٤٣٢- الآية (٤٢) من سورة الحجر
٤٣٣ - الآيتان (٨٢ ، ٨٣) من سورة ص

عصمهم الله عز وجل بعدم تمكنه منهم أو إلحاق ضرر بهم يضر بالدين، من ذلك قوله تعالى فى حق أيوب عليه السلام ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ﴾ [٤٣٤] وقوله سبحانه فى حق موسى ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾ (طه - الآيات من ٦٥-٦٩).. فالآيات تثبت السحر للأنبياء مع عصمتهم من آثاره المضرة بدعوتهم [٤٣٥].

٨- إن الله سبحانه وتعالى يبتلى رسله عليهم الصلاة والسلام بأنواع البلاء، فيزداد بذلك أجرهم، ويعظم ثوابهم، فقد ابتلى رسله بتكذيب أقوامهم، ووصل إيذاؤهم إليهم، وابتلى بعض الرسل بالمرض، ومن الابتلاء الذى أوذى به الرسول صلى الله عليه وسلم ما أصابه من السحر[٤٣٦] .

كفار قريش لما جاءهم بالحق ولم يستطيعوا له رداً فجنحوا إلى هذه التهم والأوصاف حتى يصدوا الناس عنه، إذ إنه لا يجلس إليه أحد فيعرض عليه الإسلام ويقرأ القرآن على مسامعه إلا أخذ بلب جليسه وأسر قلبه فأراد المعاندون بإثارة هذه الشبهة أن يصدوا الناس عن الجلوس إليه وسماعه خاصة فى المواسم التى يجتمع فيها الناس من أنحاء الجزيرة العربية.

هذا عتبة بن ربيعة جاء مندوباً لقريش لمفاوضة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يترك دعوته فيقول له: يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم، ثم عرض

٤٣٤ - الآية (٤١) من سورة ص.
٤٣٥ - رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٢٣٢) .
٤٣٦ - المرجع السابق (ص ٢٣٢).

عليه المال والملك وعرض عليه ما استطاعه من الإغراء حتى إذا فرغ عتبة من كلامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع إليه فقال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع منى. قال: أفعل. فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.﴿ **حمٓ ⑴ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[٤٣٧].

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وقد ألقى عتبة يديه وراء ظهره معتمداً عليهما وهو يسمع منصتاً حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد، ثم قال صلى الله عليه وسلم قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك (سيرة ابن هشام)!!

وعاد عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله قد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذى ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائى أنى سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، أطيعونى واجعلوها لى، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فو الله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم.

فهذا عتبة بن ربيعة وهو من صناديد قريش وسادتهم بعدما سمع القرآن وجلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم ينفى أن يكون شاعراً أو كاهناً أو ساحراً.

وهذا النضر بن الحارث سيد آخر من سادة قريش وكبير من كبرائهم ممن كفر حسداً وحقداً يقوم فى قريش ذات يوم ويقول: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، فقد كان فيكم محمد غلاماً حدثاً، أرضاكم خلقاً وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغه الشيب. وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه. قلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه. يا معشر

---

٤٣٧ - الآيتان ٢،١ من سورة فصلت.

قريش فانظروا فى شأنكم فإنه والله قد نزل لكم أمر عظيم. فهاتان شهادتان من أعدى أعدائه تثبتان ان كذبهم وافتراءهم عليه.

الشبهة الحادية عشرة

الادعاء بتنكر النبى ﷺ لوحدانية الله ومدح الأصنام

الرد على الشبهة الحادية عشرة

إن هذا الادعاء ينافى ما هو ثابت بالقرآن والسنة والإجماع على عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عقيدته من الشرك، والشك، والضلال، والغفلة، وعصمته من تسلط الشياطين عليه، وكذا عصمته من الخطأ والسهو فى أمر التبليغ مما يدل على كذب هذا الادعاء واختلاقه من أعداء الدين الذين يحاولون إفساد الدين والطعن فى خاتم الأنبياء والمرسلين [٤٣٨].

والأدلة الآتية من القرآن الكريم تدل دلالة قطعية على بطلان هذا الإدعاء وهى:

أ- ما ذكره رب العزة فى أول سورة النجم مؤكداً بالقسم على عصمة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فى تبليغ وحيه، وأنه لا يخرج كلامه عن الحق، قال تعالى: **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ**" [٤٣٩].

قوله تعالى: ﴿ **إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ** ﴾ [٤٤٠] دليل قاطع على بطلان هذا الادعاء لأنه لو كان صحيحا، لارتد الضعفاء من المؤمنين، ولثارت ثائرة مكة، ولاتخذ منه اليهود متكأ يستندون إليه فى الطعن على النبى صلى الله عليه وسلم والتشكيك فى عصمته، ولكن

٤٣٨ - رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٣١١)
٤٣٩ - الآيات من (١) إلى (٤) من سورة النجم
٤٤٠ - الآية (٢٣) من سورة النجم

شيئاً من ذلك لم يحدث [٤٤١] كما أن الله تعالى ذم الأصنام فى هذه السورة، وأنكر على عابديها، وجعلها أسماء لا مسمى لها، فلو أن القصة صحيحة، لما كان هناك تناسب بين ما قبلها وما بعدها، ولكان النظام مفككاً والكلام متخاذلاً [٤٤٢].

يقول الله تعالى فى سورة الزمر ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ** ﴾ [٤٤٣]. فكل هذه الآيات مما يكذب هذا الادعاء [٤٤٤].

ذهب جماهير علماء الأمة إلى إنكار القصة التى زعمها أعداء الإسلام والتى وردت فى الحديث الباطل الذى جاء فيه أن محمداً صلى الله عليه وسلم لما كان فى مجلس قريش أنزل الله عليه سورة النجم، فقرأها حتى بلغ ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ** ﴾[٤٤٥] فألقى الشيطان على لسانه ما كان يُحَدِث به نفسه ويتمناه فكانت " أفرأيتم اللات والعزى، تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى».. فلما سمعت قريش فرحوا به، ومضى محمد صلى الله عليه وسلم فى قراءته فقرأ السورة كلها، وسجد فى آخرها وسجد المسلمون بسجوده، كما سجد جميع المشركين، وقالوا لقد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقد عرفنا أن الله يحيى ويميت ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده، وقد جزم العلماء بوضع هذه القصة واختلاقها، وهذه نماذج من أقوالهم:

القاضى عياض قال: إن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل. [٤٤٦]

---

٤٤١ - رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٣١٢)
٤٤٢ - فى رحاب التفسير (ص ٦٠٠٣)
٤٤٣ - الآيات من (١١) إلى (١٥) من سورة الزمر
٤٤٤ - رد شبهات حول عصمة الرسول (ص ٣١٣)
٤٤٥ - الآيتان (١٩)،(٢٠) من سورة النجم
٤٤٦ - الشفا (جـ١، ص١٢٥).

ابن حجر: قال: يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد فى القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً، إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته (٤٤٧).

الإمام الرازى: قال: قال أهل التحقيق هذه الرواية باطلة موضوعة (٤٤٨).

ابن خزيمة: سئل عن هذه القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة. (٤٤٩).

ابن حزم: قال: وأما الحديث الذى فيه " وإنهن الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، فكذب بحت موضوع " (٤٥٠).

الشوكانى: قال لم يصح شىء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه (٤٥١).

الألبانى: قال: ثبت بطلان هذه القصة سنداً ومتناً (٤٥٢).

كذلك فإن فرية الغرانيق لم يخرجها أحد من أصحاب الصحاح كما زعم كذباً أعداء الإسلام، وكل ما روى فى صحيح البخارى عن ابن عباس هو أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ النجم وهو بمكة، فسجد معه المسلمون، والمشركون، والجن والإنس، وفى رواية للبخارى أيضاً عن ابن مسعود قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة " والنجم " قال: فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف صلى الله عليه وسلم فأين ما يزعمه أعداء الإسلام.

يقول الألوسى رحمه الله: وليس لأحد أن يقول إن سجود المشركين يدل على أنه كان فى السورة ما ظاهره مدح آلهتهم ,وإلا لما سجدوا ,لأنه يجوز أن يكون سجدوا لدهشة أصابتهم وخوف اعتراهم عند سماع السورة,لما فيه من قول تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن**

---

٤٤٧ - فتح البارى (جـ ٨، ص ٢٩٣)
٤٤٨ - تفسير القرآن العظيم (ج ٥، ص ٤٣٨)
٤٤٩ - المرجع السابق (ج ٥، ص ٤٣٨)
٤٥٠ - الملل والنحل (ج ٢، ص ٣٠٨)
٤٥١ - فتح القدير (ج ٣، ص ٤٦١)
٤٥٢ - نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق

قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ [٤٥٣] إلى آخر الآيات. فاستشعروا نزول مثل ذلك بهم، كما حدث مع عتبة بن ربيعة عندما سمع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾ [٤٥٤] فأمسك على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناشده الرحم، واعتذر لقومه، حين ظنوا به أنه صبأ، وقال: كيف وقد علمتم أن محمداً إذ قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم عذاباً.

وأخيرا فإن الذى تعرفه اللغة أن الغرنوق والغرانيق اسم لطائر مائى أسود أو أبيض، ومن معانيه الشاب الأبيض الجميل ويطلق على غير ذلك أيضاً، لكن لا شىء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام [٤٥٥].

الشبهة الثانية عشرة

الادعاء بإنكار أمية النبى ﷺ

الرد على الشبهة الثانية عشرة

قال العلماء رداً على هذا الادعاء ما يلى:

١- إن أهل مكة الذين عاشوا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلموا أخباره، وعرفوا مدخله، ومخرجه، وصدقه، ونزاهته، قد أقروا جميعاً بأميته، وعرفها القاصى والدانى من قومه، لأنها أمية شرف ورفعة، وليست أمية جهل وتخلف وانحطاط[٤٥٦].

٢- إن أمية النبى صلى الله عليه وسلم ثابتة بالكتاب والسنة، فمن نصوص

---

٤٥٣ - الآيات من ٥٠ : ٥٤ من سورة النجم
٤٥٤ - الآية ١٣ من سورة فصلت
٤٥٥ - فى رحاب التفسير (ص ٦٠٠٢)
٤٥٦ - فى رحاب التفسير (ص ١٩٩٦)

الكتاب قوله تعالى ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾[٤٥٧]، أما فى السنة فثبت فى الحديث الصحيح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب. وهناك نصوص أخرى تقرر أمية النبى صلى الله عليه وسلم فلا مناص من الإقرار بها[٤٥٨].

٣- لو كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب، لوجد الشيطان مدخلاً إلى عقول بعض الناس، بأن القرآن صنعه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن تأليفه، ولوجد خصوم الدعوة سلاحاً شديد التأثير على ضعاف البصيرة وسداً لهذه الذرائع، وحسماً لوساوس شياطين الجن والإنس أرادت حكمة الحكيم أن يكون صاحب الدعوة أمياً. [٤٥٩].

٤- إن الله عز وجل لم يرض أن يكون من البشر معلماً أو أستاذاً لصاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يجلس محمد صلى الله عليه وسلم من أحد مجلس التلميذ من الأستاذ، أو المتعلم من المعلم، إذ لو كان للرسول صلى الله عليه وسلم معلم لما خفى الأمر على أحد من خصوم الدعوة ولتمسك بذلك كفار قريش وأثبتوه بكل قوة، ولما احتاجوا إلى أن يدَّعوا هذه الدعوى، لم يجدوا عربياً واحداً من قومه يصلح أن يكون معلماً له، فنسبوا تعليمه لرجل أعجمى ليس عربياً، فأبطل القرآن هذا الزعم فى قوله تعالى ﴿ **لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [٤٦٠] فكيف يتعلم رجل لا يعرف لغة معلمه ولا معلمه يعرف لغته[٤٦١].

٤٥٧ - الآية (٤٨) من سورة العنكبوت
٤٥٨ - افتراءات المستشرقين على الإسلام (ص ٩٢)
٤٥٩ - المرجع السابق (ص ٩٣)
٤٦٠ - الآية (١٠٣) من سورة النحل
٤٦١ - افتراءات المستشرقين على الإسلام (ص ٩٥)

الشبهة الثالثة عشرة

الادعاء بإنكار شق صدر النبى ﷺ

الرد على الشبهة الثالثة عشرة

الأدلة على كذب هذا الادعاء كثيرة منها ما رواه الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه أى مرضعته فاستقبلوه وهو ممتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره[٤٦٢].

وعلى ذلك يتضح أن قصة شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم تحدث بها الأطفال الذين كانوا فى صحبته إبان حدوثها، عندما كان ابن أربع سنين من عمره، ومن المستحيل أن يتفق الأطفال على اختراع حادثة لا أساس لها، وذلك لطهرهم، وصفاء سريرتهم، ونقائها.

والحكمة من شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم هذه المرة هى نزع العلقة السوداء من قلبه، كرامة له من عند ربه عز وجل. تلك العلقة التى ولد بها تكملة للخلق الإنسانى، لأنها حظ الشيطان من كل البشر، وقد تم بنزعها من قلبه أن نشأ مبرأً من كل عيب، فنشأ على أكمل أحوال البشر من العصمة من الشيطان، والاتصاف بالمحامد العليا منذ نعومة أظفاره والتى لا يفوقه فيها غيره[٤٦٣].

وقد جاء التصريح على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشق صدره الشريف،وهو ابن عشر سنين وعند مبعثه صلى الله عليه وسلم وليلة الإسراء والمعراج، مما يدل على صحة القصة ووجوب قبولها. فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله

---

٤٦٢ - صحيح مسلم (شرح النووى جـ١، ص ٤٨٨) وأحمد (جـ٣، ص ١٢١) وابن حبان (جـ ١٤، ص ٢٤٢)

٤٦٣ - فتح البارى (جـ٧، ص ٢٤٤)

مـا رأيت فى أمـر النبـوة؟ فـاسـتـوى رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم جـالسـا وقـال: لقـد سـألت أبـا هـريرة إنى لفى صـحـراء ابن عـشـر سنين وأشـهـر، وإذا بكلام فوق رأسـى، وإذا رجل يقول لرجل:أهو هو؟ قال: نعم فاستقبلانى بوجوه لم أراها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلىّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى، لا أجد لأحدهما مساً، فقال أحدهما لصاحبه أضجعه، فأضجعانى بلا قصر ولا حصر، وقال أحدهما لصاحبه: أفلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدرى، ففلقها فيما أرى بلا دم، ولا وجع، فقال له أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئا كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذى أخرج يشبه الفضة، ثم هز إبهام رجلى اليمنى، فقال: أغد وأسلم، فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ورحمة للكبير [٤٦٤].

والحكمة من شق صدره الشريف هذه المرة من أجل ألا يلتبس بشىء مما يعاب على الرجال، وحتى لا يكون فى قلبه شىء إلا التوحيد وتوطئة لما بعده عند البعثة الشريفة [٤٦٥].

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما رأيت فى أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال: لقد سألت أبا هريرة إنى لفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسى، وإذا رجل يقول لرجل: أهو هو؟ قال: نعم فاستقبلانى بوجوه لم أراها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلىّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهم بعضدى، لا أجد لأحدهما مساً، فقال أحدهما لصاحبه أضجعه، فأضجعانى بلا قصر ولا حصر، وقال أحدهما لصاحبه: أفلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدرى، ففلقها فيما أرى بلا دم، ولا وجع، فقال له أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئا كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذى أخرج يشبه الفضة، ثم هز إبهام رجلى

---

٤٦٤ – رواه الحاكم فى مستدركه، وقال صحيح الإسناد (جـ ٢، ص ٥٧٥) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه عبد الله بن أحمد ورجاله ثقات (جـ ٨، ص ٢٢٣)
٤٦٥ – الروض الآنف (جـ ١، ص ٢٩١)

اليمنى، فقال: أغد وأسلم، فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ورحمة للكبير(٤٦٦).

والحكمة من شق صدره الشريف هذه المرة من أجل ألا يلتبس بشىء مما يعاب على الرجال، وحتى لا يكون فى قلبه شىء إلا التوحيد وتوطئة لما بعده عند البعثة الشريفة ٠ وعند مبعثه روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة بحراء، فوافق ذلك شهر رمضان، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمع: السلام عليكم، فقال: ظننها فجأة الجن، فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة، فسجتنى ثوباً وقالت: ما شأنك يا ابن عبد الله؟ فقلت: سمعت السلام عليكم، فظننتها فجأة الجن، فقالت: أبشر يا ابن عبد الله، فإن السلام خير، قالت: ثم خرجت مرة فإذا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب قال: فهلت منه صلى الله عليه وسلم فجئت مسرعاً، فإذا هو بينى وبين الباب، فكلمنى حتى أنست به، ثم وعدنى موعداً، فجئت له فأبطأ علىَّ، فأردت أن أرجع، فإذا أنا به وميكائيل قد سدا الأفق، فهبط جبريل، وبقى ميكائيل بين السماء والأرض، فأخذنى جبريل، فاستلقانى لحلاوة القفا، ثم شق عن قلبى، فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه، ثم أكفانى كما يكفأ الأديم، ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مس الخاتم فى قلبى، ثم قال: اقرأ، ولم أك قرأت كتابا قط، فلم أجد ما أقرأ ثم قال: اقرأ، قلت: ما أقرأ قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى انتهى إلى خمس آيات منها فما نسيت شيئاً بعد. ثم وزننى برجل فوزنته. ثم وزننى بآخر فوزنته حتى وزننى بمائة رجل. فقال يا ميكائيل: تبعته أمته ورب الكعبة. فجعلت لا يلقانى حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. حتى دخلت على خديجة قالت: السلام عليك يا رسول الله(٤٦٧) وكانت الحكمة من شق صدره الشريف عند

---

٤٦٦ - رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح الإسناد (جـ ٢، ص ٥٧٥) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه عبد الله بن أحمد ورجاله ثقات (جـ ٨، ص ٢٢٣)

٤٦٧ - أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (ج١، ص٢١٥) وإسناده حسن

مبعثه هى إعداد قلبه لتحمل عبء الوحى والرسالة بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير[٤٦٨].

أما ليلة الإسراء والمعراج التى شق فيها صدر النبى صلى الله عليه وسلم فروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها فى صدرى، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء[٤٦٩].

والحكمة من شق صدره الشريف هذه المرة التأهب لمناجاة ربه عز وجل، والمثول بين يديه، واستعداداً لما يلقى إليه من سائر أنواع الفيوضات الإلهية، وما يراه من عظيم الآيات الربانية[٤٧٠].فكل هذه الأحاديث دليل قاطع على كذب هذا الادعاء الذى زعمه أعداء الإسلام

الشبهة الرابعة عشرة

الادعاء بوحشية النبى ﷺ لإعدامه بنى قريظة

الرد على الشبهة الرابعة عشرة

للرد على هذا الاتهام لابد من الوقوف على حقيقة الموضوع كما يلى:

من المعروف أنه فور قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة، عَقَدَ بينه وبين اليهود الموجودين بها معاهدة، ليبدأهم بالمودة، ويبسط لهم يد الأخوة، ويتفق معهم على التضامن والتعاون، حتى تكون المدينة كلها صفاً واحداً، وقوة واحدة، فلا يطمع فيها طامع أو ينال منها عدو، وكان من بنود هذه المعاهدة، أن يلتزم كل من المسلمين واليهود بالمعايشة السلمية فيما بينهما، وعدم اعتداء أى فريق منهما على الآخر فى الداخل، كما يتعهد كل من الطرفين بالدفاع

---

٤٦٨ - فتح البارى (ج٧، ص ٢٤٤)
٤٦٩ -فتح البارى شرح صحيح البخارى (ج٦، ص٤٣١) وصحيح مسلم بشرح النووى (ج١، ص ٤٨٩)
٤٧٠ - البداية والنهاية (ج٢، ص٢٥٧)

المشترك عن المدينة ضد أى اعتداء خارجى، وعلى اليهود أن يتفقوا مع المؤمنين ما داموا محاربين.[471].

لكن سرعان ما غدر اليهود، ونقضوا عهودهم ومواثيقهم، وبدأوا بالعدوان على المسلمين، وذلك حينما مر المسلمون بظروف قاسية، عندما تجمعت كبرى القوى المعادية للمسلمين فى ذلك الوقت للقضاء عليهم داخل المدينة، وأحاطت جيوش الأحزاب بالمدينة فى عشرة آلاف مقاتل من مشركى قريش وقبائل غطفان، وأشجع، وأسد، وفزارة، وبنى سليم، على حين لم يزد عدد المسلمين على ثلاثة آلاف مقاتل، وكان المتوقع أن ينضم يهود بنى قريظة إلى صفوف المسلمين ضد القوات الزاحفة على المدينة، بناءً على نصوص المعاهدة المبرمة بين الفريقين لكن ما حدث عكس هذا، إذ فوجئ المسلمون ببنى قريظة يخونونهم فى أخطر أوقات محنتهم، ولم يراعوا للجوار حقاً، ولا للعهود حرمة، ولقد كانوا يَسعون من وراء انضمامهم هذا إلى صفوف الأحزاب، التعجيل بسحق المسلمين والقضاء عليهم قضاءً تاماً[472].

ولقد أحدث نقض بنى قريظة لعهدهم مع المسلمين، وإعلانهم الانضمام إلى صفوف الغزاة، فزعاً شديداً فى صفوف المسلمين، لأنهم ما كانوا يتوقعون أن يحدث هذا فى مثل تلك الظروف، وكانت خيانتهم الأثيمة تلك بمثابة طعنة للمسلمين من الخلف أشق على نفوسهم من هجوم الأحزاب من خارج المدينة، لأنهم ما كانوا يظنون أن يأتيهم الروع من مأمنهم الحصين، وعند ذلك عَظُمَ البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن، وظهر النفاق من بعض المنافقين حتى أن أحدهم ليقول: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن أن يذهب إلى الغائط[473].

لكن الله سبحانه وتعالى شاء أن يندحر ذلك التحالف الوثنى اليهودى، وينتصر الإيمان وأهله، ويهزم الشرك وحزبه.

---

٤٧١ – سيرة ابن هشام (جـ ١، ص ٧١)
٤٧٢ – السيرة النبوية رؤية تربوية (جـ ٢، ص ٢٢٢)
٤٧٣ – سيرة ابن هشام (جـ ٢، ص ١٢٢)

فهل يُترك الناكثون للعهود دون محاسبة وتأديب بعد أن خذلوا المسلمين فى أحرج الأوقات وأعنف الأزمات، وضربوا أسوأ الأمثلة فى الخيانة.

ذلك ما لا يكون، وتأباه العدالة الإلهية، ولذلك كان عقاب بنى قريظة عاجلاً فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من وعثاء الجهاد فى هذه الغزوة فى بيت أم سلمة رضى الله عنها، إذ تَبَدّى له جبريل عليه السلام فقال: أوضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بنى قريظة فإنى عامدٌ إليهم فمزلزلٌ بهم، فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين: ألا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة فسار الناس مسرعين بعد أن استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وحاصر القوم شهراً أو خمسة وعشرين يوماً [٤٧٤].

ولما طال عليهم الحصار، ورأوا أنفسهم مهددين بالفناء، عرضوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتركهم ليرحلوا إلى أذرعات بالشام، تاركين وراءهم ما يملكون، ورفض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يستسلموا دون قيد أو شرط، واستسلم يهود بنى قريظة، ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوكل صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ أحد رؤساء الأوس، وحليف بنى قريظة فى الجاهلية، وقد ارتاح اليهود لهذا الاختيار، وظنوا أن الرجل قد يحسن إليهم فى حكمه، لكن سعد نظر إلى الموقف من جميع جوانبه، وقدره تقدير من عاش أحداثه وظروفه، وشاهد كروبه، ومآزقه، ولذلك قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم[٤٧٥].

وبعد أن أخذ سعد بن معاذ المواثيق على الطرفين أن يرضى كل منهما بحكمه قال: إنى أحكم أن تقتل مقاتليهم، وتسبى ذريتهم وأموالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت بحكم الله تعالى يا سعد من فوق سبع سماوات [٤٧٦].

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ الحكم، فسيقوا إلى خنادق

---

٤٧٤ - تاريخ الرسل والملوك للطبرى (جـ ٢، ص ٥٨٣)

٤٧٥ - المرجع السابق (جـ ٢، ص ٥٨٧)

٤٧٦ - الطبقات الكبرى (جـ ٢، ص ٧٥)

فى المدينة فقتل رجالهم، وسبيت نساؤهم وذراريهم، ولاقى بنو قريظة أسوأ مصير على أفظع خيانة، فكانوا عبرة أمام القرون والأجيال، يقول تعالى ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[٤٧٧].

فيا أعداء الإسلام: هل يتصف هذا التصرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحشية والقسوة، أم أنه جزاء الظلم والخيانة والبغى والعدوان؟

ويا أعداء الإسلام: ماذا لو أن نتيجة غزوة الأحزاب جاءت حسبما خطط لها بنو قريظة وأحزابهم.. ألم تكن فيها الإبادة التامة للمسلمين.. أليست تلك عناية الله التى أنقذت المسلمين..؟!

الشبهة الخامسة عشرة

الادعاء بميل النبى ﷺ للنساء والشهوة، ولذلك عدَّد زوجاته

الرد على الشبهة الخامسة عشرة:

هذا الادعاء تدحضه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التى كان خلالها مثالاً للطهر والعفاف إلى الحد الذى لا يستطيع أن يجاريه فيه إنسان، ولا يباريه فيه بشر، وهذه بعض الإيضاحات:

١- عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم أعزب حتى سن الخامسة والعشرين فى وقت كان عرف الجاهلية فيه الزواج المبكر، فالرجل الشهوانى لا يعيش إلى الخامسة والعشرين من العمر فى بيئة مثل بيئة العرب فى جاهليتها، عفيف النفس دون أن ينساق إلى شىء من التيارات الفاسدة التى تموج من حوله، ثم تزوج خديجة بنت خويلد، وعاش معها من الخامسة والعشرين حتى الثالثة والخمسين، أى أن مدة زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة كانت خمساً وعشرين سنة، قضى عنفوان شبابه، وزهرة حياته معها،

---

٤٧٧ - الآيتان (٢٦)،(٢٧) من سورة الأحزاب

ولم يتزوج عليها، وإنما تزوجها لعفافها، وعقلها، وطهرها، ومعاونتها له ومناصرتها إياه. [٤٧٨].

فالرجل الشهوانى لا يقبل أن يتزوج من أيم لها ما يقارب ضعف عمره، ثم يعيش معها دون أن تمتد عيناه إلى شئ مما حوله، وإن من حوله الكثير، ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة زوجات بين الخامسة والخمسين والستين، ومن يستقرئ حالات الزواج التى قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم فسوف يلمس كيف أن التعدد كان لإيواء الضعيفات من أزواج المهاجرين اللائى لا مأوى لهن، أو لربط الصلات بينه وبين كبار الصحابة، أو لمنع تحكم الوثنيين فيمن تربطهم رابطة نسب من نساء المهاجرين الذين يقتلون أو يموتون أو يرتدون ولم يتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من سن الستين إلى أن لحق بالرفيق الأعلى فى الثالثة والستين، فأين الشهوة والميل إلى النساء وقد قضى حياته وهو على خير ما يكون من الطهر والعفاف [٤٧٩].

٢-لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد بالتعدد ما يريد سائر الملوك والأمراء، من التمتع واللذة ليس غير، لاختار الحسان الأبكار ولم يتجه صوب هؤلاء الثيبات المكتهلات اللائى لم يكن بينهن من فتاة عذراء سوى واحدة هى عائشة ابنة رفيقه وصديقه أبى بكر الصديق [٤٨٠].

٣- إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد الحياة متعة فانية، ولا زخارف براقة، لأن قلبه كان مليئاً بالقناعة والرضا، والإيمان والحكمة، لقد خيره الله بين أن يكون نبياً عبداً، أو نبياً ملكاً، فاختار أن يكون نبياً عبداً، وقال فى ذلك: أجوع يوماً فأذكرك، وأشبع يوماً فأشكرك، ورفض الحياة فى زخارفها، ومباهجها، ومفاتنها، ولو أرادها مملكة ونعيماً وخدماً وحشماً وترفاً، لكان له ذلك صلى الله عليه وسلم[٤٨١].

٤- ما الذى يفعله الرجل الشهوانى الغارق فى لذات الجسد إذا بلغ من المكانة، ما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قومه؟

---

٤٧٨ - فى رحاب التفسير (٤١٥٩)
٤٧٩ - المرجع السابق (٧٢٣٤)
٤٨٠ - المرجع السابق (٧٢٣٨)
٤٨١ - المرجع السابق (٤١٦٤)

لم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب، وأفتن جوارى الفرس والروم على تخوم الجزيرة العربية، ولم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ولأهله من الطعام والكساء والزينة، ما لم يتوافر لسيد من سادات الجزيرة فى زمانه.

فهل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بعد نجاحه؟ وهل فعل ذلك فى مطلع حياته؟

كلا لم يفعله قط، بل فعل نقيضه، وكاد يفقد زوجاته لشكايتهن من شظف العيش فى داره [٤٨٢].

٥- هناك حكمة من تعدد زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى نشر الأحكام الخاصة بالنساء، والتى لا يستطيع تبليغها الرجال، كالطهارة، والغسل، والحيض، والنفاس، والولادة، والرضاع إلى غير ذلك من الأحكام التى لا يستطيع إفهامها للنساء على وجهها الأكمل سوى النساء، ولا يمكن بحال أن تقوم بمهمة تبليغ الأحكام لسائر نساء المسلمين على اختلاف طبقاتهم فى ذلك الحين امرأة واحدة، بل عدة نساء من عدة قبائل وبذلك يتم ما أراد الله تعالى من إظهار نوره، وبسط شرائعه[٤٨٣].

٦- هناك حكم أخرى من تعدد زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ حقق به أهدافا سياسية ودينية، فعندما انتصر المسلمون فى غزوة بنى المصطلق، كانت جويرية بنت الحارث بنت سيد قومها من نصيب ثابت بن قيس الذى طلب منها أن تفتدى نفسها، فاستعانت بالرسول صلى الله عليه وسلم فى فك أسرها، فعرض عليها الرسول الإسلام فأسلمت، فتزوجها وأعتق كل الأسرى من بنى المصطلق، وكان لذلك أثره فى نفس بنى المصطلق، فدخلوا جميعاً فى الإسلام [٤٨٤].

ولما انتصر المسلمون على يهود خيبر، كانت صفية بنت حيى بن أخطب ضمن الأسرى، فأعتقها الرسول صلى الله عليه وسلم وتزوجها، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للصحابة وللأمة أن الإسلام لا يقابل

---

٤٨٢ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه (ص ١٩٠)
٤٨٣ - فى رحاب التفسير (ص ٤١٦٣)
٤٨٤ - المرجع السابق (ص ٤١٧٠)

الكراهية بالكراهية، ولكن بالتسامح، وبزواج صفية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعرف أهلها على هذا الدين وما فيه من رحمة، وتعلم الناس صلة الرحم مع الأهل والأقارب، لأنه على الرغم من أن صفية أسلمت وتزوجت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنها لم تقطع صلة الرحم مع أقاربها اليهود، وأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصل الرحم حتى يُعَلِّمَ الأمة من بعده أن صلة الرحم لا تقطع حتى لو كان الأهل من الكفار.

ولما مات عبد الله بن جحش زوج أم حبيبة وكان قد أسلم وارتد، وبقيت هى مسلمة، صادقة العقيدة، متمسكة بدينها، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبزواجه منها انتصر على آخر معاقل الكفر والشرك فى قريش، انتصارا دون إراقة دماء، ودون حرب أو اعتداء، إذ أن أم حبيبة هى بنت أبى سفيان، عدو الرسول الألد، وأكبر مهاجمى الإسلام، والذى أسلم بعد أن دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم للإسلام، وبإسلامه أسلم معه أناس كثيرون.

ولما أسلمت ميمونة بنت الحارث خالة خالد بن الوليد، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفتح الطريق أمام عائلتها التى كانت على الكفر للدخول فى الإسلام، وقد صحت فراسة الرسول صلى الله عليه وسلم كما كانت تصح دائماً، فأسلم بعدها خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأسلم معهم كثير من أهل مكة.

فيا أعداء الإسلام: هل فى ذلك ما يدل على ميل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النساء والشهوة.

الشبهة السادسة عشرة

الادعاء باهتمامه ﷺ بالدنيا والغنائم

من الشبهات التى أثارها أعداء الإسلام، وروَّجوا لها بهدف تشويه شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، للوصول إلى الطعن فى دعوته، وإبعاد الناس عنها، ماً يدَّعونه من أنه كان صاحب مطامع دنيوية، لم يكن يظهرها فى بداية دعوته فى مكة، ولكنه بعد هجرته إلى المدينة بدأ يعمل على جمع الأموال والغنائم من خلال الحروب التى خاضها هو وأصحابه، ابتغاء تحصيل مكاسب مادية وفوائد معنوية.

وممن صرح بذلك "دافيد صمويل مرجليوت " المستشرق الإنجليزى اليهودى، حيث قال: "عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب.. وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التى أثرت على نفس محمد، والتى دفعته إلى شن غارات متتابعة، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبل ونابليون من بعد ".

والحق، فإن الناظر فى سيرته صلى الله عليه وسلم، والمتأمل فى تاريخ دعوته، يعلم علم اليقين أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسعى من وراء كل ما قام به إلى تحقيق أى مكسب دنيوى، يسعى إليه طلاب الدنيا واللاهثون وراءها.

ويمكن تفصيل القول فى رد هذه الشبهة على النحو التالى:

١- إن ما ذُكر فى هذه الشبهة لا يوجد عليه دليلٌ فى واقع حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لو كان كما قيل لعاش عيش الملوك، فى القصور والبيوت الفارهة، ولاتخذ من الخدم والحراس والحشم ما يكون على المستوى المتناسب مع تلك المطامع المزعومة، بينما الواقع يشهد بخلاف ذلك، إذ كان فى شظف من العيش، مكتفياً بما يقيم أود الحياة، وكانت هذه حاله صلى الله عليه وسلم منذ أن رأى نور الحياة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى..، يشهد لهذا أنّ بيوته صلى الله عليه وسلم كانت عبارة عن غرف بسيطة لا تكاد تتسع له ولزوجاته.

وكذلك الحال بالنسبة لطعامه وشرابه، فقد كان يمر عليه الشهر والشهران لا توقد نارٌ فى بيته، ولم يكن له من الطعام إلا الأسودان - التمر والماء-، فعن عائشة رضى الله عنها قالت لعروة: "ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة فى شهرين، وما أوقدت فى بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نارٌ، فقلت: يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان، التمر والماء"(٤٨٥) وسيرته صلى الله عليه وسلم حافلة بما يدل على خلاف ما يزعمه الزاعمون.

٢- ثم إن هذه الشبهة تتناقض مع الزهد الذى عُرف به النبى صلى الله

٤٨٥ -صحيح البخارى ومسلم

عليه وسلم، وحث عليه أصحابه، فقد صح عنه أنه قال:«إن مما أخاف عليكم بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»[٤٨٦]، وقرن فى التحذير بين فتنة الدنيا وفتنة النساء، فقال: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء"[٤٨٧].

٣- ومما يدحض هذه الشبهة وينقضها من أساسها أن أهل مكة عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المال والملك والجاه من أجل أن يتخلى عن دعوته، فرفض ذلك كله، وفضل أن يبقى على شظف العيش مع الاستمرار فى دعوته، ولو كان من الراغبين فى الدنيا لما رفضها وقد أتته من غير عناء.

٤- إنّ الوصايا التى كان يزود بها قواده تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن طالب مغنم ولا صاحب شهوة، بل كان هدفه الأوحد والوحيد إبلاغ دين الله للناس، وإزالة ما يعوق سبيل الدعوة من عوائق، فها هو يوصى معاذ بن جبل رضى الله عنه عندما أرسله إلى اليمن بقوله: "إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة فى أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس "[٤٨٨].

فهو صلى الله عليه وسلم لم يقاتل أحداً، قبل دعوته إلى الإسلام، الذى تصان به الدماء والحرمات.

٥- ومما يُرد به على هذه الفرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتحل من الدنيا ولم يكن له فيها إلا أقل القليل، ففى الصحيح عن عمرو بن الحارث قال:"ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة " [٤٨٩] وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: "توفى رسول الله

٤٨٦ صحيح البخارى ومسلم
٤٨٧ صحيح البخارى ومسلم
٤٨٨ صحيح البخارى ومسلم.
٤٨٩ صحيح البخارى ومسلم

صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى من شىء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير فى رف لى[٤٩٠].

٦-وكما قيل: فإن الحق ما شهدت به الأعداء، فقد أجرى الله على ألسنة بعض عقلاء القوم عبارات تكذب هذه الشبهة، من ذلك ما قاله "كارليل": "أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمداً وأثاره، حمق وأيم الله، وسخافة وهوس ".

ويقول: "لقد كان زاهداً متقشفاً فى مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله.. فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد فى الله، قائم النهار، ساهر الليل، دائب فى نشر دين الله، غير طامع إلى ما يطمع إليه أصاغر الرجال، من رتبة، أو دولة، أو سلطان، غير متطلع إلى ذِكر أو شهوة ".

٧- وما زعمه المستشرق اليهودى "مرجليوت" من أن انتقام رسول صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة كان لأسباب مصطنعة وغير كافية، فجوابه أن الواقع خلاف ذلك، إذ أبرم النبى صلى الله عليه وسلم مع اليهود معاهدة تقرهم على دينهم، وتؤمنهم فى أنفسهم وأموالهم، بل تكفل لهم نصرة مظلومهم، وحمايتهم، ورعاية حقوقهم، ولم يكن فى سياسته صلى الله عليه وسلم إبعادهم، ومصادرة أموالهم إلا بعد نقضهم العهود والمواثيق، ووقوعهم فى الخيانة والمؤامرة.

وبعد: فلا حجة لمن يدعى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان صاحب مطامع دنيوية، يحرص عليها، ويسعى فى تحصيلها، وإنما هى دعوة صالحة نافعة، تعود بالخير على متبعيها فى الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

الشبهة السابعة عشرة

الادعاء بهوس النبى ﷺ بالجماع

الرد على الشبهة السابعة عشرة

يقول العلماء: إن أعداء الإسلام استندوا فى هذا الادعاء إلى الحديث الذى رواه البخارى وغيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان النبى

٤٩٠ صحيح البخارى ومسلم

صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار. وهن إحدى عشرة. قال قتادة: قلت لأنس: أوَ كان يطيقه. قال: كنا نتحدث إنه أعطى قوة ثلاثين[٤٩١] دون تدبر لمعنى الحديث وذلك لأن طواف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه جميعاً فى الساعة الواحدة من الليل والنهار كان طواف حب ومداعبة، دون جماع، حتى يبلغ إلى التى هو يومها. فيبيت عندها. كما هو واضح من كلام عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم من مكثه عندنا. وكان قل يوم يأتى إلا وهو يطوف علينا جميعاً. فيدنو من كل امرأه من غير مسيس. حتى يبلغ التى هو يومها فيبيت عندها[٤٩٢].

كما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقضى ليله فى قيام الليل، وقراءة القرآن والعبادة. ويقضى نهاره فى الجهاد، ونشر الدعوة، والسعى فى توطيد أركان دولته الجديدة. ولم يكن لديه متسع من الوقت ليقطعه فى جماع متصل لجميع النساء وفى وقت واحد[٤٩٣].يقول تعالى ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ** ﴾ [٤٩٤] وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تنفطر رجلاه، فقالت يا رسول الله: أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: ياعائشة أفلا أكون عبداً شكوراً[٤٩٥].

وقد اختص الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم على سائر الناس بالقوة وكثرة الجماع فقال صلى الله عليه وسلم: فضلت على الناس بأربع: السخاء، والشجاعة، وكثرة الجماع، وشدة البطش[٤٩٦] وهذا الأمر ليس من عند نفسه، وإنما من عند ربه عز وجل. فإذا طاف على نسائه فى بعض

---

٤٩١ – صحيح البخارى (فتح البارى ج١، ص ٤٤٩) وأحمد (ج٣، ص١٦٠) والنسائى (ج٥، ص ٣٢٨)
٤٩٢ – صحيح أبو داود (ج٢، ص٢٤٢)
٤٩٣ – رد الشبهات حول عصمة النبى (ص٤٦٣)
٤٩٤ – الآية ٢٠ من سورة المزمل
٤٩٥ – صحيح البخارى ومسلم والنسائى (الترغيب والترهيب ج١، ص ٤٧٧)
٤٩٦ – صحيح (أخرجه الطبرانى فى الأوسط (ج ٧، ص٤٩)

الأحيان بجماعهن جميعاً فذلك يكون لما اختصه الله به. وأعطاه القدرة عليه، ولم يكن فى ذلك ما يشغله عن حق ربه عز وجل. لأنه بالإجماع أعبد الناس ولم يَخِل بعبادته شيئاً[٤٩٧] .

وسواء طاف الرسول صلى الله عليه وسلم على نسائه جميعا بجماع أو بدونه؛ فذلك ليبين للناس بياناً عملياً كمال رأفته صلى الله عليه وسلم وحبه، وعدله مع أهل بيته، وإعطاء كل ذى حق حقه؛ تأكيداً على خيريته لأهله كما قال النبى صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى»[٤٩٨] .

وأخيرا فإن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حياته الخالصة كان بإذنه صلى الله عليه وسلم لأنه دين، وللأمة فيه القدوة والأسوة الحسنة.. وهذا الحديث نقل لتتعلم الأمة المراد بخطاب ربها " وعَاشِرُوهُنَّ بالمَعْرُوف" وهو أمر بحسن صحبة الزوجة بكل ما تعنيه كلمة المعروف، وهى كلمةَ جامعة تعنى التحلى بمكارم الأخلاق فى معاملة الزوجات، من صبر على ما قد يبدر منهن، أو تقصير فى أداء واجباتهن، ومن حلم عن إيذائهن فى القول أو الفعل، وعفو وصفح عن ذلك ومن كرم فى القول والبذل، ولين فى الجانب، ورحمة فى المعاملة.. إلى غير ذلك مما تعنيه المكارم الأخلاقية الأسرية[٤٩٩] .

الشبهة الثامنة عشرة

الادعاء برغبة النبى ﷺ فى الزواج من زينب بنت جحش، ولذلك طلب من زيد تطليقها

الرد على الشبهة الثامنة عشرة

بداية ألقى الضوء على أحداث قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش، حتى لا تُصَوَّر القصة تصوراً دنيئاً، من غير تدبر كما صورها أعداء الإسلام فأقول:

زيد بن حارثة هذا، كان أحد العبيد الذين أُسروا فى الحرب، وأتى للسيدة

٤٩٧ – رد الشبهات حول عصمة النبى (ص٤٧٢)
٤٩٨ – صحيح أبو داود (ج٢، ص٢٤٢)
٤٩٩ – صحيح أبو داود (ج٢، ص٢٤٢)

خديجة وهو صغير، فأعطته لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكى يتولى رعايته ويخدمه، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على زيد أن يعتقه من خدمته والبقاء معه كعبد، ولكن زيداً لم يرد أن يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفضَّل البقاء معه، وذلك لحبه الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة، وجمع الناس، وقال لهم هذا الغلام اسمه زيد بن محمد وقد أعتقته، وكان ذلك قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ، ويُبّعث الرسول صلى الله عليه وسلم وتمر الأيام، وذات يوم طلب زيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه زينب بنت جحش ابنة عمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فوافق الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الأمر على زينب، فرفضت فى أول الأمر، لأنها من سادة قريش، وهو كان عبداً وأُعتق، وتمثلت لها المهانة كلها فى هذا الزواج، وأبى كذلك أخوها عبد الله بن جحش أن يزوجها من زيد، لكن قرآناً ينزل فى شأن زينب و أخيها، ليقطع عليهما طريق الجدل، فيتلو عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى "﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾"[٥٠٠].

وخضع الرجل وخضعت المرأة المؤمنة للأمر الإلهى، وتزوجت زينب زيدًا، ولكنها كانت دائمة الفكر، بأنها من سادة العرب وهو عبد، وهذا الشعور أثر على معاملة زينب لزيد، فذهب زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشكو له معاملة زينب التى لا تليق أن تعامل بها زوجها، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الطلاق من زينب، فكان رد النبى صلى الله عليه وسلم كما جاء فى سورة الأحزاب: ﴿ **أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ** ﴾[٥٠١].

وكان هذا هو التخطيط الإلهى، لأنه سيترتب على فساد العشرة بين زيد وزينب تشريع جديد، يعتبر مفخرة للإسلام ونبى الإسلام، وهو إبطال عادة

---

٥٠٠ – الآية (٣٦) من سورة الأحزاب

٥٠١ – من الآية (٣٧) من سورة الأحزاب

التبنى، التى كانت تدين بها العرب، وهى مساواة الأدعياء وهم الأبناء بالتبنى بالأبناء الحقيقيين فى كل شئ، تنفيذاً للأمر الإلهى ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** ﴾[٥٠٢] وكذلك النص على المحرمات من النساء لقوله تعالى ﴿ **وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ** ﴾ [٥٠٣]. إضافة إلى إسقاط حرج المؤمنين من الزواج من نساء أولادهم بالتبنى، بعد أن يكون هؤلاء الأولاد قضوا منهن كل غرض [٥٠٤].

لذلك أمر الله تعالى بأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة للناس ليكون أدعى لقبولهم، يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً** ﴾[٥٠٥].

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أمر زينب بالزواج من مولاه زيد الذى كان إلى عهد قريب عبداً رقيقاً، لذلك صدر الأمر الإلهى بأن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرفع هامتها، ويعيد إليها مكانتها بين أترابها، ويمدها بالعز والمجد والعظمة[٥٠٦].

وحتى لا يؤثر هذا الأمر فى نفس زيد، نجد الحق سبحانه وتعالى يكرمه تكريماً لم يكرمه لصحابى غيره، فهو الصحابى الوحيد الذى ذكر اسمه بالشخص والعَلَم فى القرآن فقال الحق سبحانه ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** [٥٠٧].

---

٥٠٢ - الآية (٤) من سورة الأحزاب
٥٠٣ - الآية (٢٣) من سورة النساء
٥٠٤ - فى رحاب التفسير (٤٢٠٢)
٥٠٥ - من الآية (٣٧) من سورة الأحزاب
٥٠٦ - فى رحاب التفسير (٤٢٠٢)
٥٠٧ - من الآية (٣٧) من سورة الأحزاب

وأخيراً فإن زينب بنت جحش هى بنت عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذى زوجها لمولاه زيد، ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه خاصة أنها ربيت بعينه وتحت رعايته. فالأمر كله ليس من عمل الإرادة البشرية، ولكنه أمر قدرى شاءته إرادة الله لإعلان أحكام تشريعية جديدة (٥٠٨).

الشبهة التاسعة عشرة

شبهة زواج النبى ﷺ من السيدة عائشة وهى طفلة[٥٠٩]

أولاً: عرض الشبهة

قرأ أعداء الإسلام فى مصادر الإسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم عقد على السيدة عائشة وهى بنت ست سنين، وبنى بها وهى بنت تسع سنين، ومات عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة، وكان عمر النبى صلى الله عليه وسلم قد تجاوز الخمسين فأطلقوا لأقلامهم العنان، وظنوا أنهم وجدوا بغيتهم ووقعوا على ضالتهم فقالوا: إن هذا الزواج انتهاك لحرمة الطفولة، وقتل لبراءتها، واستجابة للوحشية الجنسية، وعبث واضح من رجل كبير بطفلة صغيرة لا تعرف شيئاً من مآرب الرجال.

وصوروا النبى صلى الله عليه وسلم بصورة الشيخ الكبير المتصابى، المتهافت على النساء الحريص على فض الأبكار، والتمتع بالبنات الصغار حتى زعم بعضهم أن النبى صلى الله عليه وسلم أصابته عقدة حينما تزوج من السيدة خديجة التى كانت تكبره سناً فكان رد فعله أن بالغ فى زواجه التالى، فكانت زوجته تصغره بسنوات كثيرة، فهو قد سئم النساء العجائز فأراد أن يتذوق البنات الصغيرات، وسموا هذا الزواج " الجمع الغريب" بين الشيخ الكبير والطفلة الصغيرة، واستعانوا لتقبيح هذا الزواج فى نفوس الناشئة بالواقع المعاصر، والقوانين التى رفعت سن الزواج للبنت إلى ست عشرة سنة، وعدوا زواج البنت فى سن دون ذلك انتهاكاً لحرمة الطفولة، وظلماً صادرًا لها، وموجَّهاً لبراءتها، وأنه لو قام رجل الآن جاوز الخمسين من عمره بالزواج

---

٥٠٨ – تفسير الشعراوى (ص ٦٢٧٧)

٥٠٩ –الرد على شبهات المستشرقين ومن شايعهم من المعاصرين حول السنة

من طفلة عمرها تسع سنوات لكان ذلك الزواج منتقداً مستهجناً فى جميع الأوساط يُعاب فاعله ويُذم عليه، فما بالك إذا كان فاعل ذلك نبيًّا يطلب من أتباعه الاقتداء به فكيف يجيز محمد صلى الله عليه وسلم لنفسه فعل هذا الأمر؟

وقد ضاعف أصحاب هذه الشبهة حملاتهم وظنوا أنهم وقعوا على صيد ثمين، وشبهة تهدم الإسلام من قواعده لأنهم إذا أفقدوا المسلمين ثقتهم بنبيهم ضاع كل شىء فأمطروا شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت) بمقالات تتضمن هذه الشبهة وتعيد فيها وتزيد وتعرضها وكأنها القاصمة التى لا إجابة عليها، وصوروا علماء الإسلام بأنهم عاجزون عن الرد، وقد ساعدهم على ذلك إنكار بعضهم لهذا الأمر دون بحث وروية مع ثبوته فى مصادر الإسلام الصحيحة.

وتقدموا بشبهتهم خطوة أخرى فتركوا ساحة الأقلام والأوراق والكتابة واتجهوا نحو وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، وهى وسيلة أشد خطراً، وأعظم تأثيراً، وجمهورها أكثر بكثير من جمهور القراء.

فقام القسيس جيرى فاينز، التابع للكنسية المعمدانية الجنوبية فى الولايات المتحدة الأمريكية بمهاجمة النبى محمد صلى الله عليه وسلم على شاشة التلفاز، وقام بعقد مقارنة بينه وبين السيد المسيح عليه السلام الذى لم يتزوج مطلقاً ثم قال ما معناه:إن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم تزوج من تسع نساء، آخرهن طفلة عمرها تسع سنوات هى: السيدة عائشة بنت أبى بكر، ثم استضاف أحد البرامج المشهورة الذى يقدم على شاشة التليفزيون الأمريكى وهو برنامج «كروس فاير» أمريكياً مسلماً، وأحد أهم المسئولين فى المنظمة العربية لمحاربة التمييز العنصرى واسمه حسين إبيش وعرض عليه مقدم البرنامج كلام القسيس جيرى فاينز فنفى السيد حسين هذا الكلام بشدة وقال: إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عائشة وهى طفلة بل كانت شابة.

وكان هناك قسيس آخر يشارك فى البرنامج نفسه فوجه إلى السيد حسين إبيش سؤالاً مفاده: لماذا تزوج النبى محمد صلى الله عليه وسلم تسع نساء، بينهن طفلة، عمرها تسع سنوات.. فنفى السيد حسين إبيش ذلك

فطلب منه القسيس أن يراجع مصادر الإسلام ويقرأ تاريخ المسلمين ثم أعطاه قائمة بأسماء عدة مواقع إسلامية على الإنترنت يمكنه العودة إليها للتحقق من عدد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم، وأن بينهن طفلة عمرها تسع سنوات فكان النفى هو الطريق السهل الذى لجأ إليه بعض المسلمين دون أن يحملوا أنفسهم عناء مراجعة هذا الأمر فى مصادره الأصلية أو سؤال أهل الذكر عنه.

ومن الجدير بالذكر أن نقول: إن نفى هذه الحقيقة الثابتة فى لقاء تليفزيونى يشاهده الملايين أو على صفحات جريدة لا يخدم الإسلام بل يسىء إليه أعظم إساءة؛ لأن المشاهد أو القارئ ليس غبياً ساذجاً بل سيحاول التأكد منها وبأقل قدر من المجهود سيتأكد من ثبوتها، وعندها سيقوم برفض الإسلام، وفهم النص بطريقة تتوافق مع ما ذهب إليه هذا القس وأمثاله رغم أن الحقيقة كما سنرى، ليس فيها ما يستوجب الخجل فيلزم النفى بل إننا كمسلمين نفخر بكل أقوال وأفعال نبينا صلى الله عليه وسلم بل ونعرضها على العالم كله فى إطارها المكانى والزمانى.

ثانياً: كيف واجه المسلمون هذه الشبهة؟

عرض خصوم الإسلام هذه الشبهة وعملوا على إذاعتها وترويجها لصد غير المسلمين عن الدخول فى الإسلام، ولزعزعة ثقة المسلمين بنبيهم ودينهم؛ فانقسم المسلمون حيال شبهتهم إلى قسمين؛ القسم الأول: أنكر الشبهة من أساسها ونفى أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة عائشة وهى بنت ست سنين، وبنى بها وهى بنت تسع سنين، ولم يحمل نفسه عناء البحث والدراسة المتأنية لهذا الموضوع، وقد مثَّل هذا الفريق كثير من غير المتخصصين، بل عُرضت هذه القضية على بعض العلماء الذين يتحدثون باسم الدين على الفضائيات فأنكروها بل بالغ بعضهم فى إنكارها حتى قال: أتحدى أى إنسان أن يثبت هذا الأمر!!

يا الله قد وصلنا إلى عصر تُنكر فيه الأحاديث الثابتة فى الصحيحين ويُتبجَّح بهذا الإنكار.

وكأن نفى الشبهة يُغنى عن الرد عليها ومحاولة فهم أسباب هذا الزواج..!!

وقد اتجه كثير من المتعجلين أو غير المتخصصين لنفى هذا الأمر بل إن بعضهم حاول أن يثبت عقلاً أن السيدة عائشة عندما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم كانت أكبر من هذا.

وهكذا نحا البعض إلى الإنكار والنفى إما استبعاداً لهذا الأمر واستنكاراً ورفضاً له، وإما جهلاً بثبوت الروايات التى تحدد سن السيدة عائشة عند عقد النبى صلى الله عليه وسلم عليها وبنائه بها، وإما تسرعاً وتعجلاً وتساهلاً دون دراسة كافية للموضوع.

القسم الثانى: اعترف بزواج النبى صلى الله عليه وسلم وقد جاوز الخمسين من عمره بالسيدة عائشة وهى بنت ست سنين وبنائه بها وهى بنت تسع سنين، وفهم القضية فى إطارها الزمانى والمكانى فلم يجد فيها ما يُعاب به النبى صلى الله عليه وسلم أو ينتقد عليه، ولذلك تجد كتب المتقدمين من العلماء خالية من الإشارة إلى هذه، الشبهة والرد عليها بل إنها تعرض زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة باعتبارها حقيقة ثابتة يقرها العقل والعرف والشرع لأنها ثابتة بالنصوص الواضحة الصريحة.

ثالثاً: الرد على هذه الشبهة

عَقْد النبى صلى الله عليه وسلم على السيدة عائشة وهى بنت ست سنين، وبناؤه بها وهى بنت تسع سنين حقيقة ثابتة لا يجوز لمسلم أن يُنكرها أو يرفضها لسببين:

الأول: إنها واردة فى أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل وهو: صحيح الإمام البخارى، وصحيح الإمام مسلم، وثابتة أيضاً فى كثير من كتب السيرة والتاريخ بأسانيد صحيحة.

الثانى: أن علماء هذه الأمة قديماً وحديثاً تلقوا هذه الأحاديث بالقبول، ولم نسمع أو نقرأ لأحد من علماء الأمة المعتبرين أنه أنكر هذه الأحاديث أو شكك فى ثبوتها أو حاول تأويلها بحيث يُفهم منها أن السيدة عائشة كانت فى سن يسمح لها بالزواج بما ينسجم ويتماشى مع سن العروسين فى عصرنا هذا.

وقبل الرد على هذه الشبهة سأورد لك بعض الأحاديث التى تثبت أن النبى

صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة وهى بنت ست سنين، وبنى بها وهى بنت تسع سنين.

الحديث الأول: عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا فى بنى الحارث بن خزرج، فوعكت، فتمزق شعرى فوفى جميمة، فأتتنى أمى أم رومان وإنى لفى أرجوحة ومعى صواحب لى، فصرخت بى فأتيتها لا أدرى ما تريد بى فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار وإنى لأنهج حتى سكن بعض نفسى، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهى ورأسى، ثم أدخلتنى الدار فإذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتنى إليه وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين [٥١٠].

الحديث الثانى: عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت:« تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين، وبنى بى وأنا بنت تسع سنين»[٥١١].

الحديث الثالث: عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين [٥١٢]، ودخل علىّ لتسع سنين [٥١٣].

الحديث الرابع: عن أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود قال: قالت عائشة: «تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسع سنين، وصحبته تسعاً»[٥١٤].

الحديث الخامس: عن عروة بن الزبير عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها وهى بنت سبع سنين، وزُفت إليه وهى بنت تسع سنين ولعب معها، ومات عنها وهى بنت ثمانى عشرة»[٥١٥].

٥١٠- صحيح البخارى(٣٨٩٤) ومسلم (١٤٢٢).
٥١١- صحيح مسلم (١٤٢٢).
٥١٢- جاء فى بعض الروايات : أن النبى (عقد عليها وعندها ست سنين ، وفى بعض الروايات : سبع سنين ، ويجمع بينهما بأنها كانت أكملت السنة السادسة ، ودخلت فى السنة السابعة ، والعرب تجبر الكسر . الإصابة ٢٣٢/٨
٥١٣- صحيح مسلم (١٤٢٢) .
٥١٤- رواه النسائى (٦ / ٨٢) وإسناده صحيح .
٥١٥- صحيح مسلم (١٤٢٢).

الحديث السادس: عن عروة بن الزبير قال: «توفيت خديجة قبل مخرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهى بنت ست سنين، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين»[٥١٦].

الحديث السابع: عن الأسود عن عائشة قالت: «تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بنت ست سنين، وبنى بها وهى بنت تسع، ومات عنها وهى بنت ثمانى عشرة«[٥١٧].

هذه الأحاديث الصحيحة، وغيرها كثير، تدل بوضوح على أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة عائشة وهى بنت ست سنين، وبنى بها وهى بنت تسع سنين، وتوفى عنها وعمرها ثمانى عشرة سنة، وهذه الأحاديث من رواية: عروة بن الزبير، وعامر بن عبد الله بن مسعود، والأسود بن يزيد بن قيس عن عائشة صاحبة القصة.

وقد ولدت السيدة عائشة بعد البعثة بخمس سنين [٥١٨].

فقد قالت عن نفسها: لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين [٥١٩]، وعقد النبى صلى الله عليه وسلم عليها فى العام الحادى عشر من البعثة وعمرها ست سنين وبضعة أشهر، وبنى بها فى المدينة فى العام الثانى للهجرة وهى بنت تسع سنين، وكان ذلك بعد وفاة السيدة خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم الأولى بنحو ثلاث سنين.

تقول السيدة عائشة: «ما غرت على أمراة ما غرت على خديجة، من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، قالت: وتزوجنى بعدها بثلاث سنين»[٥٢٠].

ومما يؤكد هذا أن السيدة عائشة توفيت سنة سبع وخمسين، وقيل ثمانى وخمسين،

٥١٦- صحيح البخارى (٣٨٩٦) .
٥١٧- صحيح مسلم (١٤٢٢) .
٥١٨- الإصابة ٨ / ٢٣٢ .
٥١٩- صحيح البخارى (٤٧٦)
٥٢٠- صحيح البخارى (٣٨١٧).

قال الإمام الذهبى وغيره: ومدة عمرها ثلاث وستون سنة [٥٢١].

فإذا كانت ولادتها بعد البعثة بخمس سنين تكون قد عاشت ثمانى سنوات قبل الهجرة، وبنى بها النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الثانى للهجرة وعمرها تسع سنين، وعاشت معه تسع سنوات أخرى، وتوفى النبى صلى الله عليه وسلم وعمرها ثمانى عشرة سنة، وعاشت بعده سبعاً وأربعين سنة، لأنها توفيت سنة سبع وخمسين أو ثمانٍ وخمسين فيكون عمرها حين توفيت ثلاثاً وستين سنة كما قال العلماء.

قال ابن حجر: ماتت سنة ثمانٍ وخمسين عند الأكثر، وقيل سنة سبع وخمسين [٥٢٢].

فإذا عرفنا هذه الأدلة واطَّلعنا على هذه الأحاديث أدركنا بيقين أن النبى (عقد على السيدة عائشة وعمرها ست سنين وبضعة أشهر وبنى بها وهى بنت تسع سنين وقد حددت السيدة عائشة تاريخ زواجها بدقة فقالت: تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين، وأنا ابنة ست سنين، وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وأعرس بى فى شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، وكنت يوم دخل بى ابنة تسع سنين [٥٢٣].

وتوفى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تسع سنوات، وعمرها ثمانى عشرة سنة، ولهذا وجدنا جميع العلماء يقرون بهذا ولم نجد من ينكره أو يرفضه أو حتى يستغربه.

قال الإمام الزهرى: ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم عقدة عائشة وهى ابنة ست سنين وجمعها وهى ابنة تسع سنين، وتوفى عنها وهى ابنة ثمانى عشرة [٥٢٤].

٥٢١- سير أعلام النبلاء ١ / ١٩٣ .

٥٢٢- الإصابة ٨/٢٣٥ .

٥٢٣- الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٦٤ .

٥٢٤- الطبقات الكبرى ٨/٦٧ .

قال ابن حجر: ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس فقد ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها وهى بنت ست وقيل سبع، ويجمع بينهما بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت فى السابعة ودخل بها وهى بنت تسع (٥٢٥).

فهذه الأدلة الظاهرة الواضحة والصحيحة تؤكد أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة عائشة فى هذه السن.

فهذا الأمر ثابت يقيناً بالأدلة النقلية الصحيحة، والأحاديث التى اتفق على روايتها الإمامان: البخارى، ومسلم وغيرهما، وتلقاها علماء الأمة بالقبول، وإنكارها نوع من التخبط المرذول الذى يرفضه الدين والعقل.

أما معرفة أسباب هذا الزواج، وكيف يقبله العقل المعاصر، وكيف يستوعب هذا الجمع الذى سموه غريباً بين هذا الشيخ وهذه الطفلة.. فهذا موضوع آخر.

ولمحاولة فهم أسباب هذا الزواج وملابساته إليك هذه الأمور التى تحيل هذه الشبهة ركاماً وتدعها قاعاً صفصفاً:

الأمر الأول: إن زواج النبى صلى الله عليه وسلم، وقد جاوز الخمسين من عمره، بالسيدة عائشة وهى بنت تسع سنين، لم يكن شيئاً عجيباً أو مستغرباً فى هذه البيئة العربية بل كان أمراً مألوفاً طبيعياً متعارفاً عليه بينهم، فلم تكن السيدة عائشة هى أول امرأة تُزفُّ فى تلك البيئة إلى رجل فى سن أبيها بل ولن تكون آخرهن فقد وُجدت نماذج كثيرة فى ذلك العصر وقبله وبعده تؤكد أن هذا الزواج لم يكن مستهجناً ولا مرفوضاً، وسأورد لك بعض هذه الأمثلة للتأكد من هذا الأمر:

المثال الأول: حينما ذهب عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى زهرة ليخطب لابنه عبد الله السيدة آمنة بنت وهب خطب لنفسه أيضاً هالة بنت أهيب، وكانت فى سن آمنة فتزوج عبد المطلب وابنه فى مجلس واحد (٥٢٦).

المثال الثانى: حينما استشهد سيدنا خنيس بن حذافة فى غزوة أحد

٥٢٥- الإصابة ٨/٢٣٢.

٥٢٦- مستدرك الحاكم ٢ / ٦٥٦ رقم ٤١٧٦، والطبرانى فى المعجم الكبير ٣ /١٣٧ رقم ٢٩١٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٢٨٥، والاستيعاب لابن عبد البر ١ / ٢٨.

ترملت زوجته السيدة: حفصة بنت عمر، وكان عمرها: ثمانى عشرة سنة فعرض سيدنا عمر على سيدنا عثمان بن عفان[٥٢٧]، وقد جاوز الخمسين من عمره، أن يتزوجها ثم عرضها على سيدنا أبى بكر[٥٢٨]، وكان أكبر سناً من عثمان ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك.

فلو لم يكن هذا الأمر مألوفاً عند العرب ما عرض سيدنا عمر على عثمان وأبى بكر الزواج من ابنته التى لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها.

المثال الثالث: تزوج سيدنا عمر بن الخطاب فى خلافته من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وهو فى سن أبيها بل فى سن جدها، ولم يلق هذا الزواج اعتراضاً من أحد [٥٢٩] بل وجد الترحيب والرضا والقبول.

قال الحافظ ابن سعد: تزوجها عمر بن الخطاب وهى جارية لم تبلغ[٥٣٠] وإنما حمل سيدنا عمر وقد جاوز الخمسين من عمره أن يتزوج بالسيدة أم كلثوم وهى فى سن أحفاده ما سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: " كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببى ونسبى"[٥٣١].

ولذلك كان سعيداً جداً حينما تزوجها حتى أنه أتى المهاجرين فقال لهم: ألا تهنئونى فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين فقال: بأم كلثوم بنت على وابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كل نسب وسبب...» الحديث فأحببت أن يكون بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب وسبب [٥٣٢].

المثال الرابع: إننا لا نكون مغالين إذا قلنا إن الجزيرة العربية قد عرفت

٥٢٧- ولد سيدنا عثمان بعد عام الفيل بست سنين وعرض عليه عمر الزواج بحفصة فى العام الثالث للهجرة فيكون عمره حينئذ خمسين سنة.
٥٢٨- توفى سيدنا أبو بكر سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة، وعرض عليه عمر الزواج بحفصة فى العام الثالث للهجرة فيكون عمره حينئذ ثلاثاً وخمسين سنة .
٥٢٩- الطبقات الكبرى ٨ / ٤٦٤ ، والاستيعاب ٤ / ١٩٥٥ .
٥٣٠- الطبقات الكبرى ٨ / ٤٦٣ .
٥٣١- الحاكم فى المستدرك ٣ / ١٥٣ رقم ٤٦٨٤ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : منقطع ، والضياء المقدسى فى الأحاديث المختارة ١ / ١٩٨ رقم ١٠٢ وقال : إسناده حسن ، والطبرانى فى المعجم الأوسط ٥ / ٣٦٧ رقم ٥٦٠٦ ، وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح إلا الحسن بن سهل وهو ثقة مجمع الزوائد ٩ / ١٧٣ .
٥٣٢- التخريج السابق .

أمثلة كثيرة لمثل هذا الزواج بل عرفه الناس جميعاً عرباً وعجماً فى هذا الزمن.

ذكرت الموسوعة الكاثوليكية: أن يوسف النجار حينما أراد أن يتزوج من السيدة مريم العذراء قبل أن تلد السيد المسيح كان عمرها ما بين اثنى عشر إلى أربعة عشر عاماً بينما كان عمره تسعين سنة، يعنى أنه كان أكبر منها بنحو سبع وسبعين سنة، والموسوعة الكاثوليكية تصرح بذلك.

فهل يحق للنصارى بعد هذا أن يعترضوا على زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة بعد أن يقرأوا ويعرفوا هذا الأمر الموجود فى كتبهم.

فهذه الأمثلة وغيرها كثير تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن العرف حينئذٍ كان يسمح بذلك ولا ينكره.

وقد يسمح العرف فى بعض الأزمان أو فى بعض الأماكن والبلدان أن يتزوج الرجل الكبير السن من البنت الصغيرة برضا واتفاق، ولا يترتب على هذا الزواج ضرر بالمرأة.

فالإسلام حينئذٍ يبيح ذلك ويقره لأن الإسلام يعتبر العرف والعادات من مصادر التشريع ما لم تصطدم بنص.

ولذلك قال الفقهاء: " العادة محكمة "، ومعنى هذه القاعدة: أن أعراف الناس وعاداتهم فيما ليس فيه نص شرعى تعتبر عند الفقهاء مرجعاً للأحكام الشرعية، ولذلك قالوا أيضاً: "المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً".

ولذلك احترمت الشريعة الإسلامية عادات الشعوب وتقاليدها التى لا تصطدم بالنصوص الشرعية، ولا تتعارض مع المقاصد العامة للشريعة.

فإذا نظرنا إلى هذا الزواج وفق البيئة والزمن الذى تم فيه نجد أنه كان زواجاً طبيعياً مألوفا. تقول السيدة عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ ": أَوَ يُنكرون أن يكون زواج بين صبية فى سنها وبين رجل اكتهل وبلغ الثالثة والخمسين، وأى عجب فى مثل هذا، وما كانت أول صبية تزف فى تلك البيئة إلى رجل فى سن أبيها ولن تكون كذلك أخراهن؟

لقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عم آمنة فى اليوم الذى تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه من آمنة بنت وهب، وسيتزوج عمر بن الخطاب من

بنت على بن أبى طالب وهو فى سن فوق سن أبيها، ويعرض عمر على أبى بكر أن يتزوج ابنته الشابة حفصة وبينهما من فارق السن مثل الذى بين الرسول وعائشة.

لكن نفراً من المستشرقين يأتون بعد نحو ألف وثلاثمائة عام من ذلك الزواج فيهدرون فروق العصر والبيئة ويطيلون القول فيما وصفوه بأنه: " الجمع الغريب بين الزوج الكهل والطفلة الغريرة العذراء "، ويقيسون بعين الهوى زواجاً عُقد فى مكة قبل الهجرة بما يحدث اليوم فى الغرب المتحضر، حيث لا تتزوج الفتاة عادة قبل سن الخامسة والعشرين، وهى سن تعتبر حتى وقتنا جد متأخرة فى الجزيرة العربية بل فى ريف مصر، وأكثر مناطق الشرق وهو ما أدركه مستشرق منصف زار الجزيرة وعاد يقول: كانت عائشة على صغر سنها نامية ذلك النمو السريع الذى تنموه نساء العرب والذى يسبب لهن الهرم فى أواخر السنين التى تعقب العشرين، ولكن هذا الزواج شغل بعض المؤرخين لمحمد صلى الله عليه وسلم، نظروا إليه من وجهة نظر المجتمع العصرى الذى يعيشون فيه فلم يقدروا أن زواجاً مثل ذاك كان ولا يزال عادة أسيوية، ولم يفكروا فى أن هذه العادة مازالت قائمة فى شرق أوربا وكانت طبيعية فى إسبانيا والبرتغال إلى سنين قليلة وإنها ليست غير عادية اليوم فى بعض المناطق الجبلية البعيدة بالولايات المتحدة[٥٣٣].

ويقول كاتب نصرانى هو الأستاذ نظمى لوقا: القصة بهذا العرض تفتح أبواب النقص وتثير الشبهات عند من يتصيدون مواطن الطعن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهزون الفرص للحط من قدره بما يكتبون ويتحدثون، إن مجرد ذكر زواج رجل " أى رجل " بطفلة فى سن ست سنوات يثير عاصفة السخط والاشمئزاز من هذا الرجل لكن إذا تُرك أمر السن هذا من غير ذكر وصار الأمر للعرف والعادة وتقدير مقتضيات البيئة فمن السهل أن توجد المبررات التى لا تثير لوماً ولا تفتح باب الشكوك والشبهات ومن التجنى فى الأحكام أن يوزن الحدث منفصلاً عن زمانه ومكانه وظروف بيئته [٥٣٤].

٥٣٣- نقلاً عن كتاب : الرسول للمستشرق بودلى ص ١٢٩ من الترجمة العربية لفرج والسحار ، وهذا النقل موجود فى كتاب : سيدات بيت النبوة لعائشة عبد الرحمن ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
٥٣٤- وامحمداه ص ١٧٢.

الأمر الثانى: كانت قريش تعادى الإسلام وتحاربه بالسلاح تارة، وبإثارة الشبهات حوله تارة أخرى، وكانت تتربص بالنبى صلى الله عليه وسلم الدوائر لتأليب الناس عليه، وكانت تنتظر له هفوة أو زلة يأخذونها عليه، ويشوهون بها سمعته، ويلطخون بها سيرته ليصرفوا الناس عن دعوته، ولو كان زواج النبى صلى الله عليه وسلم من عائشة منكراً أو مرفوضاً من أهل هذا العصر لما تركه كفار مكة يمر بسلام خاصة أن النبى صلى الله عليه وسلم بنى بالسيدة عائشة عقب رجوعه من بدر بعد أن نصره الله على المشركين فى أول مواجهة مسلحة بينهما، بل إننا نجد على العكس من ذلك أن قريشاً علمت بنبأ هذا الزواج فلم تدهش ولم تعترض بل اعتبرته زواجاً طبيعياً ومصاهرة عادية بين صديقين جمع بينهما دين واحد، واستقبلت نبأ هذا الزواج كما تستقبل غيره من الأنباء، ولم يبلغنا أن أحداً منهم اعترض على هذا الزواج أو استغرب أو حتى تساءل عنه وتعجب منه، وهذا من أوضح الأدلة على أن هذا الزواج كان طبيعياً بل متوقعاً.

تقول عائشة عبد الرحمن: ولم تدهش مكة حين أُعلن نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين وأوفى صديقين بل استقبلته كما تستقبل أمراً طبيعياً مألوفاً ومتوقعاً، ولم يجد فيها أى رجل من أعداء الإسلام أنفسهم موضعاً لمقال، بل لم يدر بخلد واحد من خصومه الألداء أن يتخذ من زواج محمد صلى الله عليه وسلم بعائشة مطعناً أو منفذاً للتجريح والاتهام وهم الذين لم يتركوا سبيلاً للطعن عليه إلا سلكوه ولو كان بهتاناً وزوراً وافتراءً (٥٣٥).

إن قريشاً كانت أعقل بكثير من أناس يقلبون المحامد مذام والحسنات سيئات، ينظرون إلى الأمور فيغفلون عن حسنها، وتخيل إليهم أوهامهم الفاسدة أنها فى منتهى القبح، ولو صدقوا مع أنفسهم وأنصفوا عقولهم من أهوائهم، وتخلوا عن رغباتهم الفاسدة فى النيل من الإسلام وتشويه صورة نبيه لرأوا فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم من عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين صورة من كمال النبوة وجلال الإنسانية والسمو البشرى فى أعلى درجاته.

إن مشكلة هؤلاء المستشرقين ومن دار فى فلكهم أنهم كالذباب يبحثون عن

٥٣٥- تراجم سيدات بيت النبوة ص ٢٥٦ .

القبيح، فإذا لم يجدوا قبحا واقعاً تخيلوه وهما، ويظلون يعيدون الأمر ويرددونه حتى يحسبوا أنهم على شىء، وأظهر دليل على ذلك: كلامهم عن زواج النبى صلى الله عليه وسلم من عائشة خاصة وغيرها من النساء عامة فلقد صورت لهم خيالاتهم المريضة أن محمداً رجل يبحث عن الشهوة ويلتمس المتعة واستدلوا على ذلك بتعدد زوجاته.

مع أن الدارس لحياة النبى صلى الله عليه وسلم يدرك بوضوح أن زواج النبى صلى الله عليه وسلم كان لمصالح حقيقية ترتبط بدعوته ورسالته، وكان أبعد ما يكون عن الهوى والشهوة، ولذلك لم يعترض عليه أحد من أعدائه المعاصرين لأنهم وجدوا فى زواجه سمو الخلق والبحث عن مرضاة الله وحده، ولم ترفع هذه الأصوات المنكرة إلا حديثاً.

وإنما يرجع السبب فى ذلك إلى أن أعداء النبى صلى الله عليه وسلم الذين عاصروه وعاشروه ورأوه شاباً عزباً حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره دون أن يقع فيما وقع فيه غيره من أترابه مما كان المجتمع يسمح به بل وييسر أسبابه، رأوه شاباً عفيف النفس، متين الخلق، طاهر الذيل، لم تعرف له كبوة.

ثم تزوج السيدة خديجة وكانت أكبر منه سناً حيث كانت تبلغ الأربعين من عمرها، وقضى معها زهرة شبابه، وظلت زوجته الوحيدة لأكثر من خمس وعشرين سنة لم يعرف امرأة غيرها، ولم يفكر فى الزواج بغيرها، فلما لحقت بربها كان قد جاوز الخمسين من عمره، ولو كان للشهوة والهوى سلطان على قلب النبى صلى الله عليه وسلم لا تخذ من الزوجات من شاء قبل النبوة وهو فى أوج شبابه وعنفوان قوته خاصة أنه لا يوجد شرع يحول بينه وبين بغيته، ولا عرف أو عادة تمنعه من قضاء مآربه وتمتعه بلذائذ الحياة ومتع الدنيا، وقد كان مرغوباً فيه تتمناه كل امرأة من قريش لكمال أخلاقه، وجمال أوصافه، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة خديجة وحدها وعاش معها أكثر من ربع قرن ولم يتزوج معها غيرها مع أنه كان قبل بعثته فارغ البال، قليل الأعباء والهموم، فلو كان مشغولاً بالنساء والاستمتاع بهن لفعل ذلك أيام شبابه وفراغه، والعرب كانت تعرف التعدد ولم يكن منكراً فى أعرافهم حتى إن منهم من كان يجمع بين عشر نساء وأكثر

غير ما ملكت يمينه دون أن ينكر عليه أحد، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم مع ذلك اكنفى بالسيدة خديجة وحدها.

ولو لم يكن هناك دليل على أن التعدد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم كان لمصلحة شرعية وحكم إنسانية دون أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم فى التعدد رغبة ذاتية إلا هذا الأمر لكان كالشمس فى رابعة النهار، ولكن قلوباً أمرضها الهوى وأسقمها الحقد والكيد للإسلام رأت فى ذلك هوى جامحًا ورغبة عارمة، ألا شاهت وجوههم.

وهب أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج مع خديجة غيرها لأسباب خارجة عن إرادته، فهذه خديجة قد توفيت فليبحث لنفسه إذن عن الأبكار الجميلات.

ولكن الواقع ينقض ذلك ويكذبه فقد تزوج النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة السيدة خديجة من السيدة سودة بنت زمعة وهى فى السبعين من عمرها، ولم يكن عندها من المال أو الجمال ما يرغِّب أحداً فى الزواج منها لأجله، بل كانت امرأة كبيرة السن، معدومة المال، قليلة الحظ من الجمال وإنما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم جبراً لخاطرها وإيناساً لوحشتها بعد وفاة زوجها وبقائها بلا عائل أو كفيل، وحتى يقتدى به أصحابه فيتزوجوا، من أرامل الشهداء حتى لا تفقد امرأة الشهيد زوجها وتتحمل عناء تربية الأولاد وحدها.

ثم تزوج النبى صلى الله عليه وسلم بعدها عائشة وهى فى سن لا ترضى أشواق أو نزعات العابثين، وإنما أراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الزواج أن يوثق صلته بصديقه وصاحبه، ولو تأملنا ظروف وملابسات زواجه لازددنا ثقة ويقيناً بخلو أسباب هذا الزواج من الشهوة والهوى والرغبة فى المتعة، وإنما أراد تكريم أصحابه، أو جبر خواطرهم، أو تأكيد حكم شرعى أو غير ذلك. فلو كان النبى صلى الله عليه وسلم صاحب هوى، وباحث عن لذة، وراغب فى متعة لتزوج غير هؤلاء، ولما سكت أعداؤه عن ذلك بل لاتهموه بذلك، ولكننا نجد أنهم تلقوا أخبار زواجه كالأخبار العادية، ولم يجدوا فيها ما يطعن فى نبوته، أو يخل بأخلاقه صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثالث: قال الفقهاء: الأب لا يزوج ابنته حتى تبلغ ويستأذنها لئلا

يوقعها فى أسر الزواج وهى كارهة، وهذا يدل على احترام الإسلام للمرأة واعتداده برأيها فى أمر زواجها، والنبى صلى الله عليه وسلم عقد على السيدة عائشة قبل سن البلوغ فهل خالف النبى صلى الله عليه وسلم الأفضل فى هذا؟

يقول الإمام النووى: هذا الذى قالوه لا يخالف حديث عائشة لأن مرادهم أن لا يزوجها قبل البلوغ إذا لم تكن مصلحة ظاهرة يخاف فواتها بالتأخير؛ كحديث عائشة فيستحب تحصيل ذلك الزواج لأن الأب مأمور بمصلحة ولده فلا يفوتها [٥٣٦].

أما وقت الزفاف فإن اتفق الولى مع الزوج على شىء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به، وإن اختلفا فالحد فى ذلك أن تطيق المرأة الجماع، ويختلف ذلك باختلاف النساء، ولا ينضبط بسن معينة، ألا ترى أن نضج الفتاة فى المناطق الحارة مبكر جداً فقد تبلغ فى الثامنة، وقد يتأخر نضج الفتاة فى المناطق شديدة البرودة حتى تصل إلى الواحدة والعشرين.

فهل كانت عائشة فى التاسعة من عمرها ناضجة بالغة تصلح للزواج أم لا؟

قال الداودى: كانت عائشة قد شبت شباباً حساناً [٥٣٧].

وتحكى السيدة عائشة عن نفسها فتقول. أرادت أمى أن تسمننى لدخولى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أقبل عليها بشىء مما تريد حتى أطعمتنى القثاء بالرطب فسمنت عليه كأحسن السمن [٥٣٨].

فهذه السيدة أم رومان تطعم ابنتها وتهيئها ليوم زفافها حتى سمنت السيدة عائشة وأصبحت أنثى تملأ العين وتطيق الزواج.

ومما يؤكد أن عائشة كانت تطيق الزواج أنها حينما هاجرت إلى المدينة، واستقر بهم المقام فيها قال أبو بكر الصديق للنبى صلى الله عليه وسلم: ما يمنعك أن تبنى بأهلك؟ تقول السيدة عائشة فبنى بى [٥٣٩].

٥٣٦- صحيح مسلم شرح النووى ٩ / ٢٠٦ .

٥٣٧- صحيح مسلم شرح النووى(٩ / ٢٠٦).

٥٣٨- رواه أبو داود (٣٩٠٣) والحاكم فى المستدرك (٢٧٥٦) وقال : صحيح على شرط مسلم.

٥٣٩- مستدرك الحاكم ٤ / ٦ رقم ٦٧١٦ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٦٣ .

فلو لم تكن عائشة تُطيق الزواج لما عرض أبو بكر، وهو الأب الرحيم الذى يشفق على ابنته ويحرص على مصلحتها، على النبى صلى الله عليه وسلم أن يبنى بها، بل إنه يُفهم من كلام سيدنا أبى بكر أنه يستعجل البناء بابنته حتى إن النبى صلى الله عليه وسلم حينما طلب منه أبو بكر البناء بابنته أخبره أن الذى يمنعه من ذلك أن صداقها ليس جاهزاً معه، فأعطاه أبو بكر على سبيل السلف، اثنتى عشرة أوقية، ونشاً فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عائشة وبنى بها [٥٤٠] .

الأمر الرابع: أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما أخبر أبا بكر برغبته فى الزواج من السيدة عائشة لم يكن أول المتقدمين لخطبتها بل خطبها قبله جبير بن مطعم بن عدى، وكان كافراً [٥٤١] .

ففى حديث خولة بنت حكيم حينما أخبرت أبا بكر وأم رومان برغبة النبى صلى الله عليه وسلم فى الزواج من عائشة قال لها أبو بكر: انتظرى، ثم تركها وخرج، فقالت لها أم رومان: إن مطعم بن عدى قد كان ذكرها على ابنه، فوالله ما وعد موعداً قط فأخلفه، تعنى أبا بكر، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الفتى فقالت: يا ابن أبى قحافة لعلك مُصب صاحبنا، أى مدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك، قال أبو بكرٍ للمطعم بن عدى: أقول هذه تقول؟ قال: إنها تقول ذلك [٥٤٢] فخرج من عنده وقد أذهب الله عز وجل ما كان فى نفسه من عدته التى وعده.

وروى ابن سعد فى طبقاته بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عائشة إلى أبى بكر الصديق فقال أبو بكر: يا رسول الله إنى كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير فدعنى حتى أسلها منهم، فاستسلها منهم فطلقها،أى فارقها، فتزوجها رسول الله ﷺ [٥٤٣] .

وفى رواية عن ابن عباس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

٥٤٠- مستدرك الحاكم ٤ / ٦ رقم ٦٧١٦ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٦٣، وهو جزء من الحديث السابق .

٥٤١- كان ذلك قبل أن يحرم الله زواج المسلمة من غير المسلم .

٥٤٢- أراد المطعم بذلك التنصل من خطبة عائشة لابنه وفهم أبو بكر ذلك .

٥٤٣- الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٥٩ ، وإسناده صحيح ورجاله ثقات .

أبى بكر الصديق عائشة فقال أبو بكر: يا رسول الله لقد كنت وعدت بها أو ذكرتها لمطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف لابنه جبير فدعنى أسلها منهم ففعل ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بكراً [٥٤٤].

ومعنى هذه الروايات أن أم المؤمنين عائشة كان يتقدم لها الخطاب قبل النبى صلى الله عليه وسلم بل كانت مخطوبة فعلاً لجبير بن مطعم فلا غرابة إذاً أن يخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن يتركها جبير. ولذلك لم ينكر أحد على النبى صلى الله عليه وسلم خطبته لعائشة ثم بناءه بها بعد ذلك.

الأمر الخامس: أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يطلب أن يتزوج من عائشة إلا بعد أن رشحتها له السيدة خولة بنت حكيم زوجة الصحابى الجليل: عثمان بن مطعون، ولولا أنها رأت أن عائشة تصلح للزواج ما رشحتها للنبى صلى الله عليه وسلم، وإليك هذه القصة كما يرويها أبو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة قالا: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مطعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: " من؟ " قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً قال: " فمن البكر؟ " قالت: ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك: عائشة بنت أبى بكر قال:"ومن الثيب؟ " قالت: سودة ابنة زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال: "فاذهبى فاذكريهما علىَّ " فدخلت بيت أبى بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير والبركة قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة... الحديث [٥٤٥].

فبعد أن توفيت السيدة خديجة تبرعت إحدى النساء المسلمات أن تعرض على النبى صلى الله عليه وسلم أن يتزوج فلما أبدى رغبته فى ذلك عرضت عليه: السيدة عائشة، والسيدة سودة ورأت أنهما تصلحان للزواج من النبى صلى الله عليه وسلم فوافق النبى صلى الله عليه وسلم على الزواج بالاثنتين

٥٤٤- الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٥٨ ، وإسناده ضعيف.
٥٤٥- رواه أحمد فى مسنده ١٨ / ٤٧ رقم ٢٥٦٤٥ وإسناده صحيح ورجاله ثقات .

بحيث يدخل بالسيدة سودة لتأهلها لذلك، ويؤخر البناء بالسيدة عائشة حتى تصلح للبناء.. فهو زواج طبيعى يقبله المجتمع، وتقره الأعراف.

الأمر السادس: تزوج النبى صلى الله عليه وسلم عائشة لأسباب كثيرة كل سبب منها يصلح وحده ليكون دافعاً للنبى صلي الله عليه وسلم للزواج من عائشة ومن أهم هذه الأسباب:

كان أبو بكر الصديق أحب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إليه، وأقربهم إليه، وآمن الناس عليه فى دعوته، وأول من آمن به من الرجال، وأنفق أمواله فى سبيل الله غير مرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر " [٥٤٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذاً خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً "[٥٤٧].

فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يتزوج ابنته توكيداً للصلة التى بينهما، وإكراماً له لتجتمع لأبى بكر أخوته للنبى صلى الله عليه وسلم، ومصاهرته له، فيجمع بين رباط الأخوة الوثيق، ورباط المصاهرة أيضاً فيتعلق منه بسبب ونسب فى الدنيا والآخرة.

ب- ولعل النبى صلى الله عليه وسلم تفرس فى عائشة ذكاءً وفهماً من خلال زياراته المتكررة إلى بيت أبى بكر فأراد أن يضمها إليه، وينقلها بالزواج إلى بيته لتنقل للمسلمين سنته وتوقفهم على أحواله لأن الإنسان حينما يكون صغير السن خالى البال من المشاكل والمشاغل يكون أشد استعداداً لتلقى العلم وحفظه واستيعابه وفهمه، وقد صدقت فراسة النبى صلى الله عليه وسلم فى عائشة فحملت عنه علماً كثيراً، ونقلت عنه خيراً وفيراً.

قال الإمام الزهرى: لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل [٥٤٨].

٥٤٦- رواه الترمذى (٣٦٨١) وقال : حديث حسن ، وأحمد فى مسنده (٨٧٧٦).

٥٤٧ ـ صحيح البخارى (٤٦٦) ، ومسلم (٥٣٢) .

٥٤٨- رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٣ / ١٨٤ ، وقال الهيثمى رواه الطبرانى مرسلاً ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٩ / ٢٤٣ .

فهى من أكثر الناس علماً، وأكثرهم رواية للحديث، وأفقه نساء الأمة على الإطلاق.

قال الإمام الذهبى: لا أعلم فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بل ولا فى النساء مطلقاً امرأة أعلم منها (٥٤٩). ولقد طال عمر السيدة عائشة، وظلت بعده بنحو سبع وأربعين سنة تعلم العلم وتنشر الحديث حتى بلغت جملة الأحاديث التى روتها ألفين ومائتين وعشرة (٢٢١٠) أحاديث، وعُدَّت لذلك أحد المكثرين من رواية الحديث.

جـ- كل النساء اللاتى تزوج بهن الرسول صلى الله عليه وسلم ثيبات والبكر الوحيدة التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم هى: السيدة عائشة، تقول رضى الله عنها: تزوجت رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً، وما تزوج بكراً غيرى(٥٥٠).

وقالت للنبى صلى الله عليه وسلم ذات مرة: أرأيت لو أنك نزلت وادياً فيه شجرة قد أُكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها فأيهما كنت ترتع بعيرك؟ قال: «الشجرة التى لم يؤكل منها» قالت فأنا هى.

تعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها(٥٥١).

ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم يتزوج بكراً، وكانت نساؤه كلهن ثيبات لظن البعض أفضلية نكاح الثيبات وترك نكاح الأبكار، أو لظن البعض أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحسن معاشرة الثيبات لنضج عقولهن، ولا يحسن معاشرة الأبكار والتعامل معهن، فأراد الله عز وجل لنبيه أن يتزوج ثيبات وأبكاراً، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه أروع الأمثلة فى التعامل مع النساء، ثيبات كن أو أبكاراً

والملاحظة العامة التى تلفت النظر فى أمر زوجاته صلى الله عليه وسلم أن منهن البكر الصغيرة كعائشة، والمسنة العجوز كسودة، والشابة كحفصة وزينب، وأن منهن ابنة صديقه الحميم كعائشة وحفصة، وابنة عدوه اللدود

---

٥٤٩ ـ سير أعلام النبلاء ٣ / ١٠٤ .

٥٥٠- رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٣ /٣٠

٥٥١- صحيح البخارى (٥٠٧٧).

كأم حبيبة بنت أبى سفيان زعيم كفار أهل مكة حينما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفية بنت حيى بن أخطب ابنة زعيم اليهود، ومنهن من كانت تشتغل برعاية أبنائها بعد وفاة زوجها كأم سلمة، ومنهن العقيم التى لا تلد كميمونة بنت الحارث وغيرها .

وكن جميعاً نماذج متفردة فى كثرة الصلاة والصيام والصدقة وخشية الله فكن، نماذج متنوعة لأفراد الإنسانية قدم النبى صلى الله عليه وسلم من خلال التعامل معهن تشريعاً فريداً للمسلمين فى كيفية التعامل مع كل نموذج من هذه النماذج البشرية، وقرر لنا سنة وطريقة فيها سعادة الأفراد واستقرار البيوت وطهارة المجتمعات.

أضف إلى هذه الأسباب: أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد بزواجه من السيدة عائشة أن يوضح حكماً شرعياً وهو: أن المؤاخاة، وهو نظام قديم كان موجوداً عند العرب قبل الإسلام يشبه نظام التبنى، لا تأخذ أحكام مؤاخاة الرحم فيحرم بها ما يحرم بين إخوة الأرحام، وهو التشريع الذى أنزله الله بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[٥٥٢] .

ولذلك قال بعض العلماء: إن زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة كان كزواجه من السيدة زينب بنت جحش لإيضاح حكم شرعى وبأمر إلهى.

فالزواج من السيدة عائشة كان لبيان أن أخوة العقيدة لا تحرم ما تحرمه أخوة النسب، والزواج من السيدة زينب كان لبيان أن الابن المتبنى لا يكون كالابن الصلبى فى تحريم الزواج بحليلته.

ولذلك حينما ذهبت السيدة خولة تخطب عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم قال لها أبو بكر: وهل تصلح له ؟ إنما هى ابنة أخيه تقول السيدة خولة: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال: «ارجعى إليه فقولى له: أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام، وابنتك تصلح لى»[٥٥٣] .

٥٥٢- الآية ٧٥ من سورة الأنفال

٥٥٣- رواه أحمد فى مسنده (٢٥٦٤) وإسناده صحيح .

وقد بلغ من إحساس أبى بكر بهذا المعنى أنه حينما قابل النبى صلى الله عليه وسلم قال له: إنما أنا أخوك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت أخى فى دين الله وكتابه وهى لى حلال»[٥٥٤] .

قال ابن حجر: معناه وهى مع كونها بنت أخى يحل لى نكاحها لأن الأخوة المانعة من ذلك أخوة النسب والرضاع لا أخوة الدين[٥٥٥] .

الأمر السابع: مشكلة غير المسلمين أنهم يتعاملون فى الأمور التى تتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم على أنه بشر عادى يخطئ ويصيب، ولذلك فإنهم ينظرون إلى أقواله بريبة وشك فتراهم يذكرون الشبهة فيقوم علماء المسلمين بالرد عليها، ويذكرون الاعتراض فيقوم علماء الإسلام بكشف الحق وإظهاره فيعاودون طرح الشبهات فلا تنتهى شبهاتهم ولا تطمئن قلوبهم بالإيمان، ولا شك أن هذه الشبهات والرد عليها أسهم فى الكشف عن جوانب العظمة فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وأظهر صوراً من تفرد التشريع الإسلامى واعتداله وواقعيته .

ولكن طريق الرد على الشبهات لا يكون أبداً طريقاً لعرض الإسلام على الآخرين لأن القضية الأساسية التى يجب أن نركز عليها فى دعوة غير المسلمين هى: بيان حقيقة الألوهية، وصفات الإله الحق الذى يجب أن نعبده، ثم تحديد شخص الرسول الذى كلفنا هذا الإله وأمرنا باتباعه فإذا اتفقنا على وحدانية الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا مجال لشبهة ولا محل لاعتراض؛ لأننا إذا آمنا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا معناه أن أقواله وحى، وأفعاله وحى فهو معصوم من الخطأ، ولذلك أوجب الله علينا الاقتداء به فى كل شىء فإذا نشأ لبسٌ ما نتيجة عدم الفهم الصحيح لبعض النصوص، أو عدم استحضارها قام العلماء بالتوضيح والكشف فيزداد الذين آمنوا إيمانا .

ولذلك يجب ألا ننساق وراء هذه الشبهات والرد عليها، وننسى أن أصل الدعوة تكون إلى الإيمان بالله وحده والإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم

٥٥٤- صحيح البخارى (٥٠٨١)
٥٥٥ - فتح البارى شرح صحيح البخارى ٩ / ٢٧ .

وسلم، ولذلك حينما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتى قوماً أهل كتاب فادعهم إلى: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله ... الحديث »[٥٥٦] .

وأخيراً فإن زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة لم يكن أصلاً باختيار النبى صلى الله عليه وسلم، ولا بسبب عرض السيدة خولة زواجها على النبى صلى الله عليه وسلم فقط، ولكن السبب الحقيقى لهذا الزواج أن الله عز وجل أراده فقدر له أسبابه، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فى الرؤيا، ورؤيا الأنبياء وحى.

فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: «أُريتك فى المنام مرتين، إذا رجل يحملك فى سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشفها فإذا هى أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه»[٥٥٧] .

فهذا الحديث وحده كان يكفى ليقتنع المسلمون أن زواج النبى صلى الله عليه وسلم بعائشة تم بأمر من الله عز وجل ولذلك كان هذا الزواج من أكثر زيجات النبى صلى الله عليه وسلم إفادة للأمة ورحمة بها ومنفعة لها .

الشبهة العشرون

الادعاء بأن النبى ﷺ كان سباباً

الرد على الشبهة العشرين

١- لقد استند أعداء الإسلام إلى حديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنما أنا بشر، فأيما رجل من المسلمين سببته، أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له زكاة ورحمة[٥٥٨] .

٥٥٦- صحيح البخارى (١٣٩٥) ومسلم (١٩)
٥٥٧- صحيح البخارى (٥١٢٥) ومسلم (٢٤٣٨).
٥٥٨ - صحيح البخارى (فتح البارى ج ١١، ص ١٧) ومسلم (شرح النووى ج ٨، ص ٣٩٦)

لكن الآيات والأحاديث الآتية تبين فى صراحة ووضوح، جواز لعن من لعنهم الله سبحانه وتعالى فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فى سنته المطهرة، بصفتهم دون تحديد أشخاصهم، وهذا الجواز فى حق الأنبياء وأممهم على السواء فهو من اللعن المباح [٥٥٩].

والآيات الواردة فى هذا الخصوص كثيرة منها على سبيل المثال :

قوله تعالى: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾ [٥٦٠].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ [٥٦١].

وقوله عز وجل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[٥٦٢].

وقوله جل وعلا ﴿ **وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾[٥٦٣].

أما الأحاديث الواردة فى هذا الخصوص فهى كثيرة أيضاً، ومنها على سبيل المثال الأحاديث الآتية:

الحديث الأول :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض [٥٦٤]، [٥٦٥].

---

٥٥٩ – المنهاج شرح مسلم (ج ٨، ص ٣٩٥)
٥٦٠ – الآية ٧٨ من سورة المائدة.
٥٦١ – الآية ١٦١ من سورة البقرة.
٥٦٢ – الآية ٢٣ من سورة النور.
٥٦٣ – الآية ٧ من سورة النور.
٥٦٤ – منار الأرض : علامات حدودها وتغييرها أن يدخلها فى أرضه فيكون بمعنى الغاصب..
٥٦٥ – رواه أحمد ومسلم والنسائى وصححه الألبانى فى الجامع (٥١١٢)

الحديث الثانى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه [٥٦٦].

الحديث الثالث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده [٥٦٧].

الحديث الرابع :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله الراشى والمرتشى [٥٦٨].

الحديث الخامس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله من مثل بالحيوان [٥٦٩] أى صيره مثله، بأن قطع أطرافه أو بعضها وهو حى.

فإذا لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كفروا من قوم، أو لعن العصاة من أمته، كما ورد فى القرآن الكريم: كالذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم بينة إلا أنفسهم، وكالذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، وكنحو من لعن والديه، ومن شرب الخمر .... إلخ، لم يكن فى ذلك ما يشوه سيرته العطرة، ولا ما يطعن فى عصمته صلى الله عليه وسلم، وفى سلوكه، وهديه، وخُلُقه، لأن المنهى عنه من اللعن، تحديد أسماء من يلعن دون صفة فعلهم، وقد جاء التوجيه الربانى لنبيه صلى الله عليه وسلم بذلك لعل الله أن يتوب عليهم، وهو ما حدث مع بعضهم [٥٧٠].

٢- إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث لعاناً لأناس بأشخاصهم، وإنما بعث رحمة، ولذا لما قالوا له صلى الله عليه وسلم: إن دوساً قد كفرت وأبت، فادع عليها، فقال: اللهم اهد دوساً، وائت بهم[٥٧١].

٣- ليس فى الحديث الذى استدل عليه أعداء الإسلام، ما يعارض ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ، من أنه لم يكن فاحشاً، ولا لعاناً، ولا سباباً صلى

---

٥٦٦ – صحيح أحمد (ج٢، ص ٢٥) وابن ماجة (ج٢، ص ٣١٣) وابوداود (ج ٣، ص ٣٢٦)
٥٦٧ – رواه البخارى ومسلم وأحمد وصححه الألبانى فى الجامع (٥٠٩٧)
٥٦٨ – صحيح الترمذى (ج ٣، ص ٦٢٣) وابن ماجة (ج ١، ص ٧٢٧) وأبوداود (ج٣، ص ٣٠٠).
٥٦٩ – رواه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى وصححه الألبانى فى الجامع (٥١١٣).
٥٧٠ – رد شبهات حول عصمة النبى (ص ٤٩٧).
٥٧١ – صحيح مسلم (شرح النووى جـ ٨، ص ٣٩٦).

الله عليــه وسلم، لأن هـذا الحـديث مـقـيـد بالآيات والأحـاديث التى تبـين مشـروعيته وجواز أن يلعن رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، من أوحى إليه لعنهم بصفتهم دون ذكر أسمائهم؟

٤- قـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فـى الحـديث الذى رواه مـسلم وغيره عن أنس بن مـالك: «فأيمـا أحد دعـوت عليه من أمتى، بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها له طهوراً وزكاة، وقربة يقربه بها منه يوم القيامة».. صلى الله عليه وسلم.

فدعاؤه صلى الله عليه وسلم رحمة، وكفـارة، وزكـاة، ونحـو ذلك، إذا لم يكن المدعو عليه أهلاً للدعـاء عليـه، وكان مسلماً، بأن يكون اللعن، والسب، والجلد، وقع منه صلى الله عليه وسلم من غير قصد إليه أو نية إيذاء، كما جـاء فى حـديث مـعـاذ بن جـبل رضـى الله عنه قـال: قلت يا رسـول الله، أنؤاخـذ بما نقـول، قـال: ثكلتك أمك يـا بن جبـل، وهل يكب النـاس فـى النار على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم [٥٧٢]. فقوله ثكلتك أمك (أى فقدتك)، فـهو دعـاء عليـه بالموت على ظاهـره، ولا يراد وقـوعـه، ونحـو ذلك، فـأشـفق الرسـول صلى الله عليه وسلم على من دعـا عليـه، بمثل مـا سبق، أن يوافق القـدر، فـسـأل ربه عـز وجل أن يجـعـل ذلـك القـول رحـمـة وقـربـة، وهـذا من جميل خلقه العظيم[٥٧٣].

ومن هذا القـبـيل مـا جـاء فى ضـربه صلى الله عليـه وسلم لعـبـد الله بن عبـاس رضى الله عنه، ملاطفة، وتأنيسـاً، وحثاً له على سـرعـة إنجاز ما طلبه منه، فعن ابن عبـاس قـال: كنت ألعب مع الصبيـان، فجاء رسـول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف باب، فجـاء فحطأنى، أى ضـربنى باليد مـبسـوطة بين الكتفين، وقال: اذهب وادع لى معاوية [٥٧٤] ونحو ذلك.

ومع ذلك فمن كمـال شفقته صلى الله عليـه وسلم على أمتـه، سـأل ربه عـز وجل أن يجعل مثل ذلك مغفرة وزكاة وقربة لمن دعا عليه أو ضربه من أمته.

---

٥٧٢ - صحيح الترمذى (جـ٥، ص٨٣) وابن ماجة(جـ٢، ص ٤٨٦) وأحمد (جـ٥، ص٢٣١).
٥٧٣ - رد شبهات حول عصمة النبى (ص ٥٠٣).
٥٧٤ - صحيح مسلم (شرح النووى جـ ٨، ص ٣٩٩).

الشبهة الحادية والعشرون

الادعاء بأن النبى ﷺ مات مقتولاً

الرد على الشبهة الحادية والعشرين

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٥٧٥].

ويقول سبحانه: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٥٧٦].

ففى هاتين الآيتين خطاب موجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمره ربه عز وجل إلى قتلة الأنبياء والمرسلين من بنى إسرائيل، وتحدٍ لهم بأوضح بيان، بأنهم وإن وقع منهم قتل الأنبياء من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن الله تعالى، فهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما يحاولوا قتله، فلم ولن يفلحوا، لأن الله عز وجل عصمه من القتل، كما عصم قلبه وعقله وَخُلُقَه من كل ما يمسهم بسوء[٥٧٧].

وقد روى عن السيدة عائشة قالت: كان النبى صلى الله عليه وسلم يُحرس حتى نزلت هذه الآية " اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس «فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال لهم: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى عز وجل»[٥٧٨].

---

٥٧٥ - الآية (٩١) من سورة البقرة.

٥٧٦ - الآية (١٨٣) من سورة آل عمران.

٥٧٧ - رد شبهات حول عصمة النبى (ص ٨٣).

٥٧٨ - أخرجه الترمذى وحسنه الحافظ بن حجر (فتح البارى جـ٦، ص ٩٦) وأخرجه الحاكم فى المستدرك(جـ٢، ص ٣٤٢) وقال صحيح الإسناد.

أمـا قـوله تعـالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[٥٧٩] فهـو خطاب للنبـى صلى الله عليه وسلم بأنه معصـوم من ربه عـز وجل من الناس ويؤكـد ذلك قـوله تعـالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[٥٨٠].

وقـد روى عن أبى هـريرة قـال: لما نزل قـولـه تعـالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾[٥٨١].

قـال أبو جهل: هل يعفـر محـمـد وجهـه بين أظهـركم؟[٥٨٢] قـال: فقـيل نعم، فـقـال: واللات والعـزى لئن رأيتـه يفـعل ذلك لأطـأن على رقـبـتـه، أو لأعـفـرن وجهى بالتراب، قـال: فأتى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته، قال: فـمـا جاءهم منه إلا وهو ينكص على عقبيـه، ويتقى بيـديه، قـال: فـقـيل له: مـالك؟ فـقـال: إن بينى وبينه لخندقـاً مـن نار وهولاً، وأجنحـة، فـقـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم: لو دنا لاخـتطفـتـه الملائكة عضـواً عـضـواً قـال: فـأنزل الله عـز وجل ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى(٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى(٧)﴾ [٥٨٣].

وروى أيضـاً عن ابن عبـاس رضى الله عنهمـا قـال فى قـوله تعـالى: «سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ » قـال: قـال أبو جهل: لئـن رأيت مـحـمـداً يصلى لأطـأن عنقـه، فـقـال النبـى صلى الله عليـه وسـلم: لو فـعل لأخـذته المـلائكة عيـانـاً[٥٨٤] وهنـاك من الأدلة الكثـيـر والكثـيـر على أن الله تـعـالى عـصـم رسـوله الكريم من مـحـاولات القتل التى هم بها كفار قريش.

---

٥٧٩ – الآية (٤٨) من سورة الطور.
٥٨٠ – الآية (٣٠) من سورة الأنفال.
٥٨١ – الآيات من (٩ : ١٩) من سورة العلق.
٥٨٢ – أى أيسجد محمد أمامكم.
٥٨٣ – صحيح مسلم بشرح النووى (جـ ٩، ص ١٥٣).
٥٨٤ – صحيح البخارى (فتح البارى جـ ٨، ص ٥٩٥).

هذه هى أهم الافتراءات التى شنع بها أعداء الإسلام، وإن كانت قائمة الاتهام لم تفرغ بعد لأن هؤلاء المضلّين أعداء الإسلام لم يدعوا تهمة يتصورها العقل إلا ألصقوها بالإسلام ولم يتركوا عيباً إلا نسبوه لنبى الإسلام.

لكننا نقول لهم إنكم لو أفرغتم كل ما فى جعبتكم من سهام الاتهام فلستم ببالغين من محمد صلى الله عليه وسلم أو نائلين شيئاً من الإسلام. وقولنا لمن يروج هذه الشبهات والتهم هو ما قاله حسان بن ثابت فى المنافحة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو أجمل ما قيل فى الذود عن النبى صلى الله عليه وسلم، ولم يستطع أحد أن يحلق إلى ما دون هذا، فضلاً عن أن يساميه، وأنّى لهم ذلك وهو المؤيد بروح القدس، يقول رضى الله عنه:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاءُ
هجوت مباركاً براً حنيفاً ... أمين الله شيمته الوفاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفء؟ ... فشركما لخيركما الفداءُ
فإن أبى ووالده وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاءُ

والحمد لله أولاً وآخراً.

قصيدة

لحسان بن ثابت فى رثاء النبى ﷺ

ما بال عينك لا تنام كأنما ... كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعا على المهدى أصبح ثاويا ... يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
يا ويح أنصار النبى ورهطه ... بعد المغيب فى سواء الملحد
جنبى يقيك الترب لهفى ليتنى ... كنت المغيب فى الضريح الملحد
يا بكر آمنة المبارك ذكره ... ولدته محصنة بسعد الأسعد
نورا أضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتد
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ... يا لهف نفسى ليتنى لم أولد
بأبى وأمى من شهدت وفاته ... فى يوم الاثنين النبى المهتدى
فظللت بعد وفاته متلددا ... يا ليتنى صبحت سم الأسود
أو حل أمر الله فينا عاجلا ... فى روحة من يومنا أو من غدٍ
فتقوم ساعتنا فنلقى سيداً ... محضا مضاربه كريم المحتد
يا رب فاجمعنا معا ونبينا ... فى جنة تقفى عيون الحسد
فى جنة الفردوس واكتبها لنا ... يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد
والله أسمع ما حييت بهالك ... إلا بكيت على النبى محمد
ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا ... سودا وجوههم كلون الإثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره ... وفضول نعمته بنا لا تجحد
والله أهداه لنا وهدى به ... أنصاره فى كل ساعة مسهد
صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

المراجع

١- القرآن الكريم
٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.. تحقيق عبد العزيز غنيم وغيره، مطبعة دار الشعب بمصر، بدون تاريخ.
٣- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى، دار المعرفة ببيروت، بدون تاريخ.
٤- فى ظلال القرآن للسيد قطب، دار الشروق ببيروت والقاهرة، م ١٤٠٦ هـ. ـ ١٩٨٦
٥- فى رحاب التفسير لعبد الحميد كشك، المكتب المصرى الحديث، بدون تاريخ.
٦- تفسير الشعرواى.. دار أخبار اليوم، بدون تاريخ.
٧- صحيح البخارى مع فتح البارى.. تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقى ـ دار الريان بمصر، ١٤٠٧هـ. ـ ١٩٨٦م
٨- صحيح مسلم مع المنهاج شرح مسلم.. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ دار الحديث بمصر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م
٩- شرح مسلم للنووى ـ دار المنار بالقاهرة، ١٤١٨هـ. ـ ١٩٩٨م
١٠- المسند لأحمد بن حنبل ـ دار الفكر ببيروت، ١٣١٨هـ. ـ ١٩٨٧م
١١- صحيح الجامع الصغير وزيادته لمحمد ناصر الدين الألبانى ـ المكتب الإسلامى ببيروت ١٤٠٨هـ. ـ ١٩٨٨م
١٢- ضعيف الجامع الصغير وزيادته لمحمد ناصر الألبانى ـ المكتب الإسلامى ببيروت ١٤١٠هـ. ـ ١٩٩٠م
١٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرءوف المناوى ـ دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
١٤- سنن أبى داود.. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.دار الكتب العلمية. بيروت .بدون تاريخ.
١٥- سنن ابن ماجة.. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، عيسى البابى الحلبى بمصر١٣٧١هـ ـ ١٩٥٤م
١٦- سنن الترمذى.. تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقى وغيرهما ـ عيسى البابى الحلبى بمصر١٣٨٥هـ. ـ ١٩٦٨م
١٧- سنن النسائى.. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة-دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م
١٨- صحيح ابن حبان.. تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤١٤هـ. ـ ١٩٩٣
١٩- السنن الكبرى للبيهقى ـ دار المعارف العثمانية١٣٤٤هـ. ـ ١٩٢٥م
٢٠- المستدرك على الصحيحين للحاكم ـ تحقيق مصطفى عبد القادر ـ دار المعارف العلمية بيروت ١٤١١هـ. ـ ١٩٩٠م
٢١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى ـ مكتبة القدس بمصر، بدون تاريخ.

٢٢- الترغيب والترهيب للمنذرى ـ تعليق مصطفى محمد عمارة ـ دار الحديث بالقاهرة، بدون تاريخ.
٢٣- التاج (الجامع للأصول فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم) لمنصور على ناصف ـ جريدة صوت الأزهر، بدون تاريخ.
٢٤- صفوة الصفوة لجمال الدين بن الجوزى ـ تحقيق محمود فاخورى ـ دار الوعى بحلب ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م
٢٥- السيرة النبوية لابن هشام ـ تعليق طه عبد الرءوف سعد ـ دار الجبل بيروت ١٤٠٧هـ. ـ ١٩٨٧م
٢٦- السيرة النبوية لابن جرير الطبرى ـ تحقيق جمال بدران ـ الدار المصرية اللبنانية ١٤٢٠هـ. ـ ٢٠٠٠م
٢٧- الطبقات الكبرى لابن سعد ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠هـ. ـ ١٩٩٠م
٢٨- المواهب اللدنية للقسطلانى بشرح الزرقانى ـ الأزهرية ١٣٢٨هـ. ـ ١٩١٠م
٢٩- الرحيق المختوم لصفى الرحمن المباركفورى ـ دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٥هـ. ـ ٢٠٠٤م
٣٠- الروض الأنف للسهيلى ـ المطبعة الجمالية بمصر ١٣٣٢هـ. ـ ١٩١٤م
٣١- البداية والنهاية لابن كثير.. تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح - دار الحديث ١٤١٣هـ. ـ ١٩٩٢م
٣٢- الإصابة فى تمييز الصحابة.. تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح - دار الحديث ١٤١٣هـ. ـ ١٩٩٢م
٣٣- خاتم النبيين لسميح عاطف ـ دار الكتاب اللبنانى، بدون تاريخ.
٣٤- السيرة المحمدية لمحمد فريد وجدى ـ الدار المصرية اللبنانية ١٤١٣هـ. ـ ١٩٩٣م
٣٥- محمد خاتم المرسلين لشوقى ضيف ـ دار المعارف بالقاهرة، بدون تاريخ.
٣٦- خاتم النبيين لمحمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ بدون تاريخ.
٣٧- الرسول صلى الله عليه وسلم لسعيد حوى ـ مكتبة وهبة ـ بدون تاريخ.
٣٨- البيان المحمدى لمصطفى الشكعة ـ الدار المصرية اللبنانية ١٤١٦هـ. ـ ١٩٩٥م
٣٩-الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ بدون تاريخ.
٤٠- السيرة النبوية وأوهام المستشرقين لعبد العال محمد الجبرى ـ مكتبة وهبة ١٤١٣هـ. ـ ١٩٩٢م
٤١- دلائل النبوة لابن كثير ـ دار الكتاب المصرى اللبنانى ١٤٢٠هـ. ـ ١٩٩٠م
٤٢- دلائل النبوة للبيهقى ـ دار الكتب العلمية ببيروت١٤٠٨هـ. ـ ١٩٨٨م
٤٣- شرح معجزات الأنبياء والمرسلين لمحمد متولى الشعرواى ـ دار أخبار اليوم بالقاهرة ـ بدون تاريخ.
٤٤- دائرة معارف الفقه والعلوم الإسلامية لمحمد متولى الشعرواى ـ دار اخبار اليوم بالقاهرة ١٤٢١هـ. ـ ٢٠٠١م

٤٥- الإسلام بين الإنصاف والجحود لمحمد عبد الغنى حسن ـ مؤسسة المطبوعات الحديثة ـ بدون تاريخ.
٤٦- نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد ولى الله ـ دار السلام بالقاهرة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م
٤٧- معارج القبول لحافظ أحمد مكى ـ دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م
٤٨- عظمة الرسول لمحمد عطية الأبراشى ـ مكتبة الأسرة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م
٤٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ـ دار ابن خلدون ـ بالإسكندرية ـ بدون تاريخ.
٥٠- محمد المثل الكامل لمحمد أحمد جاد المولى ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م
٥١- مواقف من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم للسيد محمود حسين عبد العال- مركز الأهرام للترجمة والنشر١٤٢٢هـ-٢٠٠١م
٥٢- سبل الهدى والرشاد لمحمد بن يوسف الصالحى ـ تحقيق عبد العزيز عبد الحق ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية١٤١٣هـ ـ١٩٩٠م
٥٣- ربحت محمد ولم أخسر المسيح تم تحميله من موقع
www.saaid.net/doat/dati/r.html
٥٤- افتراءات المستشرقين على الإسلام لعبد العظيم مطعنى ـ مكتبة وهبة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م
٥٥- شبهات حول عصمة النبى لعماد السيد محمد(رسالة دكتوراة) تم تحميله من موقع www.saaid.net/book/open.pho
٥٦- الإسلام فى تصورات الغرب لمحمود حمدى زقزوق ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م
٥٧- موسوعة القصص القرآنى لحمزة النشرتى وآخرين ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م
٥٨- محمد المثال الأسمى لأحمد ديدات تم تحميله من موقع www.islam.ms
٥٩- محمد نبى الإسلام لكراشنة راو ـ ترجمة المركز العالمى للدعوة بدربان بجنوب أفريقيا. تم تحميله من موقع www.islam.ms
٦٠- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق لمحمد ناصر الدين الألبانى تم تحميله من موقع www.TruThway.com
٦١- نبوءة محمد فى الكتاب المقدس لأحمد حجازى ـ دار الفكر العربى١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨م
٦٢- النبى محمد لعبد الكريم الخطيب ـ دار الفكر العربى والإتحاد العربى ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٦م
٦٣- الأديان فى أفريقية المعاصرة لجاك مندلسون ـ ترجمة إبراهيم أسعد ـ دار المعارف بيروت ـ بدون تاريخ.
٦٤- دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاى ـ دار المعارف ـ بيروت ـ بدون تاريخ.
٦٥- تفسير العهد الجديد لوليم باركلى ترجمة بطرس عبد الملك وآخرين ـ دار التأليف والنشر بالكنيسة الأسقفية ـ بدون تاريخ.

٦٦- الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء لمحمد كامل عبد الصمد ـ الدار المصرية اللبنانية ١٤١٨هـ. ـ ١٩٩٨م
٦٧- محمد المثل الكامل لأحمد جاد المولى ـ تحقيق عبد الرحيم مارديني ـ مكتبة دار المحبة ١٤١٢هـ. ـ ١٩٩١م
٦٨- الرسول لعبد الرحمن أحمد سالم ـ دار الفكر العربى بالقاهرة١٤٢٠هـ. ـ ١٩٩٩م
٦٩- عقيدة المسلم لمحمد الغزالى ـ دار الشروق بيروت ـ بدون تاريخ.
٧٠- الإسلام دين كل الأديان لمصطفى كامل ـ المصرية للنشر والتوزيع بالمنصورة١٤١٧هـ. ـ ١٩٩٧م
٧١- دعوة الإسلام للسيد سابق ـ الفتح الإعلامى العربى بالقاهرة ١٤١٠هـ. ـ ١٩٩٠م
٧٢- الإسلام والأديان لمصطفى حلمى ـ دار الدعوة بالإسكندرية ١٤١١هـ. ـ ١٩٩٠م
٧٣- المحمديات لفتحى الإبيارى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب١٤١٦هـ. ـ ١٩٩٥م
٧٤- انتشار الإسلام لمحمد كمال حسين ـ دار الفكر العربى١٣٩٣هـ. ـ ١٩٧٦م
٧٥- منهج القرآن فى عرض عقيدة الإسلام لجمعة أمين ـ دار الدعوة بالإسكندرية١٤١٤هـ. ـ ١٩٩٣م
٧٦- عالمية الإسلام ـ دار المعارف، بيروت ـ بدون تاريخ.
٧٧- الإسلام بين الحقيقة والادعاء لمجموعة من العلماء ـ الشركة المتحدة بالقاهرة- بدون تاريخ.
٧٨- الإسلام فى مواجهة الماديين والملحدين لعبد الكريم الخطيب ـ دار الشروق ١٣٩٩هـ. ـ ١٩٧٩م
٧٩- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم تحقيق أحمد السقا ـ دار الريان للتراث ـ بدون تاريخ.
٨٠- الأبطال لتوماس كاريل ـ ترجمة محمد السباعى ـ كتاب الهلال بالقاهرة العدد ٣٢٦ - ١٢٩٨هـ. ـ ١٩٧٨م
٨١- جامع السيرة لابن القيم ـ جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه يسرى السيد ـ دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م
٨٢- قانون حقوق الإنسان لعبد الواحد محمد ـ دار النهضة العربية ١٤١٠هـ. ـ ١٩٩٠م
٨٣- جوهر الإيمان لجابر فرج ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٥هـ. ـ ١٩٧٥م
٨٤- حياة محمد لمحمد حسنين هيكل ـ دار المعارف بالقاهرة ـ بدون تاريخ.
٨٥- حجة الله على العالمين ليوسف بن إسماعيل النبهانى ـ تحقيق حمزة النشرتى
٨٦- محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولاى محمد على ـ ترجمة مصطفى فهمى وعبد الحميد جودة السحار ـ مكتبة مصر ـ بدون تاريخ .
٨٧- شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الحليم عويس ـ دار الوفاء للطباعة والنشر ـ ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م
٨٨- أولو العزم من الرسل لطه وادى ـ مكتبة مصر ـ بدون تاريخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف مجمع البحوث الإسلامية الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة	AL - AZHAR AL - SHARIF ISLAMIC RESEARCH ACADEMY GENERAL DEPARTMENT For Research, Writing & Translation

١٨٠٣٦

السيد الأستاذ / محيي الدين محمد محمد عطية

كاتب إسلامي وباحث وموظف بمديرية التعليم

بمحافظة الوادي الجديد - الخارجة - إدارة [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فبناء على كتاب سيادتكم المرفوع لفضيلة الإمام الأكبر بشأن مؤلفكم بعنوان (حقائق وأباطيل دفاعاً عن الإسلام).

نفيد بأنه بعد الفحص والمراجعة تبين أن ما ورد به ليس فيه ما يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ولسيادتكم جزيل الشكر

والسلام عليكم ورحمة الله

المدير العام

عثمان

البحوث والتأليف والترجمة

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف

مجمع البحوث الإسلامية

الإدارة العامة للمطبوعات

محافظة الوادي الجديد - الخارجة - إدارة الشئون القانونية - مديرية التعليم

السيد الأستاذ / محي الدين محمد محمد عطية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...... وبعد :

فإشارة إلى طلب سيادتكم الوارد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بشأن طبع كتابكم (حقائق وأباطيل دفاعا عن نبي الإسلام) .

فإننا نغتنم الفرصة لنقدم الشكر الجزيل على غيرتكم بالدفاع عن نبي الإسلام ﷺ .

ونفيد سيادتكم بأن الأزهر يقوم الآن بطبع كتاب (السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة) لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد محمد أبو شهبة – رحمه الله تعالى – وقد تقرر حفظ الموضوع لهذا ويمكنكم طبع الكتاب على نفقتكم خارج الأزهر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرا في ١٧ / ٥ / ٢٠١٢

مدير عام المطبوعات

(عبد الرحمن العسيلي)

صادر / ٣١

١٧ / ٥ / ٢٠١٢



الفهرس





الفهرس

رقم الإيداع : ٢٠١٢/١٦٧٨٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N 978-977-236-826-6

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة



